

دكتور محمد أحمد خضير

# التركيب والدلالة والسياق

دراسات تطبيقية



مكتبة الأنجلو المصرية

مَكْتَبَةٌ

لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

رابطہ بدیل  
lisanerab.com

www.lisanarb.com



# التركيب والدلالة والسياق

دراسات تطبيقية

دكتور

محمد أحمد خضير

كلية الآداب - جامعة القاهرة

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

أسم الكتاب: التركيب والدلالة والسياق  
أسم المؤلف: د/ محمد احمد خضير  
أسم الناشر: مكتبة الانجلو المصرية  
أسم الطابع: مطبعة محمد عبد الكريم حسان  
رقم الايداع: ١٠٠٩١ لسنة ٢٠٠٥  
الترقيم الدولي: I-S-B-N 977-05-2138-8

إفراء

إلى من بعثت قلبي إلى الحياة  
في صباحه الجديد



## الفهرس

٧ ..... تقديم

### الفصل الأول

١١ ..... الوصف عند النحاة العرب

### الفصل الثانى

العلاقة بين المطابقة العددية

٤٩ ..... والسياق فى الدراسات اللغوية والقرآنية

### الفصل الثالث

دور السياق فى تقدير مرجع

١١٣ ..... الضمير فى الدراسات اللغوية والقرآنية

### الفصل الرابع

السياق وتقدير المحذوف

١٤٣ ..... فى روايات نجيب محفوظ

### الفصل الخامس

التقديم والتأخير

١٧٩ ..... فى حديث الأربعة





## تقديم

من الصعب أن يُدرَس التركيب بعيداً عن دلالاته ، ويفرض السياق وجوده على تلك الدراسات ؛ لأن التركيب لاينعزل عن السياق بنوعيه اللغوي الذي يعتمد على النص ، وغير اللغوي الذي يعتمد على ما حول النص من ظروف خارجه تفرض نفسها عليه .

وقد قدّم الباحث دراسة نظرية في العلاقة بين الدلالة والتركيب والسياق ، وهنا جاء اختبارها في تلك التطبيقات المختلفة التي اعتمدت النص القرآني والدراسات اللغوية التي قامت عليه في بعض الدراسات ، كما اعتمدت الرواية والنثر المعاصرين في دراسات أخرى .

ولا شك أن دراسة النصوص لا بد أن تثمر نتائج جديدة وهو ما نراه في هذه الدراسات .

والله ولي التوفيق

د . محمد أحمد خضير



## الفصل الأول

الوصف عند النحاة العرب



## الفصل الأول

### الوصف عند النحاة العرب

### التركيب والدلالة

يهدف هذا البحث إلى التعرف على التراكيب أو طرق التعبير أو الأبواب النحوية التي تؤدي وظيفة الوصف عند النحاة، وهي النعت والحال والخبر وكيف عرض النحاة لها وعرفوا الفروق الشكلية والدلالية بينها .

ويدرج هذا البحث تحت الفروق النحوية ، التي أشار عبد القاهر إلى بعضها في دلائل الإعجاز (١) ، كما أشار ابن هشام إلى بعضها في مغني اللبيب (٢) .

أما عن العلاقة بين الأبواب الثلاثة فقد جاءت عند النحاة في إشارات متفرقة هي ما نريد أن نجعلها ونحللها في هذا البحث، وينطلق البحث من دلالة الوصف إلى ما يعبر عنها من أبواب نحوية ، فيبحث العلاقات والفروق الشكلية والدلالية بين تلك الأبواب .

#### أولاً : مصطلحات الوصف :

ارتبطت مادة (وصف) في المعاجم بمواد لغوية أخرى ، هي : نعت ، حلى ، شبه ، مثل ، صور ، خيل ، وقد اشتقت من هذه المواد - عدا (حلى) التي ارتبطت بمادة (وصف) في تحديدها - مصطلحات صرفية ونحوية وبلاغية ونقدية وأدبية (٣) ومن المصطلحات النحوية والصرفية الصفة - الصفات - الصفة المشبهة ، فإذا نظرنا إلى الدلالة اللغوية للوصف نجد أن الوصف يعنى الإظهار وبيان الهيئة ، يقال : وصف الثوب الجسم إذا أظهر حاله وبيّن هيئته (٤) ، وأن الصفة هي الأمانة اللازمة للشيء ،

(١) راجع : دلائل الإعجاز ١٧٣ - ٢٢١ .

(٢) راجع : مغني اللبيب ٥٣٩ - ٦٠٤ - ٧٢٩ - ٧٣١ .

(٣) راجع : المعجم المفصل في اللغة والأدب ١٣٠٦ / وما بعدها ، ٣٦٨ / ١ - ٣٨٨ وما بعدها ،

٤٢٢ ، ومعجم البلاغة العربية ٢٩٦ ، ٦٣٥ .

(٤) اللسان ، المصباح المنير مادة (وصف) .

والوصف هو تحلية الشيء (٥) ، والصفة هي الحاية (٦) ، وهي كالعلم والسواد (٧) ، مما يعنى أنها شيء ثابت من خصائص الموصوف .

وقد ارتبطت الصفة في دلالتها اللغوية بالنعته ، فمن اللغويين من لا يفرق بين الصفة والنعته (٨) ، ومنهم من فرق بينهما وقال إن النعته لا يكون إلا في الصفات المحموده ، والوصف يكون في المحمود وفي غيره من الصفات (٩) ، وقد خص الخليل النعته بأنه وصف الشيء بما فيه من حسن (١٠) ، وقال ابن الأثير - : النعته وصف الشيء بما فيه من حسن ولا يقال في القبيح إلا أن يتكف ، فيقول - : نعته سوء والوصف يقال في الحسن والقبيح (١١) ، وبذلك تكون الصفة أعم من النعته ، فالنعته للحسن والصفة للحسن والقبيح .

ومن اللغويين من فرق بينهما بقوله : إن الصفة تكون بالحال المنتقلة ، والنعته بما كان في خلق أو خلق (١٢) ، أى أن الصفة متغيرة عارضة ، أما النعته فإنه ثابت لازم ، وهو ما جاء في معنى الصفة عند غيره (١٣) ، وقال بعضهم إن النعته هو الصفة الراسخة التي تثبت ولا تتغير ، والوصف الصفة الراسخة وغير الراسخة (١٤) ، وعلى ذلك تكون الصفة أعم وأشمل من النعته ، (١٥) وقد ذهب بعض النحاة إلى التفريق بين النعته والصفة فقالوا : إن النعته يكون للحلية نحو طويل وقصير ، والصفة تكون بالأفعال نحو : ضارب وخارج ، (١٦) ، بينما يرى آخرون أن الصفة والنعته واحد ، (١٧) ، وبذلك نجد خلافاً عند النحاة في النعته والصفة كما وجدناه عند

(٥) مقاييس اللغة ٦/١١٥ .

(٦) اللسان (وصف) .

(٧) نفسه ، ومختار الصحاح .

(٨) راجع الصحاح ٤/١٤٣٩ ، مختار الصحاح ، اللسان (نعته ، وصف) ، القاموس المحيط (حلي)

١٩٨/٣ ، ٤/٣١٤ .

(٩) الصاحبي في فقه اللغة ٨٨ ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٣٣ .

(١٠) مقاييس اللغة ٥/٤٤٨ و راجع القاموس المحيط ١/١٥٨ (نعته) .

(١١) اللسان (نعته) .

(١٢) المصباح المنير (وصف)

(١٣) فهي الأمانة اللازمة عند ابن فارس (مقاييس اللغة ٦/١١٥) ، وهي كالعلم والسواد في اللسان

ومختار الصحاح (وصف)

(١٤) المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٣٣ .

(١٥) نفسه ١٣٤ .

(١٦) شرح ابن بعيش علي المفضل ٢ / ٤٧ .

(١٧) نفسه ٣/٤٧ ، شرح كتاب الحدود في النحو للفاكهي ٢٤٧ .

البلاغيين ، وفيما يلي عرض لمصطلحات الوصف عند النحاة :

### ١- مصطلحات الصفة :

١) مصطلحات : (صفة) ، (موصوف) جاء مصطلح (الصفة) كثيراً عند سيبويه بمفهوم النعت وكذلك عند الميرد<sup>(١٨)</sup> ومثل ذلك جاءت مصطلحات (الصفة) (الموصوف) بمفهوم النعت والمنعوت عند كل من ابن السراج والصيمري وعبد القاهر وابن جنى وابن يعيش والرضي<sup>(١٩)</sup> ، ثم جاء المصطلح بعد ذلك عرضاً عند سراج الألفية وغيرهم من المتأخرين<sup>(٢٠)</sup> .

وجاء مصطلح (الصفة) بمعنى (المشتق) عند ابن السراج<sup>(٢١)</sup> وكذلك جمعها<sup>(٢٢)</sup> وقال إنها سميت (صفة) لأنه يوصف بها<sup>(٢٣)</sup> ، وجاء ذلك أيضاً عند الشلوبين والرضي<sup>(٢٤)</sup> ، وأطلق ابن مالك مصطلح (الوصف) على ما يعمل عمل الفعل من اسم الفعل واسم المفعول والصفة المشبهة فقال ، الوصف الذي هو كالفعل في العمل وأريد به الحال ، أو الاستقبال من اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة باسم الفاعل<sup>(٢٥)</sup> ، وجاء ذلك أيضاً عند ابن الناظم والصفة عنده لاتعني كل المشتقات وإنما تعني ما دل على حدث وصاحبه فيخرج منها اسما الزمان والمكان<sup>(٢٦)</sup> ، وهي عند ابن عقيل تعني ما دل على معنى وذات<sup>(٢٧)</sup> ، وجاء المصطلح بهذا المفهوم أيضاً عند ابن هشام والسيوطي والفاكهي<sup>(٢٨)</sup> .

- (١٨) راجع مثلاً : الكتاب ٤٢٥/١ وما بعدها ، المقتضب ٢٢٥/٣ ، ١٦٦/٤ .
- (١٩) راجع : الأصول في النحو لابن السراج ٢٣/٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٤٦٢/٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ .
- : التبصرة والتذكرة للصيمري ١٦٩ وما بعدها ، الجمل في النحو لعبد القاهر الجرجاني ، شرح ابن يعيش علي الفصل ٣/١٠ ، ٤٦ ، وما بعدها ، شرح الكافية للرضي ١/٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٨٥ .
- (٢٠) راجع : شرح ابن عقيل ٣/١٩٧ ، شرح ابن الناظم ٤٩٢ ، أسرار النحو ١٦٢ وما بعدها وشرح كتاب الحدود للفاكهي ٢٤٧ .
- (٢١) الأصول في النحو ٣/١٦ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ .
- (٢٢) نفسه ٣/٢١ ، ٨٩ ، ٢٥ .
- (٢٣) نفسه ٣/٢٢ .
- (٢٤) راجع : التوطئة ٢٠٠ ، شرح الكافية ١/٢٧٧ ، ٣٠٢ .
- (٢٥) شرح الكافية الشافية ٢/٩١٠ ، وراجع أيضا ، المساعد علي التسهيل ٢/١٨٨ ، ٣٢١ .
- (٢٦) راجع : شرح ابن الناظم ٣٢٧ ، ٤٩٣ .
- (٢٧) شرح ابن عقيل ٣/٤٨ ، ١٤٠ .
- (٢٨) راجع : أوضاع المسالك ٣/٨٩ ، مع الهوامع ٥/٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٣ ، شرح كتاب الحدود للفاكهي ١٩٧ ، ٢٢٤ .

وقد جاء مصطلح (الوصف) بمعان أخرى ، فقد سمي سيبويه الحال وصفاً حين قال «واعلم أن الشيء يوصف بالشيء الذي هو هو وهو من اسمه ، وذلك قولك هذا زيد الطويل . ويكون هو هو وليس من اسمه ، كقولك هذا زيد ذاهباً ، ويوصف بالشيء الذي ليس به ولا من اسمه ، كقوب : هذا درهم وزناً ، لا يكون إلا نصيباً (٢٩) ، وكذلك أطلق المبرد على الحال مصطلح (صفة) (٣٠) ويسمى الشلوبيين صاحب الحال موصوفاً حيث يقول «وقد يكون موصوفاً - الحال - غير معرفة قليلاً ، نحو : مررت بما قعدة رجل ، ونحو جاء راكباً رجل ، إلا أن هذا مع تأخير الموصوف أقيس ، (٣١) ، وسمي الجزولي الحال صفة ووصفاً ، وصاحب الحال موصوفاً (٣٢) .

وكذلك سمي سيبويه التوكيد صفة ، وإن كان يفرق بين تلك الصفة والنعت في حديثه عن التوكيد بالضمائر وبالنفس حيث يقول «اعلم أن هذه الحروف - أي الضمائر - كلها تكون وصفاً للمجرور والمرفوع والمنصوب المضميرين ، وذلك قولك - مررت بك أنت ، ورأيتك أنت ، وانطلقت أنت ، وليس وصفاً بمنزلة الطويل إذا قلت : مررت به نفسه وأتاني هو نفسه ، ورأيته هو نفسه . وإنما تريد بهن ما تريد بالنفس ، ولست تريد أن تحليه بصفة ولا قرابة كأخيك ، ولكن النحويين صاروا عندهم صفة ، لأن حاله كحال الموصوف (٣٣) كما أن حال الطويل وأخيك في الصفة بمنزلة الموصوف في الإجراء ، لأنه يلحقها ما يلحق الموصوف من الإعراب ، (٣٤) ، وكذلك سمي ضمير الفصل صفة وتبعه في ذلك المبرد (٣٥) ، وسمي سيبويه ما بعد اسم الإشارة صفة وتوكيداً وبياناً (٣٦) .

وجاء مصطلح (صفة) بمعان أخرى أيضاً عند الكوفيين ، فقد سمي الكسائي الظروف صفة ، قال ابن السراج «واعلم أن الأشياء التي يسميها البصريون ظرفاً يسميها الكسائي صفة» (٣٧) ، وكذلك يسمى ثعلب ظرف المكان صفة (٣٨) ، وكذلك

(٢٩) الكتاب ١٢١/٢ ويفهم من جملة (هذا درهم وزناً) أنه يطلق علي التمييز ، وصفاً أيضاً .

(٣٠) المقتضب ٢١٤/٤ .

(٣١) التوطئة ٢٠٠ .

(٣٢) المقدمة الجزولية في النحو ٨٩ .

(٣٣) في طبعة بولاق (كحال الوصف والموصوف) وهو الأولي هنا .

(٣٤) الكتاب ٣٨٥/٢ ، ٣٨٦ ، وراجع ٢٤٨/١ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٨٩/٢ ، ٣٩١ ، ٣٩٠ .

(٣٥) الكتاب ٣٥١/٢ ، والمقتضب ١٠٥/٤ .

(٣٦) همع الهوامع ١٧٧/٥ .

(٣٧) الأصول في النحو ٢٠٤/١ ، راجع : الإنصاف المسألة ٦٠ ، إيضاح الوقف والابتداء ٦٦٥/٢ ،

إعراب القرآن للنحاس ١٩٩/١ ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٢٧ .

(٣٨) مجالس ثعلب ٦٤/١ ، ١٧٥ .



نسب إلى الكسائي أنه كان يسمى حروف الجر صفات (٣٩) ، وكذلك أطلق الفراء مصطلح (صفة) على الظروف والجار والمجرور وعلى حرف الجر وحده (٤٠) ، وكذلك جاء عند الكوفيين مصطلحات الصفة الناقصة والصفة التامة (٤١) .

## ٢- مصطلحات (نعت)

شاع مصطلح (نعت) أكثر من مصطلح (صفة) فوجدناه عند أكثر النحاة ، وعنون به أكثرهم الباب النحوي (٤٢) . وقد نسب هذا المصطلح للكوفيين فقد قال ابن عقيل إن النعت عبارة الكوفيين وربما استعملها البصريون (٤٣) ، ونقل السيوطي عن أبي حيان قوله إن التعبير به اصطلاح الكوفيين ، وربما قاله البصريون ، والأكثر عندهم الوصف والصفة (٤٤) ، وإذا كان مصطلح (نعت) قد كثر عند الفراء من الكوفيين (٤٥) ، فإنه شاع عند غيره من البصريين فلا معنى للقول بأنه مصطلح الكوفيين (٤٦) ، وقد جاء مصطلحا النعت والصفة مترادفين عند أكثر النحاة (٤٧) .

وكما أطلق مصطلح (الصفة) و (الصفات) على المشتقات ، فقد أطلق بعض النحاة مصطلح (النعت) أو (النعوت) على المشتقات ، ولكن ذلك قليل فقد جاء ذلك في قول المبرد وحق الأسماء المأخوذة من الأفعال أن تكون نعوتاً (٤٨) ثم خص بها صيغة (أفعل) في موضع آخر (٤٩) ، وهذا ما نجده عند الزجاجي أيضاً حيث جعل مما

(٣٩) راجع : شرح المعلقات للنحاس ٤٣/١ .

(٤٠) معاني القرآن ٢/١ ، ٣٦٥ ، ٣٢٢ ، ١٤٨ ، ١١٩ ، ٣٦ ، شرح ابن بعيش ٧/٨ مع الهوامع ١٩/٢ .

(٤١) الأصول ٢٠٥/١ ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٣٠ .

(٤٢) راجع : الكتاب ٤٢١/١ وما بعدها ، المقتضب ١٨٥/٣ ، ١٨٥/٤ ، الأصول في النحو ٢٣/٢ ،

٤٦٢/٣ ، ٤٥ وما بعدها ، الجمل في النحو للزجاجي ١٥ ، ١٣ وما بعدها ، التوطئة ١٦٩ ، كشف

المشكل في النحو ٤٧٣/١ ، ٦١١ ، المقرب ٢٤١ ، ٢٤٠ ، شرح الكافية ٣٠١/١ ، شرح ابن بعيش

٤٩/٣ ، المقدمة الجزولية ٥٦ ، الفصول الخمسون ٢٣٤ ، شرح شنور الذهب ٥١٢ شرح قطر

الندي ٤٠٠ ، شرح ابن الناظم ٤٩٠ ، أوضح المسالك ٢٩٩/٣ ، شرح ابن عقيل ١٩٠/٣ ،

المساعد علي التسهيل ٤٠١/٢ مع الهوامع ١٧١/٥ .

(٤٣) المساعد علي التسهيل ٤٠١/٢ ،

(٤٤) مع الهوامع ١٧١/٥ .

(٤٥) معاني القرآن ١١٢/١ ، ١٩٨ ، ٢٧٧ ، ١٤٥/٢ ، ١٤٦ .

(٤٦) راجع المدارس النحوية ٢٠٢ مدرسة الكوفة ٣١٤ .

(٤٧) راجع : شرح ابن بعيش ٤٧/٣ ، شرح كتاب الحدود في النحو ٢٤٧

(٤٨) المقتضب ٣/٢٦٠ .

(٤٩) نفسه ٢/٢٤٥ .

لا ينصرف ، ما كان على وزن (أفعل) إذا كان نعتاً ، نحو : أحمر ، أصفر ، وأبيض ، وأشقر ، وأفضل منك ، وأكرم منك ، (٥٠) .

مما سبق يتبين أن مصطلحات (صفة) أو (وصف) أو (صفات) قد اطلقت على معان عدة ، أما مصطلح (نعت) فلم يطلق إلا على المشتقات ، قليلاً وبالتحديد عند المبرد والزجاجي ، وأطلق بعد ذلك ليمثل الباب النحوي ويعنون به عند أكثر النحاة ، وإذا كان أكثر النحاة قدما ومحدثين يقولون إن مصطلح (نعت) مصطلح كوفي ، فإنهم دائماً يتبعون ذلك بأن بعض البصريين قد استعمله (٥١) ، ولم يكن الفراء أول من اصطاح على تسمية النعت باسمه وكان سيبيويه والبصريون يسمونه صفة (٥٢) ، وكان مصطلح (النعت) لم يأت عند سيبيويه ، وهو قد ورد كثيراً عنده كما تقدم ، وكما جاء مصطلح (النعت) عند سيبيويه فقد جاء مصطلح (صفة) بمعنى النعت عند الفراء أيضاً (٥٣) ومن هنا يرى أحد الباحثين أن مصطلح النعت قد عرفه البصريون الأوائل فاقبسه الكوفيون والتزموا به . وكما وجد النعت في كتاب سيبيويه وجد كذلك في آثار البصريين عامة كالمبرد والزجاجي وابن السراج ، (٥٤) ، وهو بذلك يريد أن يسحب فضل الكوفيين في اقتراح المصطلح ، بينما نستطيع القول إن المصطلحين قد نشأ معاً ثم غلب أحدهما وهو (النعت) على الآخر (الصفة) .

وقد فضل أكثر النحاة مصطلح (النعت) ، وأطلقه على الباب النحوي ، أما (الصفة) فأطلقت على معان أخرى كثيرة كما تقدم ومن أهمها بالنسبة للبحث هنا إطلاقها على الحال .

ثانياً : العلاقة بين أبواب الوصف الثلاثة :

أشار ابن الحاجب في شرح المفصل إلى أن الصفة تطلق باعتبارين : عام وخاص (٥٥) ، وأراد أن يفرق بين النعت والحال والخبر ، وهو ما فسره الرضي في شرح الكافية حيث قال إن المراد بالعام كل لفظ فيه معنى الوصفية جرى تابعاً أولاً فيدخل فيه خبر المبتدأ والحال في نحو زيد قائم ، وجاءني زيد راكباً إذ يقال هما

(٥٠) الجمل في النحو ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٥١) راجع : مدرسة الكوفة ٣١٤ وراجع هوامش ٤٦٤٤ .

(٥٢) المدارس النحوية ٢٠٢ .

(٥٣) راجع : معاني القرآن ١/١٠٥ ، ١٥٤ مجالس ثعلب ١/٤٢ ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٣٤

(٥٤) المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٣٥ .

(٥٥) راجع : الإيضاح في شرح المفصل ١/٤٤١ .

وصفان ، ونعنى بالخاص ما فيه معنى الوصفية إذا جرى تابعاً نحو جاءنى رجل ضارب ، (٥٦) ، والفرق بين العام والخاص هو تميز الخاص بالتبعية إلا أننا نجد فى قول ابن الحاجب والرضى أن الأبواب الثلاثة يجمعها معنى الوصفية ، ولهذا حاولنا أن نفرق بينهما أو بمعنى آخر بين النعت من جهة والخبر والحال من جهة أخرى .

ولقد عرف ابن السراج من قبل العلاقة بين الأبواب الثلاثة وحاول التفريق بينها حيث قال : « وقد يكون حالاً ما لا يكون صفة ، لأن الحال زيادة فى الخبر فأشبهت خبر المبتدأ الذى يجوز أن يكون اسماً ، والصفة ما كانت تفرق بين اسمين ، والحال ليست تفرق بين اسمين ، وقد يجوز أن يكون من اسم لا شريك له فى لفظه ، ولكنها تفرق بين صاحب الفعل فاعلاً أو مفعولاً ، وبين نفسه فى وقتين ، (٥٧) ، ويفهم من كلام ابن السراج أن الفرق بين الحال والخبر هو أن الحال زيادة فى الفائدة ، والفرق بين الحال والنعت أن النعت يفرق بين اسمين فيفصل بينهما ويزيل اشتراكهما ، أما الحال فإنه يفرق بين حالتين للاسم الواحد .

وعرف عبد القاهر العلاقة بين الحال والخبر ، والحال عنده خبر فى الحقيقة لكنه يفترق عن خبر المبتدأ فى أن خبر المبتدأ هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه ، أما الحال فإنه زيادة فى خبر آخر (٥٨) ، وعرف الزمخشري الصفة بأنها الاسم الدال على بعض أحوال الذات ، ويرى ابن يعيش أن الخبر يشترك مع الصفة فى ذلك ، أما ما يفصلها عن الخبر فهو تبعيتها للموصوف فى الإعراب (٥٩) ، وفرق بين النعت والحال بالوظيفة (٦٠) .

ويرى ابن هشام أن الحال والخبر والصفة تتفق فى أنها وصف ، والفرق بين الحال والخبر أن الحال فضلة ، والفرق بين الحال والنعت أن الحال جاءت لبيان الهيئة (٦١) .

وما عرضناه للنحاة من فروق هنا ينتمى للوظيفة أو الجانب الدلالى ، وقد أشار بعض النحاة إلى فارق آخر هو التنكير والتعريف ، ففرق الزجاجى وابن جنى بين

(٥٦) شرح الكافية للرضى ٢٠١/١ .

(٥٧) الأصول ٣١/٢ .

(٥٨) راجع : دلائل الإعجاز ٢١٢ ، ٢١٥ .

(٥٩) راجع : شرح ابن يعيش ٤٧/٣ .

(٦٠) شرح ابن يعيش ٥٧/٢ .

(٦١) شرح شذور الذهب ٣٠٥ .

الحال والنعته بذلك (٦٢) ، وفرق المبرد بين الحال والنعته بذلك أيضاً (٦٣) ، وإن كان قد أجاز مجيء الحال من النكرة حيث قال «قولك : جاءني رجل ظريف، فتجعل (ظريف) نعناً لرجل ويجوز : جاءني رجل ظريفاً على الحال» (٦٤) ، وعرض فروقاً أخرى بين الحال والنعته حيث قال إن الصفة تأتي لتفصل بين اثنين إذا خيف التباس أحدهما بالآخر من مثل : جاءني زيد الطويل أو العاقل أو الراكب أي المعروف بالطول .... إلخ . أما الحال فيكون إذا أردت الإخبار عن الحال التي وقع فيها المجيء ، فتقول : جاءني زيد راكباً أو ماشياً ، فتجيء بعده بنكرة لا تكون نعناً له لأنه معرفة ، وذلك أنك لم ترد : جاءني زيد المعروف بالركوب والمشى فيكون تحلية بما قد عرف ، وإنما أردت أن مجيئه وقع في هذه الحال ، (٦٥) ، ونجد عند المبرد فروقاً ثلاثة ، أولها : وظيفة النعته ووظيفة الحال ، والثاني : تنكير الحال ، والثالث : أن النعته تحلية أو صفة ثابتة ، أما الحال فصفة متغيرة ، ويوضح ذلك إذ يقول : إذا قلت : جاءني زيد ماشياً لم يكن نعناً ، لأنك لو قلت : جاءني زيد المشى لكان معناه المعروف بالمشى ، وكان جارياً على زيد ، لأنه تحلية له ويتبين أنه زيد المعروف بهذه السمة ، ليفصل ممن اسمه مثل اسمه بهذا الوصف ، فإذا قلت : جاءني زيد ماشياً - لم ترد أنه يعرف بأنه ماشٍ ، ولكن خبرت بأن مجيئه وقع في هذه الحال ، ولم يدل كلامك على ما هو فيه قبل هذه الحال أو بعدها ، (٦٦) .

ومما سبق يتضح أن النحاة قد عرفوا العلاقة بين الأبواب الثلاثة وإن كانت إشارات متفرقة فإننا فيما يلي سنحاول أن نجتمع تلك العلاقات والفروق تحت محاور محددة منها ما هو شكلي ومنها ما هو دلالي .

#### ١ - علاقات الجزئين ، الأول هو الثاني في المعنى ،

مما يتفق فيه الخبر مع النعته قول النحاة إن الخبر هو المبتدأ في المعنى ، وأن النعته هو المنعوت في المعنى ، وقد جاء ذلك عند سيبويه في قوله إن «المبتدأ لا بد من أن يكون المبني عليه شيئاً هو هو» (٦٧) ، وعند المبرد أيضاً أن «خبر المبتدأ لا يكون إلا

(٦٢) راجع الجمل ١٤، ١٥، ٢٥، للمع ١٤٥ .

(٦٣) المقتضب ٤/٣١٤ .

(٦٤) المقتضب ٤/٣٩٧ ، راجع الكتاب ٢/١١٣ وما بعدها ، ومن الثابت عند النحاة أن مسوغات الابتداء بالنكرة تسبغ كذلك أن يكون صاحب الحال نكرة .

(٦٥) راجع : المقتضب ٤/١٦٦ .

(٦٦) نفسه ٤/٣٠٠ .

(٦٧) الكتاب ١/١٢٧ .

شيئاً هو المبتدأ فى المعنى، (٦٨) ، على أن هذا قسم من أقسام الخبر ، وهو ما يفهم من قول ابن السراج ، «خبر المبتدأ ينقسم إلى قسمين : إما أن يكون هو الأول فى المعنى .... نحو : زيد أخوك؟ .... أو يكون غير الأول .... نحو قولك : عمرو ضربته، (٦٩) والقسم الأول هو المفرد والثانى هو الجملة ويشرح ذلك ابن يعيش فيقول ، «ويؤيد عندك هاهنا أن الخبر هو المبتدأ أنه يجوز أن تفسر كل واحد منهما بصاحبه ، ألا تراك لو سئلت عن زيد من قولك : زيد منطلق ، فقيل : من زيد هذا الذى ذكرته ؟ لقلت هو المنطلق ، ولو قيل : من المنطلق ؟ لقلت : هو زيد فلما جاز تفسير كل واحد منهما بالآخر دل على أنه هو» (٧٠).

أما الرضى فيجعل من الخبر الجملة ما هو المبتدأ فى المعنى أيضاً حيث يقول ، «لاتخلو الجملة الواقعة خبراً من أن تكون هى المبتدأ معنى أولاً ، (٧١) .

وكما قالوا إن الخبر هو المبتدأ فى المعنى ، كذلك قالوا إن النعت هو المنعوت فى المعنى ؛ فقد جعل سيبويه النعت والمنعوت كالاسم الواحد (٧٢) ، وقال المبرد إن «النعت هو المنعوت فى الحقيقة» (٧٣) ، وكرر ابن يعيش قوله السابق فى المبتدأ والخبر فقال إن «الصفة والموصوف شيء واحد لأنهما لعين واحدة ، فإذا قلت : جاءنى زيد العاقل ، فالعاقل هو زيد وزيد هو العاقل ، ألا ترى أنك إذا سئلت عن كل واحد منهما لجاز أن تفسره بالآخر ، فتقول فى جواب : من العاقل ؟ زيد ، وفى جواب : من زيد ؟ العاقل» (٧٤) وقد جعل الشلوبين ذلك من شروط النعت حيث قال إن «من شروط النعت أن يكون هو المنعوت» (٧٥) .

وقد أكد ابن الأنبارى على تلك العلاقة بين الخبر والنعت فقال : إن «خبر المبتدأ يتنزل منزلة الوصف ، ألا ترى أن الخبر هو المبتدأ فى المعنى ، كقوله : زيد قائم ، وعمرو ذاهب ، أو منزل منزله ، كقوله : زيد الشمس حسناً ، وعمرو الأسد شدة ، أى

(٦٨) المقتضب ١٢٧/٤ ، وراجع ١٢٨/٤ ، ١٣٣ .

(٦٩) الأصول ٦٢/١ .

(٧٠) راجع شرح ابن يعيش ٨٧/١ .

(٧١) شرح الكافية للرضي ٩١/١ ، وراجع : شرح ابن الناظم ١٠٩ ، أوضح المسالك ١٩٧/١ شرح ابن عقيل ٢٠٤/١ .

(٧٢) راجع : الكتاب ٤٢١/١ ، ٤٢٢ .

(٧٣) المقتضب ٢١٩/٤ .

(٧٤) شرح ابن يعيش ١٠/٣ .

(٧٥) التوطئة ١٦٩ .

يتنزل منزلته، وكقولهم: أبو يوسف أبو حنيفة، أى يتنزل منزلته فى الفقه، قال الله تعالى ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (الأحزاب ٦) .

أى تنتزل منزلتهن فى الحرمة والتحرير، فلما كان الخبر هو المبتدأ فى المعنى أو منزلاً منزلته تنزل منزلة الوصف؛ لأن الوصف فى المعنى هو الموصوف، ألا ترى أنك إذا قلت: قام زيد العاقل، وذهب عمرو الظريف أن العاقل فى المعنى هو زيد، والظريف فى المعنى هو عمرو، ولهذا لما تنزل الخبر منزلة الوصف كان تابعاً للمبتدأ فى الرفع؛ كما تتبع الصفة الموصوف، (٧٦) .

## ٢- الموقعية :

جعل النحاة لما يقع موقع الخبر أو الحال أو النعت شروطاً، قد تتفق أو تختلف من باب إلى آخر، أهمها شرط الاشتقاق ووقوع المصدر أو الجملة تلك المواقع وهو ما نتناوله بالتفصيل فيما يلى :

ينقسم الخبر إلى مفرد وجملة، والخبر المفرد عند النحاة إما أن يكون مشتقاً أو جامداً، ومن الجامد ما يمكن تأويله بالمشتق، ومنه ما لا يمكن تأويله، ويبدو أن النحاة لم يشترطوا تأويل الجامد بالمشتق حتى يكون خبراً؛ إذ إن النحاة لم يذكروا ذلك التأويل إلا عند حديثهم عن تحمل الخبر المفرد للضمير، وإن كنا نجد عندهم اقتناعاً بوجود معنى الحدث فى الخبر إذا كان جامداً أو ظرفاً أو جاراً ومجروراً .

والخبر المفرد المشتق يكون فى معنى الفعل - عند ابن يعيش - وإذا كان اسماً محضاً غير مشتق من فعل مثل: زيد أخوك وعمرو غلامك، يكون عارياً من الوصفية، لكن الكوفيين يقولون إنه فى معنى ما هو صفة، لأننا إذا قلنا: زيد أخوك وجعفر غلامك لم نرد الإخبار عن الشخص بأنه مسمى بهذه الأسماء، وإنما المراد إسناد معنى الأخوة وهى القرابة ومعنى الغلامية وهى الخدمة إليه، وهذه المعانى معانى أفعال، ولا يعترض البصريون على ذلك وإنما لا يعدون ذلك علة لتحمل الجامد للضمير كما يتحملة المشتق (٧٧) .

وينقسم الجامد عند الرضى إلى ما يتحمل التأويل بالمشتق مثل: هذا القاع عرّج كله، أى: غليظ، وما لا يؤول بالمشتق، ومنه: زيد أخوك، إلا أنه يقول: إن

(٧٦) الإنصاف فى مسائل الخلاف ٤٧/١ .

(٧٧) راجع شرح ابن يعيش ٨٧/١، ٨٨ .

الكسائي جعله مما يتحمل الضمير و، كأنه نظر إلى أن معنى : زيد أخوك متصف بالأخوة ، وهذا زيد ، أي متصف بالزيدية أو محكوم عليه بكذا، (٧٨) ، ويلخص ابن الناظم في شرح الألفية ذلك ، ويذهب إلى أن الخبر الجامد لا يحتاج إلى التأويل بالمشتق ، بل يكفي لصحة الإخبارية به كونه صادقاً على ما صدق عليه المبتدأ (٧٩) ، وقد عرض شراح الألفية آراء البصريين والكوفيين في تحمل الضمير اعتماداً على الاشتقاق والتأويل به (٨٠) .

أما الظرف فإنه عند النحاة ليس الخبر ، وإنما الخبر محذوف ، والمحذوف معنى الاستقرار ، فمثل : زيد خلفك ، وعمرو في الدار - عند ابن السراج - معناه زيد مستقر خلفك وعمرو مستقر في الدار (٨١) ويقول ابن يعيش إن الخبر إذا وقع ظرفاً أو جاراً ومجروراً نحو : زيد في الدار ، وعمرو عندك ليس الظرف بالخبر على الحقيقة ؛ لأن الدار ليست من زيد في شيء ، وإنما الظرف معمول للخبر ، ونائب عنه ، والتقدير ، زيد استقر عندك أو حدث أو وقع ، ونحو ذلك ، فهذه هي الأخبار في الحقيقة بلا خلاف بين البصريين، (٨٢) .

وقال ابن الناظم إن المصحح للأخبار بالظرف والجار والمجرور، تضمنهما معنى صادقاً على المبتدأ ، ولك أن تقدره بمفرد نحو : كائن أو مستقر ، ولك أن تقدره بجملة نحو : كان أو استقر، (٨٣) ، ويعرض ابن عقيل آراء النحاة في ذلك الخبر المحذوف ، وينسب إلى ابن السراج أنه يجعل الظرف أو المجرور قسماً برأسه وليس من قبيل المفرد ولا من قبيل الجملة (٨٤) .

واشترط جمهور النحاة أن تكون الحال مشتقة ، فإذا جاءت جامدة أولوها بالمشتق ، واعترض الرضي على ذلك شارحاً قول ابن الحاجب حيث قال قوله ( وكل ما دل على هيئة صح أن يقع حالاً ، نحو : هذا بسرأ أطيب منه رطباً ) هذا رد على النحاة فإن جمهورهم شرطوا اشتقاق الحال وإن كان جامداً تكلفوا رده بالتأويل إلى

(٧٨) شرح الكافية للرضي ٩٧/١

(٧٩) شرح ابن الناظم ١١٠ .

(٨٠) راجع : شرح ابن عقيل ٢٠٥/١ أوضح المسالك ١٩٤/١

(٨١) الأصول ٦٣/١ .

(٨٢) شرح ابن يعيش ٩٠/١ وقد عرض اختلافهم في تقدير المحذوف هل هو فعل أم اسـ

(٨٣) شرح ابن الناظم ١١١

(٨٤) شرح ابن عقيل ٢١٠/١ ، ٢١١ ، وقد عرضنا رأي ابن السراج وهو محال له ذلك راجع

أوضح المسالك ٢٠١/١ .

المشتق ، قالوا إنها فى المعنى صفة والصفة مشتقة أو فى معنى المشتق ، فقالوا فى نحو : هذا بَسْرًا أَطِيبَ مِنْهُ رَطْبًا ، هذا مَبْسَرًا أَطِيبَ مِنْهُ رَطْبًا ، أى : كائناً بَسْرًا ، وكائناً رَطْبًا ﴿ وَهَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ ﴾ - هود ٦٤ ، أى : دالة ، قال المصنف - وهو الحق - : لا حاجة إلى هذا التكلف ؛ لأن الحال هو المبين للهيئة ، كما ذكره فى حده ، وكل ما قام بهذه الفائدة فقد حصل فيه المطلوب من الحال ، فلا يتكلف تأويله بالمشتق وكذا رد عليهم اشتراط اشتقاق الصفة ، كما يجيء فى بابهما ، ومع هذا فلا شك أن الأغلب فى الحال والوصف الاشتقاق ، (٨٥) ، وكون هذا الشرط غالباً يأتى فى قول ابن مالك : وكونه منتقلاً مشتقاً يغلب ، ولكن ليس مستحقاً وقد تبعه شراح الألفية فى ذلك (٨٦) ، وقال ابن الناظم إن الأكثر فى كلامهم أن تكون الحال مشتقة ؛ لأنه لا بد أن تدل على حدث وصاحبه ، وإلا لم تغد بيان هيئة ما هى له ، والأكثر فيما يدل على حدث وصاحبه أن يكون مشتقاً ، نحو : ضارب ، وعالم ، وكريم . وقد يكون جامداً فى تأويل المشتق ، (٨٧) ، أما عن النعت ، فإننا نجد سيبويه لا يجيز النعت بالجواهر ، ويجيز أن يكون حالاً أو خبراً ، فقد أجاز أن نقول هذا راقود خلا ، وعليه نحى سمناً ، بالنصب ثم قال : وإنما فررت إلى النصب فى هذا الباب ، كما فررت إلى الرفع فى قولك : بصحيفة طين خاتمها ؛ لأن الطين اسم وليس مما يوصف به ، ولكنه جوهر يضاف إليه ما كان منه (٨٨) ، فلم يجز سيبويه الوصف بلفظة (طين) لأنها جوهر ، وقبح حملها على الصفة ، وأجاز أن تكون حالاً أو خبراً ، فقال : ومن قال : مررت بصحيفة طين خاتمها قال : هذا راقود خل وهذه صفة خز . وهذا قبيح أجرى على غير وجه ، ولكنه حسن أن يبنى على المبتدأ أو يكون حالاً . فالحال قولك : هذه جبتك خزاً . والمبنى على المبتدأ قولك : جبتك خزاً . ولى يكون صفة فيشبه الأسماء التى أخذت من الفعل ، (٨٩) .

فسيبويه إذن يفرق بين نوعين من الأسماء أحدهما الجوهر ، وهذا يكون موصوفاً ولا يكون صفة ، أما الصفة فتكون الأسماء التى أخذت من الفعل ، أى

(٨٥) شرح الكافية للرضي ٢٠٧/١ .

(٨٦) راجع : أوضح المسالك ٢٩٧/٢ ، شرح ابن عقيل ٢٤٤/٢ ، ٢٤٥ .

(٨٧) شرح ابن الناظم ٣١٢،٣١٣ .

(٨٨) الكتاب ١١٧/٢ وهي منصوبة عند السيرافي والمبرد على التمييز ، وسيبويه لم يقل إنها حال .

وإنما صرح بذلك فى (هذه جبتك خزاً) الكتاب ١١٨/٢ .

(٨٩) نفسه ١١٧/٢ ، ١١٨ ، وراجع : ٢٩٦/١ .



المشتقات ، وهو يجيز أن تكون الحال والخبر من الأسماء الجامدة لكنه يقبح ذلك في الصفة .

ولا يجيز المبرد النعت بالجوهر ، لأن النعوت تحلية ، والجواهر هي المنعوتات(٩٠) ، وحق الجواهر أن تكون منعوتة ليدرف بعضها من بعض ، وحق الأسماء المأخوذة من الأفعال أن تكون نعوتاً ، فالنعت يكون بالمشتقات ، ثم يقول إن بعض النحاة قد أجاز أن ينعت بالجوهر ، فأجازوا هذا راقود خل ، وهذا خاتم حديد ، لكنه يعرب المرفوع هنا (خل) و(حديد) بدلاً(٩١) .

فإذا جاء النعت غير مشتق فإنه يؤول بالمشتق ، وهذا ما يتضح في قول المبرد الذي ربط بين الاشتقاق والتحلية ، إذا قلت : مررت برجل عاقل أو طويل - فمن الفعل أخذته فتحليلته به . فإذا قلت مررت برجل مثلك أو حسبك من رجل ، أو مررت برجل أيما رجل - فمعنى مثلك إنما هو يشبهك ، وأيما رجل معناه : كامل ، وقولك : حسبك إنما معناه يكفيك .... فهذا ما كان من التحلية التي لا تكون إلا عن فعل وما ضارع ذلك فراجع إلى معناه، (٩٢) .

ويقسم ابن السراج النعت بحسب ما ينعت به إلى :

- ١- حلية للموصوف تكون فيه أو في شيء من سببه ، مثل الزرقة والحمرة والحوار والعر والطول والقصر ... الخ .
- ٢- فعل للموصوف يكون به فاعلاً أو متصلاً بشيء من سببه مثل : قائم ، وقاعد ، وضارب ، ونائم ، فهذه صفة استحقها الموصوف بفعله ؛ لأنه لما قام وجب أن يقال له قائم ... وكذلك بقية أسماء الفاعلين (٩٣) .
- ٣- ما كان صفة غير عمل ولا حلية ، مثل : العقل والفهم والعلم والحزن مثل : مررت برجل عالم (٩٤) ، أي الصفات الداخلية ، وهذه الأقسام الثلاثة تدخل في المشتقات .

(٩٠) المقتضب ٢/٢٤٥ .

(٩١) نفسه ٣/٢٦٠ .

(٩٢) نفسه ٤/٢٨٥ . وراجع أيضاً ٣/١٨٥ ، ٢٥٩ .

(٩٣) الأصول ٢/٢٤ ، ٢٥ .

(٩٤) نفسه ١/٢٦ .

٤- النسب : وهو يجرى مجرى النعت .... وقد صار صفة بما له من معنى الصفة-  
أى المشتق - (٩٥) .

٥- الوصف بذى : ويفسر بأن معناه «صاحب» ، ولا يكون إلا مضافاً ، وإذا وصفت  
به نكرة أضفته إلى نكرة ، ( ) وصفت به معرفة أضفته إلى الألف واللام (٩٦).  
وقد جاءت هذه الأقسام أيضاً عند عبد القاهر بنفس الترتيب (٩٧) ، ويبدو شرط  
الاشتقاق واضحاً حتى في النسب والوصف بذى إذ تؤول بمعنى المشتق .

وشرط الاشتقاق واضح تماماً عند الزمخشري وابن يعين الذى يقول : ولا  
تكون الصفة إلا مأخوذة من فعل أو راجعاً إلى معنى الفعل ، وذلك كاسم الفاعل ....  
وذلك ليبدل بأشتقاقه على الحال التى اشتق منها ، مما لا يوجد فى مشاركته فى الاسم  
فيتميز بذلك . وقد وصفوا بأسماء غير مشتقة ترجع إلى معنى المشتق (٩٨) ، يأخذ  
فى تأويل المنسوب والموصوف بذى فمعنى (تميمي) منسوب إلى تميم ، وذو مال  
بمعنى صاحب مال ، ومررت برجل أى رجل ، كامل فى الرجولية ، وكذلك الصفة  
فى قول الشاعر :

هو الفتى كل الفتى فاعلموا لا يفسد اللحم لديه الصلول

أى هو الكامل فى الفتیان، وكذلك «هو العالم جد العلم، معناه البالغ الكامل ،  
ومررت برجل صدق ، وبرجل رجل سوء أى : رجل صالح ، ورجل فاسد (٩٩) .

ثم وقف عند الوصف باسم الجنس والجوهر فعرض قول سيبويه الذى يجيز فيه  
أن يكون الجوهر خبراً أو حالاً ولا يجيز أن يكون صفة ، ثم قال إنه لا فرق بين الحال  
والنعت والخبر فى مثل : برجل أسد ، وذلك أنه ليس المراد من الأسد شخصه ، وإنما  
المراد أنه فى الشدة مثله والصفة والحال فى ذلك سواء ، وليس كذلك الحديد والدرهم  
فى مثل : هذا خاتم حديد ، فإن المراد هنا الجوهر (١٠٠) وكذلك أول ابن يعين

(٩٥) نفسه ٢٦/٢ ، ٢٧ . وراجع الكتاب ٢١٠-/١ ، شرح ابن بعين ٤٨/٣ شرح الكافية ٢٨٠-/١ ،  
٢٨١ .

(٩٦) نفسه ٢٧/٢ أى أنه لا يوصف به إلا مضافاً .

(٩٧) الجمل فى النحو لعبد القاهر ٩٩ .

(٩٨) راجع شرح ابن بعين ٤٨/٣ .

(٩٩) راجع شرح ابن بعين ٤٨/٣ ، ٤٩/، الكتاب ١٢/٢ ، ١٣ .

(١٠٠) نفسه ٤٩/٣ وراجع الأصول فى النحو ٢٨/٢ .

والسيوطى اسم الإشارة بالمشترك فمعنى (هذا) أى الحاضر أو المشار إليه (١٠١) .

أما الرضى فيقول «إن جمهر النحاة شرطوا فى الوصف الاشتقاق ، فلذلك استضعف سيبويه نحو : (مررت برجل أسد) وصفاً ، ولم يستضعف (بزيد أسداً) حالاً ، فكأنه يشترط فى الوصف لا فى الحال الاشتقاق ، وفى الفرق بينهما نظر ، والنحاة يشترطون ذلك فيهما معاً ، والمصنف لا يشترطه فيهما ، ويكتفى بكون الوصف دالاً على معنى فى متبوعه ، مشتقاً كان أو لا ، ويكون الحال هيئة للفاعل أو المفعول ، (١٠٢) ، فهو لا يشترط الاشتقاق هنا ، ويجعل ذلك شرطاً غالباً فى موضع آخر (١٠٣) ، ثم يؤول النعت الجامدة بالمشترك على اعتبار المعنى (١٠٤) .

ويشترط ابن معط الاشتقاق فى النعت ، فيعرفه بأنه التابع المشتق أو المؤول بالمشترك (١٠٥) ، ثم يقول إن شرط النعت «أن يكون مشتقاً أو فى حكم المشتق» (١٠٦) ، والمشتق عنده - إما حلية أو نسب أو فعل أو صناعة (١٠٧) ، فيدخل بذلك أنواع النعت كلها فى المشتقات .

وقال ابن مالك :

وانعت بمشتق كصعب وذربٌ وشبهه ، كذا ، وذى المنتسبُ

وشرح ابن عقيل ذلك بأنه لا ينعت إلا بمشتق لفظاً وتأويلاً ، ثم حد المشتق بأنه ما أخذ من المصدر للدلالة على معنى وصاحبه كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل ، وأول اسم الإشارة وذا التى بمعنى صاحب والموصولة والمنتسب (١٠٨) ، وقال ابن الناظم إن النعت ، لا يكون إلا مشتقاً أو مؤولاً بالمشتق ، لأن الجوامد لا دلالة لها بوضعها على معان منسوبة إلى غيرها (١٠٩) .

(١٠١) نفسه ٥٧/٣ ، مع الهوامع ١٧٨/٥ .

(١٠٢) شرح الكافية للرضى ٣٠٣/١ .

(١٠٣) نفسه ٢٠٧/١ ، ٢٠٨ .

(١٠٤) نفسه ٣٠٣/١ ، ٣٠٤ .

(١٠٥) الفصول الخمسون ٢٤٩ .

(١٠٦) نفسه ٢٣٤ .

(١٠٧) نفسه ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(١٠٨) شرح ابن عقيل ١٩٥/٣ ، وراجع : أوضح المسالك ٣٠٤/٣ ، ٣٠٦ ، شرح ابن الناظم ٤٩٣ .

(١٠٩) شرح ابن الناظم ٤٩٠ ، ٤٩١ .

وقد عرض السيوطي لما ينعت وما ينعت به ، وكلامه مبني على أنه ينعت بالمشتق أو المؤول بالمشتق ، وأن المنعوت جامد (١١٠) .

وقد جعل النحاة شرط الاشتقاق للفصل بين النعت وعطف البيان ، قال ابن السراج ، وإنما سمي عطف البرن ، ولم يقل إنه نعت لأنه اسم غير مشتق من فعل ، ولا هو تحلية ولا ضرب من ضروب الصفات فعدل النحويون عن تسميته نعتاً (١١١) .

وفرق الشلوبين بين النعت وعطف البيان ، فقال إن عطف البيان لا يكون نعتاً لما منع عدم الاشتقاق ، أو معناه فيه (١١٢) . وكذلك فرق ابن معط بينهما بقوله إن عطف البيان : هو اسم يفسره اسم ، كما يفسره النعت ، إلا أنه ليس مشتقاً ولا في حكم المشتق (١١٣) ، و فرق ابن يعيش بينهما بقوله إن النعت إنما يكون بما هو مأخوذ من فعل أو حلية نحو : ضارب ، ومضروب وعالم ومعلوم وطويل وقصير ونحوها من الصفات ، وعطف البيان يكون بالأسماء الصريحة غير المأخوذة من الفعل ، (١١٤) ، ومثل ذلك نجده عند شراح الألفية (١١٥) ، وكذلك عند ابن هشام في تعريف النعت حيث فرق بينه وبين التوابع الأخرى بالاشتقاق (١١٦) ، واشترط السيوطي الجمود في عطف البيان ولو تأويلاً ، للفرق بينه وبين النعت (١١٧) .

#### المصدر

جعل سيبويه المصدر خبراً على السعة في قول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت فإنما هي إقبال وادبار (١١٨) .

ووقف المبرد عند قولهم (زيدسيرياً فتى) فقال إن (سير) يجوز أن تكون خبراً على وجهين أحدهما : أن يكون : زيد صاحب سير ، فأقمت المضاف إليه مقام

(١١٠) راجع: همع الهوامع ١٧٥/٥ ، وما بعدها ، الكتاب / ٤٢٥ .

(١١١) الأصول في النحو ٤٥/٢ .

(١١٢) التوطئة ١٨٥ وراجع أيضاً : اللمع لابن جني ١٧٧ ، التسهيل ١٧١ ، المقرب ٢٧٢ .

(١١٣) الفصول الخمسون ٢٣٦ .

(١١٤) شرح ابن يعيش ٧١/٣ .

(١١٥) راجع : شرح ابن الناظم ٥١٤ ، شرح ابن عقيل ٢١٩/٣ .

(١١٦) شرح قطر الندوي ٤٠١،٤٠١،٤٢١، شرح شنور الذهب ٥١٢ .

(١١٧) همع الهوامع ١٩٠/٥ .

(١١٨) الكتاب ١/٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والبيت في ديوانها ٤٨ .

المضاف ؛ لما يدل عليه ، كما قال الله عز وجل ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ - (يوسف ٨٢)، إنما هو : أهل القرية ، كما قال الشاعر :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت      فإنما هي إقبال وإدبار

أى ذات إقبال وإدبار ، ويكون على أنه جعلها الإقبال والإدبار لكثرة ذاك منها وكذلك قوله عز وجل ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ (البقرة ١٧٧) الوجه : ولكن البرير من آمن بالله ، ويجوز أن يوضع البر في موضع البار، (١١٩) ، فالمصدر لا يقع خبراً عنده إلا بتأويل ، فإما أن يكون ذلك على حذف المضاف ، أو أن يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل ، وهذا ما نجده عند السيرافي والرضي (١٢٠) .

ونجد سيبويه يتعرض لوقوع الحال مصدرأ في أكثر من باب ، من ذلك قوله ، باب ما ينتصب من المصادر ؛ لأنه حال وقع فيه الأمر فانتصب ؛ لأنه موقوف فيه الأمر ، وذلك قولك : قتلته صبراً ... لأن المصدر هاهنا في موضع فاعل إذا كان حالاً، (١٢١) ، فالمصدر عنده وقع حالاً ، وإن كان هذا ليس القياس ، والمصدر هنا في موضع اسم الفاعل ، وهذا ما نفهمه من قول السيرافي إن «مذهب سيبويه في : أتيت زيدا ماشياً وركضاً وعدواً وما ذكره معه ، أن المصدر في موضع الحال، كأنه قال: أتيته ماشياً وراكضاً وعادياً ، وكذلك (صبراً) أى : قتلته مصبوراً ... وليس ذلك بقياس مطرد ؛ لأنه شيء وضع في موضع غيره ... وكان أبو العباس يجيز هذا في كل شيء دل عليه الفعل، (١٢٢) ، على حين ينقل سيبويه عن الخليل ما يفهم منه أنه يجيز وقوع المصدر حالاً (١٢٣) . ويكرر الزمخشري وابن يعيش ذلك؛ فالمصدر يقع في موضع الحال ، والتقدير في مثل : أتيته ركضاً ، وقتلته صبراً ، أتيته راكضاً ، وقتلته مصبوراً، ويعرضان مذهبين ، أحدهما مذهب سيبويه الذي يرى فيه أن ذلك ليس بقياس مطرد، وإنما يستعمل فيما استعملته العرب ؛ لأنه شيء وضع موضع غيره ، والآخر مذهب المبرد الذي يجيز هذا في كل شيء يدل عليه الفعل (١٢٤) .

(١١٩) المقتضب ٣/ ٢٢٠ ، ٢٣١ .

(١٢٠) راجع هامش الكتاب ١/ ٢٢٧ ، شرح الكافية ١/ ٩٦ ، ٩٧ .

(١٢١) الكتاب ١/ ٢٧٠ .

(١٢٢) نفس المصدر والصفحة هامش هـ

(١٢٣) راجع : الكتاب ١/ ٣٠٤ ، وهامش ٣ للسيرافي في نفس الصفحة .

(١٢٤) راجع : الفصل ٦٢ ، شرح ابن بعيش ٢/ ٥٩ .

ونجد هذا أيضاً عند شراح الألفية ، يقول ابن الناظم ، الحال وصاحبها خبر ومخبر عنه فى المعنى ، فحق الحال أن تدل على ما يدل عليه نفس صاحبها ، كالخبر بالنسبة إلى المبتدأ . ومقتضى هذا ألا يكون المصدر حالاً ؛ لئلا يلزم الإخبار بمعنى عن عين فإن ورد شيء من ذلك حفظ ، ولم يقس عليه ، إلا فيما أذكره لك ، (١٢٥) ، ويعدد حالات ورود المصدر حالاً (١٢٦) . ويقول ابن عقيل ، حق الحال أن يكون وصفاً - وهو ما دل على معنى وصاحبه كقائم وحسن ومضروب - فوقعها مصدراً على خلاف الأصل ، إذ لا دلالة فيه على صاحب المعنى .

وقد كثر مجيء الحال مصدراً تكرة ، ولكنه ليس بمقيس ؛ لمجيئه على خلاف الأصل ، (١٢٧) .

أما عن النعت فإننا نجد ابن السراج يجيز أن يكون المصدر نعتاً إلا أنه يؤوله فيقول ، «واعلم أنهم ربما وصفوا بالمصدر نحو قولك : رجل عدل وعلم ، فإذا فعلوا هذا فحقه أن لا يثنى ولا يجمع ولا يذكر ولا يؤنث ، والمعنى إنما هو ذو عدل ، (١٢٨) .

وأجاز الزمخشري النعت بالمصدر سواء أكان مضافاً مثل حسبك أو غير مضاف مثل عدل وعلم ، وفسر ابن يعيش ذلك بطريقتين ، فهذه المصادر إما أن يكون قصد بها معنى المبالغة ، كأنهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرة حصوله منه ، وقالوا : رجل عدل ، ورضى وفضل لكثرة عدله والرضى عنه وفضله جعلوه نفس العدل والرضى والفضل ، ويجوز أن يكونوا وضعوا المصدر موضع اسم الفاعل اتساعاً فعدل بمعنى عادل وماء غور بمعنى غائر ، ورجل صوم وفطر بمعنى صائم أو مفطر ، (١٢٩) ، أما المصادر المضافة فلا يوجهها إلا بطريقة واحدة هى أن تكون بمعنى اسم الفاعل ، فحسبك بمعنى محسب .... وهكذا (١٣٠) .

وقد قسم الرضى الصفات الجامدة إلى قياسية وسماعية ، وجعل المصادر من السماعية الشائعة ، وقال إن الأغلب أن تكون بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول ، ويعرض القول بحذف المضاف ، لكنه يفضل أن يقال إن اسم الحدث قد أطلق على

(١٢٥) شرح ابن الناظم ٣١٦ ، وراجع : أوضح المسالك ٢/٣٠٥ .

(١٢٦) نفسه ٣١٧-٣١٨ .

(١٢٧) شرح ابن عقيل ٢/٢٥٢ ، ٢٥٣ ، وقد عرض آراء النحاة فى إعراب المصدر .

(١٢٨) الأصول فى النحو ٢/٣١ .

(١٢٩) شرح ابن يعيش ٣/٥٠ .

الفاعل والمفعول مبالغة ، كأنهما من كثرة الفعل تجسما منه (١٢٠) ، وهو قول ابن يعيش فيما سبق .

أما ابن عقيل فيعد النعت بالمصدر على خلاف الأصل ؛ لأنه يدل على المعنى ، لا على صاحبه ، وهو مؤول على أنه بمعنى اسم الفاعل ، أو على تقدير مضاف أو على المبالغة بجعل العين (المنعوت) نفس المعنى (المصدر - النعت) مجازاً أو ادعاء (١٢١) ، وينسب ابن هشام التأويل بالمشقق للكوفيين وتقدير المضاف للبصريين (١٢٢) .

الجملة :

اشترط النحاة في الجملة التي تقع نعتاً شروطاً ثلاثة (١٢٣) ؛ أولها : أن يكون المنعوت نكرة ، وقد علل عبد القاهر ذلك بأن الجملة نكرت كلها فتوصف بكل واحدة منها الأسماء النكرات ، (١٢٤) ، وقال الرضي أن الجملة لاتعد نكرة ، ولا معرفة ولكنها مناسبة للنكرة من حيث يصح تأويلها بالنكرة (١٢٥) ، وهو قول ابن عقيل أيضاً الذي عرض قول بعضهم إنه يجوز نعت المعرفة بالألف واللام الجنسية بالجملة ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ - يس ٣٧ ، وقول الشاعر :

ولقد أمر على اللئيم يسبني      فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

ثم قال لا يعنين ذلك لجواز أن يكون (نسلخ) ، (يسبني) حالين (١٢٦) .

وإذا نظرنا إلى الآية والبيت نجد أن المنعوت (الليل) ، و(اللئيم) يدل على الجنس وهو معنى عام ، ومن هنا كان الوصف (الجملة) يدل على الثبات والعادة وهما من خصائص النعت ، أما إذا كان المقصود (ليل محدد) ، أو (لئيم محدد) معرفة ، إذا قلنا مثلاً (ولقد أمر على فلان يسبني) ، فإن دلالة الجملة هنا دلالة انتقال فتكون حالاً .

(١٢٠) شرح الكافية ٢٠٦/١ .

(١٢١) شرح ابن عقيل ٢٠١/٣ .

(١٢٢) أوضح المسالك ٣١٢/٣ .

(١٢٣) راجع شرح ابن يعيش ٥٢/٣ ، المقتصد شرح الإيضاح ٩١١/٢ ، شرح الكافية ٢٠٧/١ .

الفوائد الضيائية ٣٦/٢ ، شرح ابن عقيل ١٩٥/٣ .

(١٢٤) المقتصد ٩١١/٢ .

(١٢٥) شرح الكافية ٢٠٧/١ .

(١٢٦) شرح ابن عقيل ١٩٥/٣ ، ١٩٦ .

ويطبيعة الحال لن نجد هذا الشرط مع الخبر أو الحال ؛ لأن الأصل في المبتدأ وصاحب الحال أن يكونا معرفتين . الشرط الثاني في جملة النعت أن تكون جملة خبرية تحتمل الصدق والكذب ؛ فلا تقع الجملة الطلبية نعتاً ؛ لأن الأمر والنهي والاستفهام وغيرها لا يكون فيها وضوح ، والصفة يطلب فيها الوضوح ، وهي ليست أخباراً محضة (١٣٧) ، فالغرض من الصفة الإيضاح والبيان بذكر حال ثابتة للموصوف يعرفها المخاطب له ليست لمشاركة في اسمه ، والأمر والنهي والاستفهام ليست بأحوال ثابتة للمذكور يختص بها ، إنما هو طلب واستعلام لا اختصاص بشخص دون شخص، (١٣٨) . وقد ركز الرضى على أن السبب في ذلك أن الجملة الخبرية تفيد إيضاحاً أو صفة ثابتة ، كان يعرفها المخاطب من قبل أما الجملة الطلبية فلا تفيد ذلك (١٣٩) .

ولا تقع الجملة الطلبية نعتاً إلا بتأويل بعيد (١٤٠) ، وقد أولوا ذلك في قول الشاعر:

حتى إذا جن الظلام واختلط      جاءوا بمذق هل رأيت الذنب قط

على الحكاية وتقدير القول والتقدير جاءوا بمذق مقول فيه هل رأيت الذنب قط (١٤١) ، ويكون القول المضمرة صفة والجملة الطلبية معمول القول المضمرة (١٤٢) .

وإذا كان النحاة يشترطون ذلك في الجملة الواقعة نعتاً ، فإنهم يختلفون في الجملة الواقعة خبراً ، فقد أجاز سيبويه وقوع الجملة الطلبية خبراً ، ويفهم ذلك من قوله ، وقد يكون في الأمر والنهي أن يبني الفعل على الاسم ، وذلك قولك : عبد الله اضربه ، ابتدأت عبد الله فرفعته بالابتداء ، ونهت المخاطب له لتعرف باسمه ، ثم بنيت الفعل عليه ، كما فعلت ذلك في الخبر، (١٤٣) ، وقد جاز ذلك هنا لأن معنى قولك : زيد اضربه ، واضرب زيداً واحد ، فلما صحت الفائدة جاز أن يكون الخبر أمراً في اللفظ لأن (زيد) مفعول في المعنى ، ولو قلنا : مررت برجل اضربه ، لم يكن له

(١٣٧) المقتصد ٩١١/٢ ، ٩١٢ .

(١٣٨) شرح ابن يعيش ٥٣/٣ .

(١٣٩) شرح الكافية ٣٠٧/١ .

(١٤٠) الفوائد الضيائية ٣٦/٢ .

(١٤١) راجع : المقتصد ٩١٢/٢ ، شرح ابن يعيش ٥٣/٣ .

(١٤٢) شرح ابن عقيل ١٩٩/٣ .

(١٤٣) الكتاب ١٣٨/١ .



فائدة، إذ لا نقدر أن نجعل (رجلاً) منصوباً، فنقول مررت باضرب رجلاً<sup>(١٤٤)</sup> وعبد القاهر هنا يحكم البنية العميقة في قوله إن (زيد اضربه، واضرب زيدا واحداً)، ولا يخفى ارتباط ذلك بالمعنى ونقل الرضى عن ابن الأنباري وبعض الكوفيين أنه لا يصح أن تكون جملة الخبر طلبية لأن الخبر ما يحتمل الصدق والكذب، ثم قال إن ذلك وهم من قبل إيهام لفظ خبر المبتدأ، وليس المراد بخبر المبتدأ عند النحاة ما يحتمل الصدق والكذب، واستدل بقوله تعالى ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ - ص ٦٠ (١٤٥)، ونقل السيوطي ذلك عن ابن الأنباري أيضاً ورده بأن مسألة الصدق والكذب لا يحتملها المفرد، ويمجبه سماعاً في قول الشاعر:

قلب من عيل صبره كيف يسلو صاليا نار لوعة وغرام

ونقل عن ابن السراج تقديره القول قبلها<sup>(١٤٦)</sup>.

وقال ابن يعيش إن الجملة الطلبية لا تقع خبراً<sup>(١٤٧)</sup> بينما أجاز الرضى ذلك لأن خبر المبتدأ ليس معرفاً للمبتدأ ولا مخصصاً له<sup>(١٤٨)</sup>، وهو ما يعني ارتباط ذلك بالفرض الدلالي للنعت والخبر، ولخص ابن عقيل خلاف النحاة في ذلك<sup>(١٤٩)</sup>.

كذلك اشترط النحاة في جملة الحال أن تكون خبرية، وعلل الرضى ذلك بأننا في الطلبية لسنا على يقين من حصول مضمونها<sup>(١٥٠)</sup>.

وعرض السيوطي لذلك فاشترط أن تقع الحال جملة خبرية خالية من دليل استقبال، أو تعجب، فلا تقع جملة طلبية، ولا تعجبية ولا ذات السين أو سوف أو لن أو لا،<sup>(١٥١)</sup>.

ثم عرض قول الفراء بتجويز ذلك وتأويل النحاة لها فقال «وجوز الفراء وقوع

(١٤٤) راجع : المقتصد ١١٢/٢ .

(١٤٥) شرح الكافية ٩١/١ .

(١٤٦) مع الهوامع ١٤/٢ .

(١٤٧) شرح ابن يعيش ٥٣/٣ .

(١٤٨) شرح الكافية ٣٠٧/١ .

(١٤٩) شرح ابن عقيل ٢٠٠/٣ .

(١٥٠) شرح الكافية ٢١١/١ .

(١٥١) مع الهوامع ٤٢/٤، ٤٣، وراجع شرح التصريح ٣٩٩/١ حاشية بس .

جملة الأمر تمسكاً بنحو: وجدت الناس أخبر ثقله، وأجيب بأنه على تقدير مقولاً فيهم، (١٥٢)

وقد جعل ابن الأنباري مجيء النعت والحال جملة طلبية من السعة في اللغة، وقال إن تلك الأشياء جاءت في غير أماكنها، وأول ذلك على حذف فعل القول (١٥٢).

الشرط الثالث: أن يكون في جملة النعت ضمير يعود إلى الموصوف حتى لا تكون جملة النعت أجنبية من الموصوف (١٥٣) وقد علل ابن يعيش ذلك بأن الصفة كالخبر، فكما لا بد من عائد إلى المبتدأ إذا وقعت خبراً، كذلك لا بد منه في الجملة إذا وقعت صفة (١٥٤)، وقد يحذف هذا العائد للدلالة عليه كقول الشاعر:

وما أدري أغيرهم تناءً وطول الدهر أم مال أصابوا

أى أصابوه (١٥٥) وهذا شرط الجملة الواقعة خبراً أيضاً، فإذا فقدت هذا الشرط لم يصح أن تكون الجملة خبراً عن المبتدأ (١٥٦)، لأن الجملة الثانية كلام مستقل بنفسه، فإذا لم يكن فيها رابط يربطها بالمبتدأ حتى تصير خبراً وتصير من تمام المبتدأ كانت جملة أجنبية عن المبتدأ ولا تكون خبراً عنه (١٥٧) فإن كانت جملة الخبر هي المبتدأ في المعنى لم تحتج إلى رابط (١٥٨).

وكذلك اشترطوا الرابط في جملة الحال سواء كان الضمير أم الواو، ويعتل ابن يعيش ذلك بقوله وإنما يلزم أن تأتي بما يعلق الجملة الثانية بالأولى؛ لأن الجملة كلام مستقل بنفسه مفيد لمعناه، فإذا وقعت الجملة حالاً فلا بد فيها مما يعلقها بما قبلها، ويربطها به لئلا يتوهم أنها مستأنفة، وذلك يكون بأحد أمرين إما الواو وإما ضمير يعود منها إلى ما قبلها، (١٥٩).

(١٥٢) الإنصاف في مسائل الخلاف ١١٥/١ - ١١٧.

(١٥٣) المقتصد ٩١١/٢.

(١٥٤) شرح ابن يعيش ٥٢/٣.

(١٥٥) راجع الكتاب ٨٨/١ شرح ابن عقيل ١٩٧/٣.

(١٥٦) المقتصد ٢٧٣/١.

(١٥٧) شرح ابن يعيش ٨٨/١، ٨٩.

(١٥٨) شرح الكافية ٩١/١، شرح ابن عقيل ٢٠٢/١، ٢٠٣، مع الهوامع ١٥/٢، شرح

التصريح ١٦٢/١.

(١٥٩) شرح ابن يعيش ٦٦/٢.

وقد علل عبد القاهر جواز ربط جملة الحال بالواو دون الخبر بأن جملة الخبر لا تتم الفائدة دونها ، أما جملة الحال فهي زيادة في الفائدة أو خبر آخر (١٦٠) ، وهو ما اتضح عند الرضى بعد ذلك في قوله : إنما ربطوا الجملة الحالية بالواو دون الجملة التي هي خبر المبتدأ ، فإنه اكتفى فيها بالضمير ؛ لأن الحال يجيء فضلا بعد تمام الكلام فاحتج في الأكثر إلى فضل ربط فصدرت الجملة التي أصلها الاستقلال بما هو موضوع للربط ، أعنى الواو التي أصلها الجمع ، (١٦١) ، وكذلك قال ابن عقيل إن الأصل في الحال والخبر والصفة الإفراد ، وتقع الجملة موقع الحال ، كما تقع موقع الخبر والصفة ، ولا بد فيها من رابط ، وهو في الحالية : إما ضمير ... أو واو وتسمى واو الحال ، وواو الابتداء (١٦٢) .

### ٣- الغرض أو الوظيفة الدلالية :

عرف ابن جنى اللغة بأنها : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، (١٦٣) . ولفظة (أصوات) هنا لا تختلف في دلالتها عما قصده بها التحويليون ، فهي لا تعنى (الأصوات) في مقابل (الكلمة) ، وإنما تعنى التركيب وسلسلة الألفاظ المنطوقة ، أما الأغراض فتعنى دلالة ذلك المنطوق ، وليست اللغة إلا العلاقة بين الأصوات والأغراض ، أو بين اللفظ والمعنى أو بين المنطوق والمفهوم ، أو بين المستوى السطحي والمستوى العميق (١٦٤) .

وكل تركيب له غرض ، فإذا مضينا وراء تراكيب الوصف فإننا نجد كل تركيب منها يعبر عن الوصف بشكل عام ، لكنه يختلف عن غيره من تراكيب الوصف الأخرى . لقد حدد النحاة أغراضاً للنعت هي دلالات للتعبير بتراكيب النعت ، مثل بعضها فصلاً بين النعت وغيره ، يقول ابن السراج ، وأصل الصفة أن يقع للنكرة دون المعرفة ؛ لأن المعرفة كان حقها أن تستغنى بنفسها ، وإنما عرض لها ضرب من التنكير فاحتجج إلى الصفة ، فأما التكرات فهي المستحقة للصفات لتقرب من المعارف ، وتقع بها حينئذ الفائدة ، والصفة كل ما فرق بين موصوفين مشتركين في

(١٦٠) راجع : دلائل الإعجاز ٢١٢، ٢١٥ .

(١٦١) شرح الكافية ٢١١/١ .

(١٦٢) شرح ابن عقيل ٢٧٨/٢ ، راجع : همع الهوامع ٤/٤ وما بعدها .

(١٦٣) الخصائص ١/٣٣ .

(١٦٤) راجع : النحو العربي والدرس الحديث ١٣٩ ، تشومسكي والثورة اللغوية ١٢٨ الأسنوية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الأسنوية) ٩١ نظرية تشومسكي اللغوية / ليونز ١٨١ ، النحو والدلالة ٢٣ .

اللفظ،<sup>(١٦٥)</sup>. ويتبين من قوله أن الفائدة الأصلية للصفة إنما هي التعريف بالموصوف أو تقريبيه من المعرفة ، فإن كان الموصوف معرفة فإنها حينئذ تكون للتفريق بينه وبين معرفة مثله لاشتراكهما في اللفظ .

وتتضح الفائدة عند الزمخشري في قوله «والذى تساق له الصفة هو التفرقة بين المشتركين في الاسم ، ويقال إنها للتخصيص في النكرات وللتوضيح في المعارف»<sup>(١٦٦)</sup> ، ويشرح ابن يعيش ذلك بقوله إن «الغرض بالنعت تخصيص نكرة أو إزالة اشتراك عارض في معرفة ، فمثال صفة النكرة كقولك : هذا رجل عالم ... فرجل عالم أخص من رجل ، ومثال صفة المعرفة قولك : جاءني زيد العاقل ... فالصفة هاهنا فصلته من زيد آخر ليس بعاقل ، وأزالت عنه هذه الشركة العارضة ، أي أنها انفقت من غير قصد من الواضع إذ الأصل في الأعلام أن يكون كل اسم بإزاء مسمى فتنفصل المسميات بالألقاب ، إلا أنه ربما ازدحمت المسميات بكثرتها فحصل ثم اشتراك عارض فأتى بالصفة لإزالة تلك الشركة ونفى اللبس ، فصفة المعرفة للتوضيح والبيان وصفة النكرة للتخصيص ، وهو إخراج الاسم من نوع إلى نوع أخص منه ، ويبين الرضى معنى التخصيص للنكرات والتوضيح للمعارف فيقول إن «معنى التخصيص في اصطلاحهم تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات ، وذلك أن (رجل) في قولك جاءني رجل صالح كان بوضع الواضع محتملاً لكل فرد من أفراد هذا النوع ، فلما قلت (صالح) قلت الاشتراك والاحتمال ، ومعنى التوضيح عندهم رفع الاشتراك الحاصل في المعارف أعلاماً كانت أو لا ، نحو : زيد العالم ، والرجل الفاضل ،<sup>(١٦٨)</sup> ، ففائدة النعت الأساسية إذن هي التعريف أو الاقتراب من التعريف ، ومعنى ذلك أن النعت يدخل التركيب ليفرق بين المنعوت وغيره ، ويزيل اشتراك المنعوت مع غيره من الأسماء ، فإذا كان الاسم معرفة فإنه لا يشترك مع غيره ، وبالتالي لا يحتاج إلى ما يفصله عنه ، ومن هنا فإن الضمائر لا تنعت لأنها أعرف المعارف ، فهي لا تحتاج إلى زيادة إيضاح أو تفسير ، يقول سيبويه ، واعلم أن المضمرة لا يكون موصوفاً ، من قبل أنك إنما تضمرة حين ترى أن المحدث قد عرف من تعني»<sup>(١٦٩)</sup> ، ويقول الزجاجي «يجوز أن تنعت الأسماء كلها إلا المضمرة فإنه لا ينعت ؛ لأن الاسم لا يضمرة

(١٦٥) الأصول في النحو ٢/٢٣ .

(١٦٦) شرح ابن يعيش ٣/٤٦ .

(١٦٧) نفسه ٣/٤٧ .

(١٦٨) شرح الكافية ١/٣٠٢ ، ٣٠٣ أوضح المسالك ٣/٣٠٠ .

(١٦٩) الكتاب ٢/١١ .

إلا بعد أن يعرف ، فقد استغنى عن النعت، (١٧٠) ، ويقول الشلوبين «المضمر لا ينعى لأن مفسره يهنيه، وأصل النعت لرفع الاشتراك» (١٧١) ، ويقول ابن يعيش «فأما المضمرة فلا توصف وذلك لوضوح معناها ، ومعرفة المخاطب بالمقصود بها ، إذ كنت لا تضمر الاسم إلا وقد عرف المخاطب إلى من يعود ومن تعنى فاستغنى لذلك عن الوصف» (١٧٢) .

وقد يكون للنعت أغراض أخرى ثانوية مثل المدح والذم ، ويكون ذلك إذا كان المنعوت لا يحتاج إلى تخصيص أو توضيح ، وهذا ما يتضح من قول ابن يعيش «وقد يجيء النعت لمجرد الثناء والمدح لا يراد به إزالة اشتراك ، ولا تخصيص نكرة ، بل لمجرد الثناء والمدح ، أو ضدهما من ذم أو تحقير ، وتعريف المخاطب من أمر الموصوف ما لم يكن يعرفه (١٧٣) ، وما جاء للثناء صفات الله سبحانه وتعالى نحو : الحى العالم القادر ، فإننا لا نريد بذلك فصله من شريك له سبحانه ، وإنما المراد الثناء عليه بما فيه سبحانه على جهة الإخبار عن نفسه بما فيه لمعرفة ذلك والندب إليه» (١٧٤) ، ويقول الرضى «وإنما يكون لمجرد الثناء والذم إذا كان الموصوف معلوماً عند المخاطب سواء كان مما لا شريك له فى ذلك الاسم نحو ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ إذ لا شريك له تعالى فى اسم الله ، : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أو كان مما له شريك فيه نحو : أتانى زيد الفاضل العالم . والفاسق الخبيث ، إذا عرف المخاطب زيدا الآتى قبل وصفه ، وإن كان له شركاء فى الاسم» (١٧٥) ، فإذا كان الاسم غنيا عن الإيضاح والتخصيص فإنه ينعى لقصد المدح أو الذم أو غير ذلك (١٧٦) .

وقد تجيء الصفة للتأكيد إذا كررت الصفة معنى الموصوف من مثل : أمس الدابر ، والميت العابر ، (١٧٧) ، ويفرق الرضى بين تلك الصفة وبين التوكيد ، فيقول «وإنما يكون الوصف للتأكيد إذا أفاد الموصوف معنى ذلك الوصف مصرحاً بالتضمن ،

(١٧٠) الجمل ١٦ .

(١٧١) التوطئة ١٨١ .

(١٧٢) شرح ابن يعيش ٥٦/٣ ، وراجع : همع الهوامع ١٧٥/٥ ، ١٧٦ .

(١٧٣) شرح ابن يعيش ٤٧/٣ .

(١٧٤) نفسه ٤٨/٣ .

(١٧٥) شرح الكافية ٣٠٣/١ .

(١٧٦) شرح ابن الناظم ٤٩١ .

(١٧٧) شرح ابن يعيش ٤٨/٣ .

نحو (نفخة واحدة) (١٧٨) ، و(إلهين اثنين) (١٧٩) ، فإن كان ذلك المعنى المصرح به في المتبوع شمولاً وإحاطة فالتابع تأكيد لا صفة نحو: الرجلان كلاهما ، والرجال كلهم ، وإن لم يكن فهو صفة ، كما في قوله تعالى ﴿إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ - النحل ٥١ ، وإن كان معنى التابع معنى المتبوع سواءً بالمطابقة فالتابع تأكيد تكرير نحو: الرجل نفسه ، زيد زيد، (١٨٠) . وقد يجيء النعت لأغراض أخرى جعلها النحاة مفتوحة ، منها الترحم والتعميم والتفصيل (١٨١) . ومن النحاة من لم يفرق بين تلك الأغراض والأغراض الأساسية للنعت فذكرها دون تفریق بينها (١٨٢) .

فإذا بحثنا عن فائدة الخبر أو الغرض منه عند النحاة ، فإننا نجد ابن السراج يقول الاسم الذي هو خبر المبتدأ هو الذي يستفيدة السامع ويصير به المبتدأ كلاماً ، وبالخبر يقع التصديق والتكذيب . ألا ترى أنك إذا قلت : عبد الله جالس فإنما الصدق والكذب وقع في جلوس عبدالله ؛ لأن الفائدة هي في جلوس عبد الله ، وإنما ذكرت عبد الله لتسند إليه (جالساً) ، (١٨٣) ، ويفهم من كلامه أن الخبر إنما هو الشيء الجديد الذي يستفيدة السامع من الكلام . وقد يصدقه أو يكذبه ؛ لأنه شيء لم يكن ليعرفه لولا هذا الكلام . وهذا ما يتضح أيضاً من قول ابن يعيش «اعلم أن خبر المبتدأ هو الجزء المستفاد الذي يستفيدة السامع ، ويصير مع المبتدأ كلاماً ، والذي يدل على ذلك أنه به يقع التصديق والتكذيب ، ألا ترى أنك إذا قلت : عبد الله منطلق فالصدق والكذب إنما وقعا في انطلاق عبد الله لأن الفائدة في انطلاقه ، وإنما ذكرت عبد الله ، وهو معروف عند السامع ، لتسند إليه الخبر الذي هو الانطلاق» (١٨٤) ، كما يقول في مكان آخر الغرض في الإخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده . وتنزيله منزلته في علم ذلك الخبر، (١٨٥) وعرف شراح الألفية الخبر بأنه الجزء المتم الفائدة مع المبتدأ (١٨٦) .

(١٧٨) إشارة إلي قوله تعالى { فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة } - الحاقة ١٣ .

(١٧٩) إشارة إلي قوله تعالى { وقال الله لا تتخونا إلهين اثنين } - النحل ٥١ .

(١٨٠) شرح الكافية ٣٠٣/١ .

(١٨١) مع الهوامع ١٧١/٥ .

(١٨٢) راجع شرح قطر الندى ٤٠٢ ، شرح ابن عقيل ١٩١/٣ ، ١٩٢ ، مع الهوامع ١٧١/٥ .

(١٨٣) الأصول في النحو ٦٢/١ ، وقد جاءت إشارات في المقتضب مثل قوله «الفائدة للسامع في

الخبر» المقتضب ١٢٦/٤ .

(١٨٤) شرح ابن يعيش ٨٧/١ .

(١٨٥) نفسه ٨٥/١ .

(١٨٦) شرح ابن الناظم ١٠٨ و شرح ابن عقيل ٢٠١/١ ، أوضح المسالك ١٩٤/١ شرح الأشموني

يمكننا بعد ذلك أن نحدد الفرق بين الغرض من النعت والغرض من الخبر بأن النعت يأتي ليحدد (صفة) في المنعوت تفصله عن غيره فتوضحه ، وترفع الاشتراك إن كان المنعوت نكرة ، وبذلك يزيد النعت من تحديد المنعوت سواء كان معرفة أو نكرة . أما الخبر فلا يزيد المبتدأ تعريفاً أو تخصيصاً لأن المفترض في المبتدأ أن يكون معروفاً ليتم الحكم عليه بالخبر ، فيأتي الخبر لنتم به الفائدة مع المبتدأ ويعطى فائدة جديدة أو صفة جديدة للمبتدأ .

وقد عرف ابن يعيش العلاقة بين النعت والخبر ، وفرق بينهما بالوظيفة حيث قال : إن الصفة خبر في الحقيقة لأن جملتها تحتل الصدق والكذب ، إلا أن الفرق بينهما أنك في الصفة تذكر حالاً من أحوال الموصوف لمن يعرفها تعريفاً له عند توهم الجهالة بالموصوف وعدم الاكتفاء بمعرفته ، وفي الخبر إنما تذكر حال الذات لمن يجهلها فتكون هي محل الفائدة (١٨٧) .

أما عن فائدة الحال أو الغرض منه فنجد ابن السراج يقول : «الحال إنما هي هيئة الفاعل أو المفعول أو صفته في وقت ذلك الفعل المخبر به عنه» (١٨٨) ، ففائدة الحال أو الغرض منها إنما هو وصف الفاعل أو المفعول في وقت فعله الفعل أو (الخبر) ، ومن هنا سميت (حالا) لأنها تصف الفاعل أو المفعول في وقت وقوع الفعل وليس قبله ولا بعده ، وهذا ما يفهم من قولهم : «وإنما سميت الحال لأنه لا يجوز أن يكون اسم الفاعل فيها إلا لما أنت فيه» ، تطاول الوقت أو قصر . ولا يجوز أن يكون لما مضى وانقطع ولا لما لم يأت من الأفعال ويبتدأ بها» (١٨٩) .

وتأتي الحال من المضاف إليه كما هو في قوله تعالى ﴿ قُلْ بَلْ مَلَأَ بَصُورَهُمْ حَنِيفًا ﴾ - البقرة ١٣٥ وغيرها ، فيقال إن صاحب الحال في تلك الآيات في الحقيقة إنما هو الفعل أو المفعول على اعتبار أن المضاف جزء من المضاف إليه ، فتقدير الآية مثلاً : بل نتبع إبراهيم حنيفاً ، والحال من المفعول به (١٩٠) . على أن ابن الناظم جعل تلك الحال لبيان هيئة ما هو له» (١٩١) ، أي لبيان هيئة الفاعل أو المفعول أو المضاف إليه .

(١٨٧) شرح ابن يعيش ٥٨/٣ .

(١٨٨) الأصول في النحو ٢١٣/١ ، شرح ابن يعيش ٥٥/١ .

(١٨٩) نفسه .

(١٩٠) راجع : شرح الكافية ١٩٩/١ .

(١٩١) شرح ابن الناظم ٣١١ .

وإذا كانت هذه وظيفة الحال فإن الصفة (النعته) لاتؤديها ، أى أنها لاتبين هيئة الفاعل أو المفعول ، وإن جاءت الصفة (النعته) مبينة لهيئة الفاعل أو المفعول فإن ذلك التبیین - عند الرضى - لا يكون حاصلًا منها ، وإنما من الجملة ؛ فقولك «جاءنى رجل عالم وإن بين هيئة الفاعل لكنه لا دلالة فى لفظ (عالم) على أنه بيان لهيئة فاعل ، إذ لفظة (عالم) ها هنا مثلها فى قولك : زيد رجل عالم مع أنها مبينة لهيئة خبر المبتدأ لا هيئة الفاعل ، بل إنما علم كون عالم فى (جاءنى رجل عالم) بيانًا لهيئة الفاعل من تقدم قولك (جاءنى رجل) ، بخلاف الحال فإن (راكبًا) فى قولك : جاءنى زيد راكبًا ، ورأيت زيدا راكبًا لفظ فيه دلالة على كونه هيئة الفاعل أو المفعول ، حتى لو قلت : رجل قائمًا أخوك لم يجز لعدم الفاعلية والمفعولية فى (رجل)» (١٩٢) . والرضى فى هذا النص يحاول أن يدل على أن النعت لا يبين هيئة المنعوت وإن كان المنعوت فاعلاً أو مفعولاً ، وفى النص غموض ومغالطة ، فقولنا (جاءنى رجل) لاتفيد بيان هيئة الفاعل (رجل) ، كما لو أننا قلنا (جاءنى الرجل راكبًا) ، وهذا النص لايفيد إلا أن الحان تأتي منصوبة بعد الفاعل أو المفعول ؛ ولهذا قال إن (قائماً) فى (رجل قائماً أخوك) لا تجوز لعدم الفاعلية والمفعولية فى (رجل) ، ومع ذلك فأنا معه فى أن (عالم) فى الجملة المذكورة لاتبين هيئة الفاعل ولكن ليس ببراهينه تلك بل لأن لفظة (رجل) نكرة وتحتاج إلى ما يحددها ، كما أن لفظة (العالم) من الصفات اللازمة وما يبين الهيئة يكون منتقلاً وإذا كان الخبر تتم به الفائدة مع المبتدأ ، فإن الحال زيادة فى الخبر والفائدة يقول ابن السراج «ولاتكون الحال إلا نكرة ؛ لأنها زيادة فى الخبر والفائدة» (١٩٣) ، وقد فرق بذلك بين الحال والنعت فقال «والفرق بين الحال وبين الصفة (أن الصفة)» (١٩٤) ، تفرق بين اسمين مشتركين فى اللفظ ، والحال زيادة فى الفائدة والخبر ، وإن لم يكن للاسم مشترك فى لفظه .... فهذا فرق ما بين الصفة والحال ، وهو أن الصفة لا تكون إلا لاسم مشترك فيه لمعنيين أو لمعانٍ ، والحال قد تكون للاسم المشترك والاسم المفرد» (١٩٥) ، فالصفة إذن تفرق بين اسمين مشتركين ، أما الحال فإنه زيادة فى خبر اسم معروف محدد ، وهذه الزيادة «تفيد السائى والمحدث غير ما يعرف» (١٩٦) ، عند ابن السراج ، وإن

(١٩٢) شرح الكافية ١/١٩٨ .

(١٩٣) الأصول فى النحو ١/٢١٤ .

(١٩٤) زيادة ضرورية ليست فى التحقيق .

(١٩٥) الأصول فى النحو ١/٢١٤ .

(١٩٦) نفس المصدر والصفحة .



كانت الحال تجيء بعد تمام الكلام واستغناء الفعل بفاعله ، وأن في الفعل دليلاً عليها كما كان فيه دليل على المفعول، (١٩٧)، أي أن الحال فضلة وهو ما يفرق بينها وبين الخبر (١٩٨) .

وقد عرف ذلك عبد القاهر ؛ فالحال عنده خبر في الحقيقة لكنه يفترق عن خبر المبتدأ في أن خبر المبتدأ هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه ، أما الحال فإنه زيادة في خبر آخر، ومن هنا جاز ربط جملة الحال بالواو ؛ لأنها خبر آخر ، ولم يجز ذلك في جملة خبر المبتدأ (١٩٩) .

لقد فرق النحاة بين الحال والنعته والخبر بفروق شكلية سبق الحديث عنها ، لكن أهم فارق كان التفريق بالغرض الأساسي من التركيب أو الفائدة ، ويمكننا تلخيص ذلك في أن الخبر إنما هو عمدة أو ركن أساسي من ركني الجملة الاسمية تتم به الفائدة مع المبتدأ ويحصل به الإسناد ، أما الحال فهو فضلة وزيادة في الفائدة بعد تمام الجملة الفعلية يأتي ليبين هيئة الفاعل أو المفعول فهما معروفان ، والحال تبين هيئتهما في وقت دون آخر ، أما النعت فإنه يقوم بتوضيح المنعوت أو رفع اشتراكه مع آخر له نفس اسمه .

---

(١٩٧) شرح ابن بعيث ٥٥/٢ . أي انها فضلة ، والخبر عمدة .

(١٩٨) راجع : شرح ابن الناطم ٣١١ ، أوضح المسالك ٢٩٥/٢ ، شرح ابن عقيل ٢٤٣/٢ .

(١٩٩) راجع : دلائل الإعجاز ٢١٢ ، ٢١٥ .

## خاتمة :

يتبين من خلال هذا البحث أن بعض النحاة قد عرفوا للوصف معنيين أحدهما عام والآخر خاص ، واتسع المعنى العام ليشمل النعت والخبر والحال وغير ذلك .

اقتصرت هذا البحث على تلك الأبواب الثلاثة التي ارتبطت عند النحاة فعرفوا لها علاقات تشابه واختلاف ، وأشار البحث في البداية إلى معرفة النحاة بتلك الفروق وإشاراتهم ، ثم استند بعد ذلك على محاور تلك العلاقة ؛ ففي المصطلح وجدنا مصطلح (الصفة) أو (الوصف) أوسع من مصطلح (النعت) ، ولقد أطلق فيما أطلق على الحال ، فالحال وصف أو صفة ، كما أن النعت كذلك ، ولم يرد البحث التوسع مع النحاة في مفهوم الصفة لتشمل التوكيد مثلاً عند البصريين ، وإن كنا قد لمحنا معنى (الصفة) في التوكيد عند سيبويه والمبرد ، أو تشمل الظرف أو الجار والمجرور عند الكوفيين وإن كان لهذه الأشياء موقعية الصفة بالمعنى العام حيث تقع هذه الأشياء في موقع الحال أو الخبر أو النعت .

ثم تطرق البحث إلى علاقات التشابه والاختلاف بين الأبواب الثلاثة ، ومما عرضه في ذلك التشابه في علاقات الجزئين ، فالأول هو الثاني في المعنى ، وعلى ذلك فالخبر هو المبتدأ في المعنى ، والحال هو صاحب الحال في المعنى ، والنعت هو المنعوت في المعنى . ثم التشابه أو الاختلاف في شروط الموقعية ومن ذلك شرط الاشتقاق الذي كان من شروط ما يقع خبراً أو حالاً أو نعتاً ، وكذلك التأويل بالمشتق ، كما وجدنا اختلافهم حول وقوع المصدر خبراً أو حالاً أو نعتاً وتأويله بالمشتق ، وكذلك وجدنا تشابهاً واختلافاً في شروط الجملة الواقعة خبراً أو حالاً أو نعتاً .

ثم يأتي بعد ذلك الفرق بين الأبواب الثلاثة بالغرض أو الفائدة أو الوظيفة الدلالية ، فالأبواب الثلاثة وإن كانت تؤدي وظيفة الوصف بشكل عام إلا أن لكل باب وظيفة دلالية تختلف عن وظيفة الباب الآخر ، وهذا الفارق الدلالي أهم الفروق بين الأبواب الثلاثة ، وقد عرف النحاة ذلك ودققوا فيه ، ولهذا فإنهم لم يضموا تلك الأبواب في باب واحد ، وإنما لكل وظيفته الخاصة كما كانت له شروطه الشكلية .

### المصادر والمراجع

- ١- الأزهرى (الشيخ خالد الأزهرى ت ٩٠٥ هـ)
  - شرح التصريح على التوضيح ، وبهامشه حاشية الشيخ يس العليمى ، القاهرة ، عيسى البابى الحلبي (د.ت) /
- ٢- الأشمونى (نور الدين على بن محمد بن عيسى ت ٩٢٩ هـ)
  - شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ م ط ٣ .
- ٣- ابن الأنبارى (أبو البركان كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧ هـ)
  - الاتصاف فهى مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة المكتبة التجارية (د.ت) .
- ٤- الأنبارى (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار)
  - إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عز وجل ، تحقيق محيى الدين رمضان ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٣٩١ هـ - / ١٩٧١ م .
- ٥- ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٢٩١ هـ)
  - مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون
  - القسم الأول : القاهرة دار المعارف ١٩٦٩ م ط ٣ .
  - القسم الثانى : القاهرة دار المعارف ١٩٨٠ م ط ٤ .
- ٦- الجامى (نور الدين عبد الرحمن ت ٨٩٨ هـ)
  - الفوائد الضيائية ، شرح كافية ابن الحاجب ، دراسة وتحقيق أسامة طه الرفاعى ، بغداد وزارة الأوقاف والشىءون الدينية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٧- الجرجانى (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت ٤٧٤ هـ)
  - كتاب الجمل فى النحو ، تحقيق يسرى عبد الغنى عبدالله ، بيروت ، دار الكتب العلمية ١٩٩٠ م ، ط ١ ، .
  - دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر القاهرة ، الخانجى ١٩٨٤ م .

- المقتصد فى شرح الإيضاح ، تحقيق كاظم بحر المرجان ، بغداد ، وزارة الثقافة العراقية ١٩٨٢ م .
- ٨ - الجزولى (أبو موسى عيسى بن عبد العزيز ت ٦٠٧ هـ)
- المقدمة الجزولية فى النحو ، تحقيق شعبان عبد الوهاب محمد ، القاهرة ، مطبعة أم القرى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م ، ط ١ .
- ٩- ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ)
- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، القاهرة دار الكتب المصرية ، ط ٢ (د . ت) ، اللمع فى العربية ، تحقيق حسين شرف ، القاهرة ، عالم الكتب ١٩٧٩ م ط ١ .
- ١٠- الجوهري (أبو نصر)
- تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- ١١ - ابن الحاجب (ابو عمر عثمان بن عمر ت ٦٤٦ هـ)
- الإيضاح فى شرح المفصل ، تحقيق موسى بنى العليلى ، بغداد ، وزارة الأوقاف العراقية ١٩٨٣ م .
- ١٢- الحيدرة اليمنى (على بن سليمان ت ٥٩٩ هـ)
- كشف المشكل فى النحو ، تحقيق هادى عطية مطر ، بغداد ، وزارة الأوقاف العراقية ١٩٨٤ م .
- ١٣- الراجحى (الدكتور عبده الراجحى)
- النحو العربى والدرس الحديث ، بيروت ، النهضة العربية ١٩٧٩ م .
- ١٤- الرازى (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى)
- مختار الصحاح ، ترتيب السيد محمود خاطر ، القاهرة ، الهيئة العامة لشىءون المطابع الأميرية ١٩٦٢ م .
- ١٥- رضى الدين الاستراباذى (محمد بن الحسن ت ٦٨٦ هـ)
- شرح كتاب الكافية فى النحو ، بيروت ، دار الكتب العلمية ١٩٨٢ م ط ٣ .

١٦- زكريا ، ميشال. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ - / ١٩٨٦م ط٢ .

١٧- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت ٣٤٠هـ) -  
- الجمل في النحو ، تحقيق على توفيق الحمد، بيروت ، دار الرسالة والأمل  
١٩٨٦م ط٢ .

١٨- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ٤٦٧ - ٥٣٨هـ) -  
- المفصل، القاهرة، التقدم، ١٣٢٣هـ) .

١٩- السامرائي، إبراهيم . المدارس النحوية أسطورة وواقع ، بيروت ، مؤسسة الرسالة  
١٩٨٩م .

٢٠- ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري ، ت ٣١٦هـ) -  
- الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، الرسالة ١٩٨٥م ط١ .

٢١- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ) -  
- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٦٦ -  
١٩٧٧م .

٢٢- سيرل (جون) -  
- تشومسكي والثورة اللغوية ، مجلة الفكر العربي (طرابلس - ليبيا) ، العددان ٨، ٩،  
يناير - آذار ١٩٧٩م ص ١٢٣ - ١٤٣ .

٢٣- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ٩١١هـ) -  
- همع الهوامع ، تحقيق عبد العالم سالم مكرم ، وعبد السلام هارون، الكويت -  
دار البحوث العلمية ١٩٧٧ - ١٩٨٠م .

٢٤- الشلّوبين (أبو على عمر بن محمد ت ٦٤٥هـ) -  
- التوطئة ، تحقيق يوسف المطوع ، القاهرة ، دار التراث العربي ١٩٧٣م .

٢٥- الصيمري (أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق) -  
- التبصرة والتذكرة ، تحقيق فتحى أحمد مصطفى ، دمشق، دار الفكر ، سلسلة  
(من التراث الإسلامي)، جامعة أم القرى، ٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ط١) .

- ٢٦- ضيف (دكتور شوقى ضيف)  
 - المدارس النحوية ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨ م ط٢ .
- ٢٧- طبانة ، بدوى، معجم البلاغة العربية، جدة والرياض، دار المنارة، دار الرفاعى  
 ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ط٣ .
- ٢٨- عاصى ، ميشال، وإميل بديع يعقوب المعجم المفصل فى اللغة والأدب، بيروت،  
 دار العلم للملايين ١٩٨٧ م ط١ .
- ٢٩- عبد اللطيف ، محمد حماسة عبد اللطيف النحو والدلالة ، القاهرة مطبعة المدينة  
 ١٩٨٣ م .
- ٣٠- ابن عصفور (أبو الحسن على بن مؤمن ت ٦٦٩هـ)  
 - المقرب ، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبورى، بغداد، وزارة  
 الأوقاف والشئون الدينية، مطبعة العانى ١٩٨٦ م .
- ٣١- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله ت ٧٦٩هـ)  
 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،  
 القاهرة دار التراث ١٩٨٠ م ط٢٠ .
- المساعد على تسهيل الفوائد ، تحقيق محمد كامل بركات ، دمشق ، دار الفكر  
 سلسلة (من التراث الإسلامى) جامعة أم القرى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .
- ٣٢- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ)  
 - الصحبى فى فقه اللغة ، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، عيسى البابى (د.  
 ت) ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٦٦ - ١٣٧١ هـ .
- ٣٣- الفاكهى (عبد الله بن أحمد ٨٩٩ - ٩٧٢هـ)  
 - شرح كتاب الحدود فى النحو ، تحقيق المتولى رمضان أحمد الدميرى، القاهرة،  
 دار التضامن للطباعة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .
- ٣٤- الفيروزابادى (أبو طاهر محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ) ،  
 - القاموس المحيط، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م .
- ٣٥- الفيومى (أحمد بن محمد)  
 - المصباح المنير، القاهرة، المطبعة الأميرية (د.ت) .

- ٣٦- ابن كمال باشا (شمس الدين أحمد بن سليمان)  
- أسرار النحو تحقيق أحمد حسن حامد ، عمان، الأردن، دار الفكر (د.ت) .
- ٣٧- ليونز (جون)  
- نظرية تشومسكى اللغوية، ترجمة د. حلمى خليل، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥م ط ١ .
- ٣٨- ابن مالك (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى ت ٦٧٢هـ)  
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة دار الكاتب العربى ١٩٦٨م .
- شرح الكافية الشافية ، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدى مكة المكرمة سلسلة (من التراث الإسلامى) ، جامعة أم القرى، دار المأمون للتراث ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ط ١ .
- ٣٩- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ٢١٠-٢٨٥هـ)  
- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشىءون الإسلامىة لجنة إحياء التراث ١٩٧٩م ط ٢ .
- ٤٠- المخزومى (مهدى)  
- مدرسة الكوفة ، القاهرة ، مصطفى البابى الحلبي ١٩٥٨م .
- ٤١- ابن معطى (زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطى المغربى ٥٦٤-٦٢٨هـ)  
- الفصول الخمسون ، تحقيق محمود محمد الطناجى، القاهرة، عيسى البابى الحلبي ١٩٧٧م .
- ٤٢- ابن منظور الإفريقى ، لسان العرب، القاهرة، بولاق ١٣٠٠-١٣٠٧هـ .
- ٤٣- ابن الناظم (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك)  
- شرح ألفية بن مالك ، تحقيق عبد الحميد السيد عبد الحميد ، بيروت، دار الجبل (د.ت) .

- ٤٤- النحاس (أبو جعفر أحمد بن إسماعيل ت ٣٨٨هـ)
- إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب والنهضة العربية ١٩٨٥ م ط٢
- شرح القوائد التسمع المشهورات ، تحقيق أحمد خطاب، بغداد، وزارة الإعلام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م.
- ٤٥- ابن هشام (جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ)
- أوضح المسالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩
- شرح شذور الذهب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ، دار الأنصار ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م ط١٥ .
- شرح قطر الندى ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي (د. ت) .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، بيروت، دار الفكر ١٩٨٥ م ، ط٦ .
- ٤٦- ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي ابن يعيش ت ٦٤٣هـ)
- شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري ، عالم الكتب ببيروت ، المتنبي بالقاهرة (د. ت) .



**الفصل الثاني**  
**العلاقة بين المطابقة العددية**  
**والسياق في الدراسات اللغوية**  
**والقرآنية**



## الفصل الثاني

### العلاقة بين المطابقة العددية

#### والسياق في الدراسات اللغوية والقرآنية

#### مقدمة

المطابقة هي الاتفاق أو الموافقة (١) ، وقد جاءت بهذا المفهوم عند النحاة (٢) ، ومفهوم المطابقة عند علماء اللغة المحدثين هو نفسه مفهومها عند النحاة (٣) ، وقد درس البلاغيون تحت مصطلح (المطابقة) ظاهرة أخرى تختلف تماماً عن الظاهرة النحوية ، أما هذه الظاهرة فتدخل - عندهم - في باب بلاغى كبير هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وقد اهتموا بدراسة الالتفات ، ولو توسعوا به لشمّل المخالفة في العدد والشخص والنوع والتعيين (التعريف والتكثير) والعلامة الإعرابية (٤) ، فكلها فروع على الالتفات ؛ لأن الغرض منها لفت المخاطب وشد انتباهه ، يقصد هذا البحث إلى دراسة المطابقة في فصيلة العدد (الإفراد والتثنية والجمع) ، ولا يتطرق إلى دراسة ما عرفَ بتمييز العدد فتلك دراسة أخرى .

والهدف من الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن وعى دراسى القرآن بمخالفة النص القرآنى للمطابقة العددية ، وإبراز اختلافاتهم في تبرير الظاهرة ، وتأويلاتهم للخروج عن المطابقة ، سواء أكانت تلك التبريرات لغوية تنتمى إلى السياق اللغوى ، أو غير لغوية تنتمى إلى السياق الخارجى الذى يعتمد على ظروف ومناسبات النص ، من أحاديث مفسرة للنص ، أو أسباب نزول ، أو ربط النص بما فى الواقع الخارجى من أحداث ، أو أحكام شرعية . ويحاول البحث تبين الدوافع وراء تلك التبريرات والمنطق الذى يتحكم فيها ، وربطها بالدراسات الحديثة ، والدراسات المقارنة على وجه الخصوص .

(١) لسان العرب (طبق)

(٢) انظر: شرح الكافية ٢٢٧/١ ، شرح ابن عقيل ١٩٣/٣ ، ١٩٤ مع الهوامع ١٧٢/٥ ، ١٧٤ .

(٣) انظر إحياء النحو ٨٥،٥٦ أبحاث في اللغة ٦٩ وما بعدها ، دراسات في علم اللغة ١٤٥/٢ ، المدخل إلى علم اللغة ٣٠١ وما بعدها ، اللغة العربية معناها ومبناها ٢١١ وما بعدها ، مناهج البحث في اللغة ٢٣٨ وما بعدها ، مقالات في اللغة والأدب ٣٥٧ .

(٤) انظر في المقصود بهذه المصطلحات : اللغة العربية معناها ومبناها ٢١٢ .

إن تحليل هذه الظاهرة لايجوز قصره على الجانب الصرفي والنحوي بل يجب أن يتعدى ذلك إلى الجانبين الدلالي والسياقي، وإذا كان لكل لغة منطقها الخاص، فإننا يمكن أن نقول - أيضاً - إن لكل نص منطقها الخاص ، والنص القرآني له ظروفه الخاصة التي تطرح على الباحث فيه طريقة محددة للتناول ، فهو نص لا يكفي فيه أن نتبين دلالاته من داخله لابد من مراعاة الظروف الخارجية التي تدخل بالتالي في سياق الحال - أو المقام ، وتؤدي دورها الأكبر في كشف دلالة النص المدروس التي هي في النهاية الهدف الأسمى للتحليل اللغوي .

وقد سبقنا إلى دراسة الظاهرة بحثان : أحدهما لغوي ، والآخر بلاغي ، والبحث الأول بعنوان (ظاهرة المطابقة في ضوء الاستعمال القرآني وهي رسالة دكتوراه أعدها طه محمد عوض الله الجندي بكلية دار العلوم ١٩٨٨ م ؛ بإشراف كل من أ. د. أمين علي السيد وأ. د عبد الرحمن محمد السيد .

وقد تناولت تلك الدراسة الظاهرة بأنواعها المختلفة من مطابقة عددية ومطابقة في النوع والتعيين والإعراب ، وانقسم بحث العدد عنده إلى قسمين تحدث في أولهما عما يتصل بالظاهرة من مباحث لغوية ثم تناول في القسم الثاني الحمل على المعنى<sup>(٥)</sup>.

وينطلق الباحث في رسالته من وجهة نظر مخالفة لما نريد من هذا البحث ؛ فقد اعترض على د. تمام حسان في جعله مخالفة المطابقة من الترخص ، وقال إن «محاولة إيجاد ضابط نحوي لهذه التراكيب أولى من القول بالشذوذ أو الترخيص، وبخاصة فيما يتصل بالقرآن وقراءاته،<sup>(٦)</sup>. ثم نفى أن يكون هناك من التراكيب ما يفتقد المطابقة ، حيث يتساءل أولاً : هل ثمة تراكيب لغوية افتقدت المطابقة، مع وجود تحققها فيها ؟ ثم يجيب بعد ذلك بأنه «لاوجود لتراكيب لغوية يفتقد المطابقة، وما بدا في ظاهره مفتقداً لها يمكن رده إليها باطراده في المواطن اللغوية المماثلة، وبمجموع أقوال النحاة<sup>(٧)</sup>. فالباحث ينفي وجود المخالفة ، ويرد كل ما جاء مخالفاً للمطابقة بالاطراد وبمجموع أقوال النحاة ، ولا أعرف لذلك معنى إلا محاولة تبرير تلك المخالفة ، وقد جاءت تبريراته صرفية نحوية كما قال بالحمل على المعنى ، ولكن هل هذا كل ما جاء عند القدماء من تبريرات؟ وهل يكفي الجانب الصرفي والنحوي لتبرير

(٥) انظر : ظاهرة المطابقة ٧٦ وما بعدها .

(٦) نفسه من المقدمة .

(٧) ظاهرة المطابقة المقدمة (ك)

الخروج على المطابقة؟ وهل يقف التحليل الدلالي عند الحمل على المعنى أم أنه يتعداه إلى كل ما يرتبط بالمقام؟ تلك أسئلة نحاول أن نجيب عليها في هذه الدراسة.

والباحث يعلن أنه يخرج كل ما يتعلق بالدلالة والبحث الدلالي من بحثه ويحيله إلى الدراسات البلاغية، حيث يقول: «أما فيما يتعلق بالنظر إلى الأنماط اللغوية بوصفها دوال تشير إلى مدلولات تقع خارج التركيب اللغوي، وهو ما يسمى بالمقام، تكون العلاقة دلالية سيمانتيكية وهنا تبدأ البلاغة وينتهي البحث النحوي، فيمكن أن نلاحظ ظواهر لانعدام المطابقة، وأبرزها ما يسمى بالالتفات البلاغى... وهذه الظواهر - في رأينا تقع خارج البحث النحوي، ومن ثم كان استبعادنا لها؛ لأنها في كل ذلك تخضع لمعايير جمالية، ومقاصد بلاغية في الأسلوب، (٨).

ومع احترامنا لوجهة نظر الباحث إلا أننا ننطلق من مفهوم مغاير تماماً لما رآه هذا المفهوم يعد الدراسات البلاغية في القديم مما يدخل في مباحث علم اللغة الحديث، فجهود البلاغيين العرب لها مكانها وتقديرها في دراسة الجملة، وهي المكمل الطبيعي لجهود النحاة في هذا الميدان، (٩)، كما يعتمد هذا البحث التحليل الدلالي للتركيب اللغوي؛ إذ إن الهدف الأساسي للبحث اللغوي الحديث إنما هو دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن معنى، ومن ثم يعد المعنى عنصراً مهماً في دراسة بناء الجملة، (١٠).

كما يعتمد هذا البحث الظروف الخارجية أو المقام أو سياق الحال، ويرى أن كل ذلك مناسب لدراسة الظاهرة في القرآن الكريم الذي لا يقف من درسه من النحاة عند لفظه، بل يتعداه إلى المعنى وارتباط اللفظ بالمعنى، ذلك المعنى الذي لا يكتمل إلا باللجوء إلى السياقين اللغوي والمقامي، ويتمثل السياق اللغوي في القرآن كله، كما يضم السنة النبوية باعتبارها مفسرة للقرآن، ويدخل في السياق المقامي أسباب النزول، والموقف الكلامي، وتوجيه الخطاب، كما يدخل فيه أقوال المفسرين وتأويلاتهم. كما يعتمد البحث النظرات الجمالية ما دامت تعطى تفسيراً للظاهرة.

أما البحث الآخر فهو بعنوان (أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د.حسن طبل)، وهو بحث بلاغى اهتم فيه الباحث بدراسة الالتفات البلاغى وصوره في

(٨) ظاهرة المطابقة (ك).

(٩) مدخل إلى علم اللغة ٦٩ توانظر ٧٠.

(١٠) نفسه ٦٧.

القرآن، وتمثل دراسة الالتفات في العدد جزءاً منه . ويهتم البحث بالجانب البلاغى للظاهرة وتختلف وجهته عما نحن فيه .

يقوم هذا البحث على مصادر أساسية هي تلك الكتب التي اهتمت بدراسة النص القرآنى وإعرايه وعلومه ، وهناك مجموعة من كتب الأفراد والتثنية والجمع تنسب إلى القدماء لم يصلنا منها إلا ما نقله السيوطى فى المزهرة (١١) ، وقد جاءت إشارات وأبواب فى بعض المعاجم من مثل ما جاء فى جمهرة اللغة فى (باب ما يكون الواحد والجماعة فيه سواء فى النوع) (١٢) ، وقد جعل ابن قتيبة من طرق القول ومآخذه عند العرب مخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين (١٣) ، ثم عدداً أمثلة ذلك فى باب (مخالفة ظاهر اللفظ معناه) (١٤) .

وبحث ابن جنى ذلك فى باب الحمل على المعنى (١٥) ، وأكثر أمثله من الشعر (١٦) ، وله نظرات أخرى فى المحتسب وجاءت عند ابن فارس أبواب ترصد الظاهرة ، استشهد فيها بالقرآن والشعر (١٧) وقد أتبع تلك الأبواب بأبواب الالتفات (١٨) ، مما يشير إلى ارتباط الظاهرتين ، ونقل السيوطى فى المزهرة ما جاء عند ابن فارس (١٩) ، ورصد الثعالبي بعض أمثلة الظاهرة ومثل لها من القرآن والشعر (٢٠) ، وعرف الزركشى الظاهرة وجاءت دراستها عنده متفرقة فى مواضع كثيرة وبخاصة حين اهتم بالخطاب القرآنى .

وأخيراً فإن هذا البحث ينقسم إلى الأقسام التالية :

- 
- (١١) انظر : المزهرة ١٩١/٢ وما بعدها ، المعجم العربي . د. حسين نصار ١٧٢/١ وما بعدها .
  - (١٢) جمهرة اللغة ٤٢٨/٣ .
  - (١٣) تأويل مشكل القرآن . ٢٠ .
  - (١٤) نفسه ٢٧٥ وما بعدها .
  - (١٥) الخصائص ٤١١/٢ .
  - (١٦) نفسه ٤١٩/٢ - ٤٢٣ .
  - (١٧) الصحابي فى فقه اللغة ٣٤٨ وما بعدها .
  - (١٨) نفسه ٣٥٦ وما بعدها .
  - (١٩) المزهرة ٢٢٢/١ وما بعدها .
  - (٢٠) فقه اللغة وأسرار العربية ٢١٢ ، ٢١٤ .

أولاً : العلاقة بين المفرد والمثنى :

- ١- التعبير بالمفرد عن المثنى .
- ٢- التعبير بالمثنى عن المفرد .
- ٣- خاتمة فى العلاقة بين المفرد والمثنى .

ثانياً : العلاقة بين المفرد والجمع :

- ١ - التعبير بالجمع عن المفرد .
  - أ - استعمال ضمير الجمع .
  - ب - مخالفة المطابقة للواقع الخارجى -
  - ج - عموم الحكم الشرعى .
- ٢- التعبير بالمفرد عن الجمع :
  - أ - المصادر والمشتقات .
  - ب - الألفاظ الدالة على الجنس .
  - ج - المبهمات (كل - الأسماء الموصولة) .

ثالثاً : العلاقة بين المثنى والجمع :

- ١- التعبير بالمثنى عن الجمع .
- ٢- التعبير بالجمع عن المثنى .
  - أ - عودة ضمير الجمع على معطوفين .
  - ب - ما يختص بأعضاء جسم الإنسان .
  - ج - ما لفظه جمع وهو مثنى فى الواقع الخارجى .
  - د - خاتمة فى العلاقة بين المثنى والجمع .

رابعاً : خاتمة .

خامساً : ثبت المصادر والمراجع

## أولاً : العلاقة بين المفرد والمثنى

### ١- التعبير بالمفرد عن المثنى :

عرف النحاة هذه الظاهرة ، وبحثوا عن تبرير لها ، هذا التبرير قد يكون لغوياً ، أو لفظياً جمالياً ، وقد يكون تبريراً دلالياً .

أ - من الآيات التى تمثل تلك الظاهرة قوله تعالى - على لسان فرعون - ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴾ - طه ٤٩ حيث تحوّل الكلام من خطاب الاثنين فى لفظة (ريكما) إلى خطاب الواحد فى (ياموسى) .

وقد علل الفراء ذلك بعلّة دلالية هى أن الكلام - الإجابة المطلوبة - يكون من واحد لا من جميع (٢١) ، وعلل الزمخشري ذلك بأن موسى هو الأصل فى النبوة ، وهارون وزيره وتابعه ، أو أن فرعون يطلب الإجابة من موسى خاصة لأنه يعلم ما فى لسانه من عجز (٢٢) .

وإذا برز فى تعليل الفراء والزمخشري الجانب الدلالي الذى يعتمد على ظروف الخطاب والموقف الكلامى ، فإننا نجد عند الزركشى والعكبرى التعليل النحوى حيث أجاز أن يكون (هارون) منادى محذوقاً للعلم به (٢٣) ، كما نجد العلة الجمالية عند القرطبي ، وهى أنه ذكر (موسى) لردوس الآى (٢٤) إذ إن آيات السورة تنتهى بالألف اللينة ، فجاء بموسى مراعاة للفاصلة .

ب - وقد جمع الفراء بين قوله تعالى ﴿ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ - الشعراء ١٦ وقوله سبحانه ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ - طه ٤٧ ، فأجاز الإفراد والتثنية ، لأن الرسول قد يكون للجمع وللأثنين والواحد ، واستشهد على ذلك بقول أبى ذؤيب الهذلى (٢٥) :

الكنى إليها وخير الرسول ل أعلمهم بنواحي الخبر

(٢١) معاني القرآن للفراء ١٨٠/٢ .

(٢٢) الكشاف ٥٣٩/٢ ، وانظر أيضاً البحر المحيط ٢٤٧/٦ ، التبيان للعكبرى ٨٩٢/٢ .

(٢٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٢٤٠/٢ ، التبيان للعكبرى ٨٩٢/٢ .

(٢٤) تفسير القرطبي ٤٣٧٦ .

(٢٥) انظر : ديوان الهذليين ١٤٦/١ .



أى خير الرسل (٢٦).

وإذا تأملنا قوله نجده يفتح باب التعليل اللغوي حيث لفظة (الرسول) قد تطلق على المفرد والمثنى والجمع ، وهو مانجده عند الأخفش أيضاً - على اقتضائه - حيث يقول إن (الرسول) فى استعمالها تشبه (العدو) ، فتقول : هما عدو لى (٢٧) .

ويتابع أبو عبيدة التعليل اللغوي ، فيقول : إن (رسول) هنا بمعنى (رسالة) ومجاز الكلام : إنا رسالة رب العالمين ، ويستشهد بقول عباس بن مرداس :

ألا من مبلغ عنى خفافاً رسولاً يبت أهلك منتهاها

حيث دلت إضافة الضمير المؤنث فى (منتهاها) على تأنيث لفظة (رسول) لأنها فى البيت بمعنى (رسالة) ، كما يستشهد بقول كثيرة عزة :

لقد كذب الواشون ما بُحْتُ عندهم بسرُّ ولا أرسلتهم برسولٍ

أى برسالة (٢٨)

ف (رسول) قد تستعمل استعمال المصدر فلا تثنى ولا تجمع مثل (عدو) - كما مثل الأخفش - وقد تحمل على معنى (رسل) كما فى كلام الفراء واستشهاده ، أو على معنى (رسالة) وهو ما جاء فى كرم أبى عبيدة واستشهاده .

ويفرق الزمخشري (٢٩) بين استعمالين للفظ (رسول) ، فهى قد تكون بمعنى (مرسل) - اسم المفعول - وهنا لا بد من تثنيها وجمعها ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى ﴿ إِنَّا رَسُولًا رَبِّكَ ﴾ - طه ٤٧ ، وقد تكون بمعنى (رسالة) - المصدر - فيوصف بها الواحد والاثنان والجماعة ، واستشهد على الأول ببيت أبى ذؤيب ، وعلى الثانى ببيت كثير .

لكن الزمخشري لم يكتف بذلك بل راح يلتمس علة دلالية لتوحيد (رسول) إلى جانب العلة اللغوية - وهى أن موسى وهارون متساندان متفقان ، على شريعة واحدة

(٢٦) معاني القرآن للفراء ١٨٠/٢ .

(٢٧) معاني القرآن للأخفش ٤٢٦ .

(٢٨) مجاز القرآن ٨٤/٢ ، ٨٥ .

(٢٩) الكشف ١٠٨٠٧/٣ .

أخوان؛ فكان حكمهما واحداً ، وكأنهما رسول واحد ، أو أن مراد الكلام أن كل واحد منهما رسول .

ونجد العلتين اللغوية والدلالية عند العكبري أيضاً ، حيث (رسول) بمعنى (رسالة) ، أى : أنا رسالة رب العالمين على المبالغة ، أو أنه - سبحانه - اكتفى بأحدهما إذا كانا على أمر واحد، أو بموسى لأنه هو الأصل (٢٠).

واقصر ابن الأنباري (٢١) على العلة اللغوية ف- (رسول) المراد به الجنس لا العدد ، ولذلك جاءت موحدة ، أو أنها بمعنى (رسالة) كما جاء في شعر كثير (٢٢).

ج - وفي قوله تعالى ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ - طه ١١٧ نجد أول الخطاب (الإخراج) موجهاً للمثنى - آدم وحواء - وآخره (فتشقى) موجهاً إلى واحد - آدم - ، وقد اكتفى النحاس بقوله : إن المعنى معنى ، وإن آدم هو المضاطب والمقصود (٢٣).

وعلى الزمخشري ذلك بأن في شقاء الرجل وهو قِيمُ أهله وأميرهم شقاءهم ، كما أن ضمن سعادته سعادتهم ، فاختصر الكلام بإسناده إلى آدم ، أو أن المراد بالشقاء التعب في طلب القوت ، وهو منوط بالرجل ، ويضيف إلى العلة المعنوية علة لفظية جمالية وهي المحافظة على الفاصلة (٢٤).

وإذا كان الزمخشري قد قدم العلة المعنوية على اللفظية ، فإن العكبري يعكس ذلك ، فيقول : إن الأفراد بعد التثنية لتتوافق رؤوس الآي ، ولأن آدم عليه السلام هو المكتسب (٢٥) ، وأضيف ابن عطية سبباً معنوياً آخر ، وهو الإغضاء عن ذكر المرأة ، فمن الكرم ستر الحرم (٢٦).

وفيما سبق يتضح ما جاء عندهم من تبرير لغوي أو جمالي أو تبريرات دلالية تعتمد على اجتهادات تفسيرية ، تعتمد بدورها على الموقف الكلامي أو سياق الحال .

(٢٠) التبيان للعكبري ١٩٤/٢ .

(٢١) البيان لابن الأنباري ٢١٢/٢ .

(٢٢) راجع : تفسير القرطبي ١/٧ ، ٤٩٧٢ .

(٢٣) إعراب القرآن للنحاس ٥٨/٣ .

(٢٤) الكشاف ٥٥٥/٢ ، ٥٥٥٦ .

(٢٥) التبيان للعكبري ١٠٦/٢ .

(٢٦) البرهان للزركشي ٢٤٠/٢ ، ٢٤١ .

د - نسبة الفعل لأحد الشئيين :

قد يكون الفعل لاثنين فينسب لأحدهما ، وهو ما أشار إليه ابن قتيبة (٣٧) ، ونقله عنه ابن فارس (٣٨) ، والسيوطي (٣٩) .

والقياس عند الأخفش إذا كان العطف بالواو أن تأتي بضمير المثنى؛ فنقول : زيد وعمرو ذاهبان ، وليس (ذاهب) ، أما مع العطف ب- (أو) فإننا نخبر عن أحد الشئيين ، وللمتكلم أن يختار بين أن يعود الضمير على الأول أو على الآخر، وإن كان القياس - عنده - أن يعود على الآخر لقربه .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ - البقرة (٤٥) ، ففي الآية عطفت (الصلاة) على (الصبر) بالواو وعاد الضمير على أقربهما وهو (الصلاة) ، وقد كثرت العطل النحوية والمعنوية لذلك ، فقد أجاز الأخفش عود الضمير على الأول أو الآخر في مثل هذه الآية (٤٠) ، وقال أبو عبيدة إن الأكثر عود الضمير على الذى يلي الفعل من مثل قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضى والرأى مختلف (٤١)

وأجاز النحاس فى الآية عود الضمير على الاسمين أو أيهما الأول أو الآخر (٤٢) . وأجاز بعضهم أن يقع الضمير على شىء آخر التمسه من السياق اللغوى أو من سياق الحال ، فقد أجاز القيسى أن يكون الضمير فى (وإنها) عائداً على الكعبة ، أو الاستعانة ، بدليل (واستعينوا) ، حيث دل الفعل على المصدر ، مع ترجيح أن يعود على الصلاة لقربها من الضمير (٤٣) وأجاز الزمخشري - اعتماداً على السياق اللغوى - أن يكون الضمير عائداً على جميع الأمور التى أمر بها بنو إسرائيل ، ونهوا عنها ، من قوله : ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي﴾ - البقرة ٤٠ إلى (واستعينوا) (٤٤) .

(٣٧) تؤول مشكل القرآن ٢٨٨ .

(٣٨) الصحابي في فقه اللغة ٣٦٢ .

(٣٩) المزهر للسيوطي ٣٣/١ .

(٤٠) معاني القرآن للأخفش ٨١/١ وانظر أمثله الشعري

(٤١) مجاز القرآن ٣٩/١ .

(٤٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٢٠/١ ، ٢٢١ .

(٤٣) مشكل إعراب القرآن ٩٢/١ وانظر البيان ٧٩/١ .

(٤٤) الكشف ٢٧٨/١ .

واستعان العكبرى بسياق الحال والظروف الخارجية فأجاز أن يكون الضمير عائداً على القبلة ، لدلالة الصلاة عليها ، ولأن التحول إلى الكعبة كان شديداً على اليهود(٤٥).

وقد جمع أبو حيان تلك الآراء ، وأضاف إليها ، فوصلت الأقوال عنده إلى سبعة ، وقال إن عودة الضمير إلى أقرب الاسمين - وهو الصلاة - هي القاعدة التي لا تخالف إلا بدليل ، ثم أضاف علة معنوية أخرى وهي أن الصلاة أهم ولهذا عاد الضمير عليها ، وكذلك كانت التجارة أهم في آية الجمعة(٤٦) فعاد الضمير عليها دون اللهو(٤٧).

وإذا كان القياس عودة الضمير على الأقرب ، فإننا نجد قراءة عبد الله على ذلك حيث قرأ (وإذا رأوا لهواً أو تجارة انفضوا إليها)(٤٨) فجاءت (تجارة) أقرب للضمير.

وتدخل هذه الأمثلة عند سيبويه فيما عُرِف من بعده بالتنازع ، حيث يستغنى بخبر الاسم الآخر ، لأنه أقرب عن خبر الأول ، ولدلالة خبر الثاني على المحذوف(٤٩) ، وقد تبع المبرد سيبويه في ذلك(٥٠).

وقد وقف الفراء عند قول الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ - التوبة ٦٢ وقفة دلالية فقال «وحد (يرضوه) ، ولم يقل : يرضوهما؛ لأن المعنى - والله أعلم- بمنزلة قولك : ماشاء الله وشئت ؛ وإنما يقصد بالمشيئة قصد الثاني ، وقوله : ماشاء الله ، تعظيم الله مقدم قبل الأفاعيل ، كما تقول لعبدك : قد أعثقك الله وأعتقك،(٥١).

فالمقصود بالإرضاء عنده هو الثاني - الرسول - أما تقديم ذكر الله فهو للتعظيم

(٤٥) التبيان للعكبري ١/٥٩ .

(٤٦) قوله تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انتفضوا إليها - الجمعة ١١) حيث عاد الضمير على (تجارة) وإن تقدمت للأهمية .

(٤٧) انظر : البحر المحيط ١/ ١٨٥ ، التبيان ٢/ ١٢٢٣ .

(٤٨) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥٧ .

(٤٩) انظر الكتاب ١/ ٧٥ ، ٧٦ .

(٥٠) المقتضب ٤/ ٧٢ ، ٣/ ١١٢ .

(٥١) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٤٥ .

فحسب ، ويجوز - عنده - أن يكون المعنى (يرضوهما) واكتفى بواحد (٥٢).

وقد عرض النحاس مذهبين : أحدهما لسببويه وهو أن التقدير : والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه ، ثم حذف ، والآخر مذهب المبرد : أنه لا حذف في الكلام ، والتقدير : والله أحق أن يرضوه ورسوله ، على التقديم والتأخير (٥٣) ، والهاء في (يرضوه ) على مذهب سببويه تعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى مذهب المبرد تعود على الله تعالى ، وما عرضه النحاس - وغيره - مخالف لما جاء عند المبرد في المقتضب (٥٤).

واختار النحاس قول سببويه ، ورفض قول الفراء لمانع دلالي من السياق الخارجي ، وهو أنه قد صح عن النبي (ص) النهي عن أن يقال ماشاء الله وشئت ، ورفض قول المبرد لمانع نحوي هو أنه لا يقدر في شيء تقديم ولا تأخير ومعناه صحيح (٥٥).

وذهب القرطبي إلى أن الله سبحانه جعل رضاه في رضى النبي (ص) فقال ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ - النساء ٨٠ (٥٦) ، وعلى هذا فلا تعارض بين رضا الله ورضا الرسول صلى الله عليه وسلم .

## ٢- التعبير بالمتنى عن المفرد :

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ - ق ٢٤ وقد وقف الفراء (٥٧) عند الآية فقال إنه العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان ، فيقولون للرجل : قوما عنا ، وسمعت بعضهم يقول : ويحك ارحلها وازجرها ، ثم استشهد على ذلك بقول الشاعر :

(٥٢) نفس المصدر والصفة .

(٥٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٢٤ وقد تبعه كثيرون في ذلك ، راجع : مشكل إعراب القرآن ١/٣٣١ ، البحر المحيط ٥/٦٤ ، البيان لأبن الأنباري ١/٤٠١ ، التبيان العكبري ٢/٦٤٨ ،

تفسير القرطبي ٤/٣١١٨ ، ٣١١٩ .

(٥٤) المقتضب ٤/٧٢ ، ١١٢ .

(٥٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٢٤ .

(٥٦) تفسير القرطبي ٤/٣١١٩ .

(٥٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/٧٨ ، ٧٩ .

فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع أصوله واجتز شيخنا (٥٨)

وقول الآخر :

وان تزجراني يا ابن عفان أنزجر وان تدعاني أحم عرضاً ممنعاً (٥٩)

ثم علل ذلك الاستعمال بالمناسبة الخارجية ، فقال : إن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه اثنان ، وكذلك الرفقة أدنى ما يكونون ثلاثة ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، واستشهد على الظاهرة بشواهد شعرية أخرى . والفراء يستند في تعليقه إلى الأسلوب - أو الاستعمال - العربي ، فيزيده بالواقع اللغوي المتمثل في الشعر من جهة ، وبما اعتاده العرب بأن أدنى الرفقة ثلاثة ، فيحكم المرجع أو ظروف الكلام في التحليل .

ويرى الزجاج أن الخطاب على مقتضى الظاهر . فهو خطاب للملكين ، ثم يعرض قول الفراء ، وقولاً ثالثاً للمبرد ، وهو أن المقصود التوكيد ، ف (ألقيا) نابت عن ألق ، ويجوز القول بذلك أيضاً (٦٠) ، وقال النحاس إن حذاق البصريين ينكرون مخاطبة الواحد بـ (ألقيا) لأن به يقع الإشكال ، وعلى ذلك اختار الزجاج أن يكون الخطاب للملكين ، أما المبرد فجعل التثنية للتوكيد (٦١) ، وإذا كان التوكيد عند المبرد يأخذ شكل التكرار ، فإنه قد يأتي من إبدال الألف في (ألقيا) من نون التوكيد ، كما جاء ذلك في (لنسفا بالناصية - العلق ١٥) ، ﴿وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾ - يوسف ٣٢ (٦٢) ، وقد عرض الزمخشري وغيره تلك الأقول (٦٣) .

وإذا تأملنا السياق اللغوي حول هذه الآية نجد آية سابقة تتحدث عن السائق والشهيد ﴿جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ - ق ٢١ ، ثم ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ

---

(٥٨) نسب البيت ليزيد بن الطثرية أو لمخرس بن ربيعي الأسدي ، وروي أيضاً (لا تحبساناً) انظر : اللسان (جزء) .

(٥٩) نسب البيت إلي سويد بن كراع العكلي ، انظر : اللسان (جزء) .

(٦٠) معاني القرآن وإعرابه ٤٥/٥ ، ٤٦ .

(٦١) شرح القصائد التسع ٩٨/١ ، ٢٩٩ .

(٦٢) شرح القصائد السبع الطول ١٧،١٦ .

(٦٣) راجع : الكشف ٨٧/٤ البيان ٢٨٦،٢٨٧ ، البحر المحيط ١٢٦/٨ التبيان ١١٧٥/٢ ،

عَتِيدٌ ﴿ - ق ٢٣ وتأتى الآية ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ - ق ٢٤ واختلفوا فى تفسير السائق والشهيد (٦٤)، ولكن من التفسيرات المحتملة أن يكونا ملكين ، وأن الخطاب ب- (ألقيا) لهما ، و(قرين) فى الآية السابقة قد تطلق على المفرد والمثنى والجمع (٦٥)، كما يحتمل أن يكون الخطاب لخزنة النار ، وهذا كله يجعل الخطاب مطابقاً لمقتضى الظاهر أو الاستعمال النمطى ، ولا مخالفة فى ذلك ، ولا ضرورة للقول بالخروج عن ظاهر اللفظ (٦٦).

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ - الرحمن ١٩ - ٢٢ ، فقد جاء الضمير على التثنية (منهما) ، واللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من البحر المالح ، وبذلك قال الفراء وأبو عبيدة وغيرهما (٦٧).

واعترض النحاس على الفراء وأخذ بظاهر اللفظ ، فقال إن (يخرج منها) فى المستقبل ، أو فى المواضع التى يلتقى فيها الماء الملح والماء العذب ، أو أن البحرين هما بحر السماء وبحر الأرض ، وأن اللؤلؤ والمرجان إنما يوجدان فى الصدف إذا وقع المطر عليه (٦٨)، وهى محاولة تأويلية لاتبرر الخروج من القاعدة - المخالفة- وإنما ترفض الاعتراف بتلك المخالفة .

ويقتررب الزمخشرى بنا من التحليل الدلالى ، فيجعل البحرين كأنهما شىء واحد؛ فيقول «لما التقيا وصارا كالشىء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما قال، يخرجان من البحر، ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه ، وتقول : خرجت من البلد ، وإنما خرجت من محلة من محاله ، بل من دار واحدة من دوره ، وقيل : لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب، (٦٩).

فالزمخشرى يجعلهما شيئاً واحداً والعلاقة بينهما علاقة الكل بالجزء ، فأى بحر

(٦٤) انظر : تفسير القرطبي ٦٤١٣/٩ ، ٦٤١٥ .

(٦٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٢٨٠٧/٤ .

(٦٦) البحر المحيط ١٢٦/٨ .

(٦٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٤/٣ ، ١١٥ ، مجاز القرآن ١٥/١ ، ٢٤٤/٢١ ، التبيان ١١٩٩/٢ ، الصحابي ٣٦١ .

(٦٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٧/٤ ، فالصدف فى الأرض والمطر من السماء .

(٦٩) الكشف ٤٥/٤ .

منهما جزء من الشيء الأكبر ، ويحاول أن يحكم الاستعمال العربى .

أما القيسى والأنبارى فيخرجان الآية على حذف المضاف ، والتقدير : يخرج من أحدهما ، ثم حذف المضاف ، وهو (أحد) واتصل الضمير بـ(من) ، ومثلها ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ - الزخرف ٣١ ، أى : من إحدى القريتين ، ثم حذف المضاف (٧٠).

ومثل ذلك تماماً الخلاف حول قوله تعالى ﴿وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ - الشورى ٢٩ ، قال الفراء : «أراد : وما بث في الأرض دون السماء» (٧١) ، ورد النحاس قول الفراء ، وتمسك بظاهر اللفظ ، فقال : إن ما قاله - الفراء - لا يعرف في تفسير ولا لغة ، ولا معقول أن يخبر عن اثنين بخبر واحد ، وهذا بطلان البيان والتجاوز إلى ما يحظره الدين ، (٧٢).

ويجوز عند الزمخشري الرأيان معاً ، فقد يؤخذ اللفظ على ظاهره ، فيكون للملائكة مشى مع الطيران ، فيوصفون بالدبيب ، كما يوصف به الأناسى ، كما أنه لا يبعد أن يخلق الله في السموات حيواناً يمشى فيها مشى الأناسى على الأرض ، وقد يكون ذلك على مخالفة المطابقة وتكون الدواب في الأرض وحدها ، حيث ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبساً ببعضه كما يقال : بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل ، وإنما هو فخذ من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم (٧٣) .

والزمخشري بذلك يسعى إلى انواق الخارجى ليفسر به الظاهرة فإذا كانت العبارة القرآنية تطابق الواقع الخارجى فلا مخالفة بين اللفظ والمقصود ، أما إذا كان العكس فإن للزمخشري تفسيراً لغوياً من استعمال العرب وهو نسبة الجزء إلى الكل وهو ماورد عنده فى الآية السابقة .

وقد خرَّج الأنبارى الآية على حذف المضاف أيضاً (٧٤) .

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ

(٧٠) مشكل إعراب القرآن ٢/٧٠٥ ، البيان ٢/٤٠٩ .

(٧١) معاني القرآن للفراء ٣/٢٤ .

(٧٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/٨٣،٨٢ .

(٧٣) الكشاف ٣/٤٧٠ .

(٧٤) البيان ٢/٣٤٨ .



لا يَعْلَمُونَ ﴿ - يونس ٨٩ ، فالداعي في الآية السابقة لهذه الآية إنما هو موسى وحده ، وقال الفراء وغيره إن الدعوة نسبت إليهما؛ لأن موسى كان يدعو وهارون يؤمن ، والمؤمن على الدعاء داع أيضاً (٧٥) .

وقال علي بن سليمان : إن الدعاء لهما جميعاً والدليل على ذلك قول موسى - عليه السلام - ربنا ولم يقل رب (٧٦) ، وأجاز الزمخشري وأبو حيان القولين (٧٧) ، وأنكر أبو حيان القول بأنه خاطب الواحد بخطاب الاثنين؛ لأن الآية خاطبت الاثنين بعد ذلك (٧٨) (فاستقيما ولا تتبعان) .

والحق أن سياق الخطاب كان لموسى وهارون قبل الآية ، وقد دعا موسى وحده ، لكن هذه الدعوة لا ينكرها هارون سواء أَدْعَا بِهَا أم لم يدع ، أو آمن ، كما أن الآية تضمنت أمر الاثنين بالاستقامة ، وهو أمر لا يوجه إلى موسى وحده ، وفي أقوالهم المختلفة مراعاة للمقام أو سياق الحال ، ومثل ذلك ﴿ نَسِيًا حُوتَهُمَا ﴾ - الكهف ٦١ وفي سياق الآيات قول فتى موسى ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ - الكهف ٦٣ ، فالناسى فتى موسى وحده (٧٩) .

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ - البقرة ٢٢٩ ، فقد يكون المقصود ب- (عليهما) الزوج وحده ، وقد يكونا الزوج والزوجة معاً (٨٠) .

٣- إذا نظرنا إلى آيات مخالفة المطابقة من الأفراد إلى التثنية أو العكس وجدنا أنها تنقسم إلى مجموعات موضوعية ، أول هذه المجموعات ما يتصل بقصة موسى عليه السلام ، ومن الثابت أن الرسالة جاءت إلى موسى ، فطلب من ربه أن يرسل إلى أخيه هارون ليعاونه ، وليقوى به ، ولأنه أفصح منه لساناً (٨١) ، وأكثر الخطاب من الله سبحانه كان لموسى ، وهو الذي تلقى الألواح ، وكذلك كان الخطاب بين موسى وفرعون ، وموسى هو الذي سئل عن المعجزات ، وهو الذي تكفل بإبرازها ، ورسالتها

(٧٥) معاني القرآن للفراء ٤٧٨/١ معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١/٣ البحر المحيط ١٨٧/٥ .

(٧٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٢ .

(٧٧) الكشاف ٢٥٠/٢ ، ٢٥١ البحر المحيط ١٨٧/٥ .

(٧٨) البحر المحيط ١٨٧/٥ .

(٧٩) معاني القرآن للفراء ١٤٧/١ معاني القرآن وإعرابه ٢٩٩/٣ ، الصاحبى ٣٦١ .

(٨٠) انظر : معاني القرآن للفراء ١٤٧/١ ، البحر المحيط ١٩٩/٢ .

(٨١) انظر الآيات التي تتحدث عن قصة موسى عليه السلام في سورة القصص . وسورة طه .

كانت واحدة وكانا متساندين ، من هنا جاز خطابهما معاً بخطاب المفرد وجاز خطاب أحدهما بخطاب المثني ، وهذا ما شكل النعل المعنوية التي تعلل بها المعربون والمفسرون مراعين في ذلك السياق الخارجي الذي تمثل في التفسير العام للآيات .

وإلى جانب ذلك جاءت العلل اللغوية والجمالية لتعلل اللجوء إلى التثنية أو الجمع مثل استعمال وزن (فعلول) ، وهل معناه المصدر (رسالة) أم معناه اسم المفعول (مرسل) ، ثم مراعاة الفاصلة أو السجعة - إن جاز لنا أن نستعمل هذا التعبير - وهي مسألة لفظية جمالية ، ومن هنا كان اختيار (ياموسى) ، (فتشقى) . ولا يخفى متطلبات السياق اللغوي في قوله تعالى ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ ﴾ - يونس ٨٩ حيث نجد في الآية إخباراً بإجابة موسى - وهي دعوة هارون أيضاً ، سواء أذاعا أو لم يدع ، أمن أم لم يؤمن - ثم أمر الله سبحانه لموسى وهارون ، فكان من الأولى المحافظة على التثنية (دعونكما - استقيما) ، وكما كانت دعوة موسى هي دعوة هارون ، وكذلك نسيان فتى موسى للحوت كان فيه نسيان من قبل موسى أيضاً ، وإن كان فتاه قد قال في أدب ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ - الكهف ٦٣ .

وتتعلق المجموعة الثانية بآدم وحواء ، وهما مرتبطان أيضاً ، ومن هنا كان في شقاء آدم شقاء لزوجته ، وكان قبول توبته يعني قبول توبتها (٨٢) .

أما المجموعة الثالثة فهي تتعلق بمطابقة الكلام للواقع الخارجي ، فهل في السماء دواب أم لا؟ وهل يخرج اللؤلؤ والمرجان من البحر المالح وحده ، أم من البحر المالح والعذب؟ وهل يلقي المذنب في النار ملك واحد أم ملكان؟ أو أن السماء والأرض أصبحا شيئاً واحداً ، والبحران أصبحا كذلك شيئاً واحداً .

يبقى بعد ذلك عودة الضمير إلى أحد المعطوفين إما للأهمية كما في الصلاة والتجارة ، وإما لأن ما يعود على أحدهما يعود على الآخر (الله) ، (الرسول) .

وفي كل ما سبق نجد التعليلين النحوي والدلالي بحيث لا يقوم أحدهما دون الآخر ، فقد يعلل هذا آية ، ويعلل الآخر آية أخرى ، وقد يعلنان معاً مخالفة الآية الواحدة باختلاف النحاة ، أو عند النحوي الواحد .

## ثانياً : العلاقة بين الأفراد والجمع

## ١- التعبير بالجمع عن المفرد

(أ) استعمال ضمير الجمع :

استعمل ضمير الجمع للمتكلم (نحن - أنا) تعظيماً، وقد جاء في القرآن مرتبطاً بالذات العلية كثيراً، منه قوله تعالى ﴿ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ - الزخرف ٣٢ ، وقد نبه الزركشى - منذ البداية - أنه لا تشريك (٨٣) في ضمير الجمع هذا ، وقال إن المبرد منع استعمال ضمير الجمع في واحد من المخلوقين على حكم الاستلزام لأن في ذلك كبراً ، وهو مختص بالله سبحانه ، وحكى عن الحريري في شرح الملحّة أن بعضهم منع استعمال لفظة (نحن) مع غير الله لما فيها من التعظيم (٨٤)، وكذلك نون الجمع جاءت للعظمة يوصف بها سبحانه ولا ينازعه فيها مخلوق ويكره للملوك استعمالها ، وقد استعملت في جانب الله تعالى لأن أفضيته تجرى على أيدي خلقه ، فتنزلت أفعالهم منزلة فعله (٨٥)، فأما قول العالم (نحن نبين)، (نحن نشرح) فمفسوح له فيه؛ لأنه يخبر بنون الجمع عن نفسه وأهل مقالته (٨٦) .

وما جاء عند الزركشى قال به الفراء في مثل قول الله تعالى ﴿ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنًا ﴾ - هود ٣٧ (٨٧) ، وابن جنى في مثل ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ - الإنسان ٢٨ ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ - إبراهيم ٤٥ قال : «ولو كانت (وضربت لكم الأمثال) لم تبلغ في سمو اللفظ وتعاليه في قوله (ضربنا لكم) ، (٨٨) .

وحاول ابن خالويه دفع ما يتوهم من الشرك في ضمير الجمع حيث قال إن «الله تعالى يخبر عن نفسه بلفظ ملك الأملاك نحو ﴿ نَحْنُ قَسَمًا ﴾ - الزخرف ٣٢ ، ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ﴾ - الكوثر ١ ، وهو وحده لا شريك له ، لأن القرآن نزل بلغة العرب ،

(٨٣) أي أنه لا شريك له في هذا الخطاب .

(٨٤) لم أشر علي هذا القول في شرح الملحّة المطبوع تحقيق أحمد محمد قاسم .

(٨٥) لأن الأفعال مخلوقة الله ، مكتسبة للعبد ، وهو رأي الأشعري ، انظر في علم الكلام -

الأشاعرة / أحمد محمود صبحي ٦٢ وما بعدها ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ١٠٠ - ١٠١ .

الملع ٢٨ - ٢٩ وعلي العكس من ذلك رأي المعتزلة انظر الملل ٤٥ .

(٨٦) البرهان في علوم القرآن ٢٣٦/٢ .

(٨٧) معاني القرآن للفراء ١٣/٢

(٨٨) المحتسب ١٦٤/١ .

والملك والرئيس والعالم يخبرون عن أنفسهم بلفظ الجماعة ، فيقول الخليفة : قد أمرنا لك بكذا ، وهو الأمر وحده ، (٨٩).

وإذا كان ابن خالويه يربط بين الاستعمال القرآني والاستعمال العربي فإن ابن فارس يجعل ذلك من سنن العرب ، ولا يقصره على خطاب الله سبحانه (٩٠).

وكما يتحدث العظيم بالجمع فإنه يخاطب به أيضاً ، وهذا ماخرجوا عليه قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي ﴾ - المؤمنون ٩٩ ، فإذا كان ضمير الجمع قد جاء في التكلم في مثل (خلقناكم) وأمثالها في غير موضع من القرآن (١١) ، ومن مثل ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ﴾ - الحجر ٢٣ ، فقد جاءت مخاطبته سبحانه رداً على ماوصف به نفسه (٩٢) ، وتعظيماً له (٩٣) في ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي ﴾ - المؤمنون ٩٩ .

وقد استشهد الزمخشري وأبو حيان على هذا الاستعمال بقول الشاعر :

فإن شئت حرمتُ النساء سواكم

وقول الآخر :

ألا فارحموني يا إله محمد (٩٤)

ولللحاة تخريج ثان هو أنه على معنى التكرير أى : ارجعونى ارجعونى (٩٥) وأضاف أبو حيان تخريجاً ثالثاً ، وهو أن الكافر استغاث أولاً بربه ثم خاطب ملائكة العذاب ، واستدل على ذلك بما جاء في الحديث : إذا عاين المؤمن الموت قالت له الملائكة : نرجعك فيقول : إلى دار الهموم والأحزان؟ بل قدماً إلى الله ، وأما الكافر فيقول : ارجعون لعلى أعمل صالحاً (٩٦).

(٨٩) إعراب ثلاثين سورة ٢٠٨ .

(٩٠) الصاحبي ٢٥٣ .

(٩١) انظر : المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (خلق) ص ٢٤٢ .

(٩٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٢٤١ ، ٢٤٢ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/١٢٢ مشكل إعراب القرآن ٢/٥٠٥ ، البيان ٢/١٨٩ .

(٩٣) الكشف ٣/٤٢ ، التبيان ٢/٩٦٠ ، البحر المحيط ٦/٤٢١ .

(٩٤) الكشف ٣/٤٢٠ ، البحر المحيط ٦/٢٤١ ، من انصاف الابيات وقد رواهما الزمخشري في الكشف وتبعه في ذلك أبو حيان ولم أعرش عليهما عند غيرهما .

(٩٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/١٢٢ ، مشكل إعراب القرآن ٢/٥٠٥ ، البيان ٢/١٨٩ ، التبيان ٢/٩٦٠ .

(٩٦) البحر المحيط ٦/٤٣١ ، وانظر التبيان ٢/٩٦٠ .

وكما جاء في القرآن تعظيم الله ، فقد جاء التعظيم لملوك الدنيا أيضاً فمن ذلك ما جاء في حديث موسى مع فرعون في قول الله تعالى ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ - الشعراء ٢١ ، وقد علل الزمخشري ذلك بأن الخوف والفرار لم يكونا من فرعون وحده، ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتل موسى، بدليل ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ - القصص ٢٠ ، أم الأفراد في ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ - الشعراء ٢٢ فإن الامتتان والتعبيد كانا من فرعون وحده(٩٧)، وقد جاء عند الفراء مثل هذا أيضاً(٩٨) وهم في ذلك يرفضون وجود المخالفة أصلاً بالرجوع إلى الواقع الخارجي.

وقد يسهم السياق اللغوي في تفسير الظاهرة ، ففي سورة الشعراء وقبل الآية السالفة نجد فرعون يتحدث بصيغة الجمع ، فيقول لموسى ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ - الشعراء ١٨ ، ثم نجد بعدها قوله تعالى ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ - الشعراء ٢٥ - ٢٦ ، فالموقف لم يكن فيه فرعون وحده ، بل فرعون ومن حوله ، ومن هنا ناسب الخطاب الجمع سواء من جهة فرعون ، أو في رد موسى عليه، أما خطاب الأفراد من موسى لفرعون بالامتتان والتعبيد فلا يكون بالجمع لأنه ادعاء من فرعون وحده - كما قال الزمخشري - .. ومثل ذلك تخريج ابن جنى لقراءة (لما آتيناكم) في قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ - آل عمران ٨١ ، فقد قرئت (لما آتيناكم) مناسبة للنبيين ، قال : «وأما (آتيناكم) بالجمع فطريقه أنه لما ورد مع لفظة الجماعة من النبيين جاء أيضاً مجموعاً تعالياً في اللفظ، (٩٩).

وقد أورد الأنباري خمسة أوجه في قول الله تعالى ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾ - يونس ٨٣ هي :

(٩٧) الكشف ١٠٩/٣ وانظر البحر ٩/٧ .

(٩٨) معاني القرآن للفراء ٤٧٦/٨، ٤٧٧ .

(٩٩) المحتسب ١٦٤/١ .

١- عودة الضمير (في ملتهم) إلى فرعون ومن معه .

٢- أنه إخبار من جبار عن نفسه .

٣- على حذف المضاف أى (من آل فرعون) .

٤، ٥ - عود الضمير على متقدم فى الذكر هو الذرية ، أو القوم (١٠٠) .

والجديد فى هذه الأوجه العلتان الثالثة والرابعة ، وهما علتان لغويتان أولهما تقدير مضاف محذوف ، والأخرى : البحث عن شىء متقدم يعود عليه ضمير الجمع ، وهاتان العلتان لاتسعيان إلا إلى إيجاد المطابقة .

ب - مخالفة المطابقة للواقع الخارجى (المرجع)

ارتبط نزول القرآن بحوادث ووقائع، فجاء منجماً ليعطى أحكاماً فى تلك الوقائع، وربما نزلت الآية فى واحد من الناس يحدده سبب النزول ، ولكن القرآن - وهو كتاب التشريع الأول - لا يقف عند تفسير الواقعة ، ولا يقتصر الحكم على من نزلت فيه الآية ، بل يجعل الحكم عاماً يصدق على كل ما يشبه الواقعة وقد كان ذلك سبباً فى مجيء الخطاب بالجمع فى واقعة تختص بالإفراد .

جاءت لفظة (الناس) وعاد إليها ضمير الجمع ، ومرجعها الواقعى واحد فى قول الله تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ - آل عمران ١٧٣ .

يرى الفراء فى هذه الآية أن (الناس) فى هذا الموضع واحد وهو نعيم بن مسعود الأشجعى ، بعثه أبو سفيان وأصحابه ، فقالوا : ثبط محمداً أو خوفه حتى لا يلقانا ببدر الصغرى ، وكانت ميعاداً بينهم يوم أحد، (١٠١) ، ف- (الناس) الأولى ترجع إلى نعيم .

وقال الأخفش إن المعنى بقوله (لكم) النبى صلى الله عليه وسلم ، و(الناس) أبو سفيان (١٠٢) ، ومثل ذلك عند ابن خالويه ﴿ ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ - البقرة (١٩٩) ، فالمعنى بـ (الناس) هنا إبراهيم عليه السلام (١٠٢) .

(١٠٠) البيان ٤٢٠، ٤١٩/١ .

(١٠١) معاني القرآن للفراء ٢٤٧/١ .

(١٠٢) معاني القرآن للأخفش ٣٦٧/٢ .

(١٠٢) إعراب ثلاثين سورة ٢٣٨ .

ويربط أبو عبيدة بين هذا الاستعمال وأسلوب التعظيم ، ويجعل ذلك من الأساليب العربية حيث يقول « وقع المعنى على رجل واحد ، والعرب تفعل ذلك ، فيقول الرجل : فعلنا كذا وفعلنا ، وإنما يعنى نفسه ، وفى القرآن ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ - القمر ٤٩ (١٠٤) .

ويعل الزمخشري ذلك بأن (نعيماً) من جنس الناس ، فأطلق عليه لفظ الجنس ، يؤيد ذلك بالاستعمال العربى المماثل ، حيث يقال : فلان يركب الخيل ويلبس البرود وماله إلا فرس واحد ويرد واحد ، أو أن ناساً من أهل المدينة كانوا يثبطنون مثل تثبيطه(١٠٥) .

ويعرض أبو حيان هذا القول ، كما يعرض قولاً آخر ، وفيه أن اللفظ على ظاهره ، فقيل : «(الناس) الأول ركب من عبد القيس مروا على أبى سفيان يريدون المدينة للميرة فجعل لهم جعلاً ، وهو حمل يلهم زيباً على أن يخبروا أنه جمع ليستأصل بقية المؤمنين ، فأخبروا بذلك ، فقال الرسول وأصحابه ، وهم إذ ذلك بحمراء الأسد : حسبنا الله ونعم الوكيل ، والناس الثانى قريش ، وهذا القول - عنده - أقرب إلى مدلول اللفظ ، (١٠٦) .

ويروى الواحدى سبب النزول الذى يؤيد أن (الناس) جماعة وليس فرداً(١٠٧) ، ويعرض القرطبي الرأيين معاً(١٠٨) ، وفى كل ذلك يربط التحليل بالواقع الخارجى ، لا بالتحليل اللغوى الداخلى ، سواء فى البحث عن مطابقة الكلام للواقع الخارجى ، أو فى البحث عن تبرير للمخالفة من هذا الواقع الخارجى .

وقد جعل الزركشى ذلك من خطاب العام والمراد الخاص ، وأضاف إلى ذلك آيتين أخريين ، أولاهما ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ - البقرة ١٣ ، فقال : إن المعنى بـ (الناس) هنا عبد الله بن السلام ، والأخرى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ - الحجرات ٤ ) ، على أن المعنى بـ (الذين) الأقرع بن حابس(١٠٩) .

(١٠٤) مجاز القرآن ١/١٠٨ .

(١٠٥) الكشاف ١/٤٨٠، ٤٨١ .

(١٠٦) البحر المحيط ٣/١١٧، ١١٨ .

(١٠٧) اسباب النزول للواحدى ٨٧ .

(١٠٨) تفسير القرطبي ٢/١٦٢١ ، ١٦٢٢ .

(١٠٩) البرهان ٢/٢٢٠ ، ٢٢١ .

على أننا لم نجد من يؤيده في الآية الأولى ، ولا في الثانية ، حيث قالوا إن المقصود بـ (الذين) فيها وفد تميم ، وكان من بينهم الأقرع بن حابس (١١٠) .

ومثل لفظة (الناس) لفظة (طائفة) في قول الله تعالى ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ (التوبة ٦٦) ، فقد قال الفراء إن الطائفة واحد واثنان ، وإنما نزل في ثلاثة نفر استهزأ رجلان برسول الله (ص) والقرآن ، وضحك إليهما آخر ، فنزل (إن نعف عن طائفة) يعني الواحد الضاحك (نعذب طائفة) يعني المستهزئين ، وقد جاء ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ﴾ (النور ٢) يعني واحداً، (١١١) .

ونجد هذا عند الزجاج والنحاس إلا أنهما قالوا إن المراد نفس طائفة (١١٢) أي على تقدير الموصوف . وكذلك قال أبو حيان إن المعفو عنه رجل واحد، (١١٣) .

وقد جاء التعبير عن الواحد بلفظ (الرسول) ، و(المرسلون) أيضاً في مثل ﴿فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل ٣٥) ، وكان الرسول امرأة واحدة - على قول الفراء - ويدل على أن الرسول واحد قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ (النمل ٣٦) ، أي : فلما جاء الرسول سليمان ، وقوله ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ (النمل ٣٧) (١١٤) ، إلا أن ابن فارس والزرخشى قالوا إن المرسلين جماعة ، وإن الخطاب بالإفراد في (ارجع إليهم) يحتمل أن يكون لرئيسهم (١١٥) .

ومثل هذه الآية ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء ١٠٥) ، والمراد بالمرسلين نوح (١١٦) ، وقوله سبحانه ﴿وَقَوْمٌ نُوحٌ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ (الفرقان ٣٧) ، وقد حمل أبو حيان اللفظ على ظاهره في هذه الآية ، فقال : (لما كذبوا

---

(١١٠) معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٠ ، مجاز القرآن ٢/ ٢١٩ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢١٠ .

أسباب النزول للواحدى ٢٥٨ .

(١١١) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٤٥ .

(١١٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٥٠٩ ، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(١١٣) البحر المحيط ٥/ ٦٧ ، وانظر القرطبي ٤/ ٣ ، ٣١٢٤ .

(١١٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٣ .

(١١٥) البرهان ٢/ ٢٣٧ ، الصاحبي ٣٥٥ .

(١١٦) انظر البرهان ٢/ ٢٣٨ .



الرسل) ، كذبوا نوحاً ومن قبله ، أو جعل تكذيبهم لنوح تكذيباً للجميع ، أو لم يروا بعثة الرسل كالبراهمة، (١١٧) .

وقد اختلفوا حول قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (المؤمنون ٥١) فقال الفراء ، أراد النبي فجمع ، كما يقال فى الكلام للرجل الواحد : أيها القوم كُفُّوا عنَّا أذاكم، (١١٨) ، ويتضمن هذا الخطاب - عند الزجاج - أن الرسل جميعاً قد أمرُوا بذلك (١١٩) ، ويجعل الزمخشري الخطاب للرسل جميعاً ، وأن كل رسول خاطب به فى زمنه ، والمراد إعلامنا بأن كل رسول فى زمانه نودى بذلك ، ويرى ابن المنير فى قول الزمخشري هذا نفحة اعتزالية ، ويقول إن مذهب أهل السنة أن الله تعالى متكلم أمرناه أولاً ، ولا يشترط فى تحقق الأمر وجود المخاطب ، فالرسل قد خاطبوا بذلك فى الأزل (١٢٠) .

وعرض أبو حيان هذه الآراء ثم قال إن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء بلفظ الجمع لقيامه مقام الرسل، (١٢١) .

ج- عموم الحكم الشرعى :

وإذا كان فى خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بلفظة (الرسل) ما يوحي بتعظيمه ، فإننا نجد آيات أخرى تخاطبه بلفظ الجمع ، لأن الآية تحمل حكماً من الأحكام الشرعية تطلب تنفيذها من الرسول والمسلمين معه (١٢٢) ، ومن تلك الآيات قوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ - (النحل

(١١٧) البحر المحيط ٤٩٨/٦ .

(١١٨) معاني القرآن للفراء ٢٣٧/٢ .

(١١٩) معاني القرآن وإعرابه ١٥/٤ .

(١٢٠) الكشاف ٣٤/٣ ، ويرى المعتزلة أن كلام الله مُحدَّث وأن القرآن مخلوق (راجع : الفرق بين

الفرق ٦٨ ، المعتزلة ٣٠٤) بينما يرى الحنابلة والأشاعرة أن كلام الله قديم (راجع الأشاعرة ٥٦

وما بعدها) وهو خلاف عقدي أدبي إلهي تعذيب ابن حنبل والتنكيل به ، ولا يبعد أن يكون هذا

الخطاب للرسل منذ الأزل كما قال سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (الأعراف ١٧٢) وهو ما يلتقي برأى ابن المنير

الأشعري .

(١٢١) البحر المحيط ٤٠٨/٦ .

(١٢٢) وقد خصم الله النبي بأشياء حددها العلماء ، انظر : المواقفات للشاطبي ٥١/٣ .

(١٢٦) فقد نزلت في حمزة لما مثل به المشركون يوم أحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمثان بسبعين شيخاً من قريش (١٢٣)، والحكم الشرعي هنا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد منه العموم ، ومن هنا كان قول ابن سيرين ومجاهد إنها نزلت فيمن أصيب بظلامه أن لا ينال من ظالمه إذا تمكن منه إلا مثل ظلامته ، لا يتعداها إلى غيرها (١٢٤) . وهو تفسير للآية يحمل الخاص على العام وليس سبباً للنزول .

وقد يكون الخطاب في أوله للنبي (ص) ثم يتحول إلى خطاب عام في مثل ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ (يونس ٦١) فالخطاب عام في قوله (ولا تعملون) ، وكذا (إلا كنا عليكم شهوداً) (١٢٥) .

ومثل ذلك (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا - هود ١٤) ، وظاهر الخطاب للنبي (ص) ، ثم تحول الخطاب إلى المؤمنين معه ، فالمؤمنون مقصودون بالخطاب أيضاً ، أما (فاعلموا) فقد قال الفراء إنها ليست للنبي (ص) إنما هي لكفار مكة بدليل قوله تعالى (فهل أنتم مسلمون) (١٢٦) .

ومثل ذلك في خطاب النبي وأُمَّته مقصودة بالحكم قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ (الطلاق ١) - قال ابن فارس ، فخطوب صلى الله عليه وسلم بلفظ الجميع لأنه أريد هو وأُمَّته، (١٢٧) .

كذلك جاء الجمع والمقصود به المفرد في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ (النور - ٢٢) ، فالمقصود بأولى الفضل في الآية هو أبو بكر رضي الله عنه، حيث حلف ألا ينفق على مسطح بن أثانة وقرابته الذين ذكروا عائشة بحديث الإفك ، فنزلت الآية ، فأعادهم إلى نفقته (١٢٨) .

(١٢٣) انظر معاني القرآن للفراء ١١٥/٢ ، الكشاف ٤٣٥/٢ ، أسباب النزول للواحي ١٩١، ١٩٢ .

(١٢٤) البحر المحيط ٥٤٩/٢ .

(١٢٥) نفسه ١٧٤/٥ .

(١٢٦) انظر معاني القرآن للفراء ١١/٢ ، إعراب القرآن للنحاس ٢٧٥/٢ ، الكشاف ٢٦١/٢ ٢٦٢ .

البحر المحيط ٢٠٨/٥ ٢٠٩ .

(١٢٧) الصاحبي ٣٥٥ .

(١٢٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢ ، أسباب النزول للواحي ٢١٧ ، الكشاف ٥٦/٣ ،

البحر المحيط ٤٤٠/٦ .

وقد يقصد بالجمع المفرد ، ثم توضح ذلك قراءة من القراءات إلى جانب الواقع الخارجى ، ففى قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ (التوبة ١٧) ، توضح أسباب النزول أن المقصود هو المسجد الحرام وحده (١٢٩) ، ويؤيد ذلك قراءة مجاهد وعطاء بن أبى رباح (مسجد الله) (١٣٠) .

وقد ربط الفراء هذا الاستعمال بالأسلوب العربى فقال ، وربما ذهب العرب بالواحد إلى الجمع ، وبالجمع إلى الواحد ، ألا ترى الرجل على البرذون (١٣١) فتقول : قد أخذت فى ركوب البراذين ، وترى الرجل كثير الدراهم ، فتقول : إنه لكثير الدراهم (١٣٢) ، فالمقصود بالواحد أو الجمع هنا الجنس ، كما يفهم من كلام الفراء ، وكما لاحظ ذلك الزجاج (١٣٣) .

## ٢- التعبير بالمفرد عن الجمع

جاء ذلك فى عدة صور نعرضها فيما يلى :

### أ - المصادر والمشتقات :

المصدر عند الفراء لا يثنى ولا يجمع ، ومن أمثلة ذلك عنده لفظة (براء) فى قول الله تعالى ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (لزخرف ٢٦) ، قال العرب تقول : نحن منك البراء والخلا ، والواحد والاثنان والجميع من المؤنث والمذكر يقال فيه : براء لأنه مصدر ولو قال : (برى) لقليل فى الاثنين ، وفى القوم بريئون وبراء (١٣٤) .

ومثل ذلك عنده (غور) فى ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ (الملك ٣٠) فهى - عنده - مثل : الزور ، والضيف فى : هؤلاء زور فلان ، وهؤلاء ضيف فلان ، وقوم عدل ، وقوم رضا (١٣٥) ، ومثل (كافة) فى ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ (التوبة ٣٦) فإنها فى مذهب المصدر مثل : الخاصة ، والعاقبة والعافية (١٣٦) ، ومثله : (الدبر) و (نهر) ،

(١٢٩) أسباب النزول للواحدى ١٦٢ .

(١٣٠) معاني القرآن للفراء ٤٢٦/١ .

(١٣١) البرذون : الدابة ، والبرازين من الخيل : ما كان من غير نتاج العرب - اللسان (برذن) .

(١٣٢) معاني القرآن للفراء ٤٢٦/١ ، ٤٢٧ .

(١٣٣) معاني القرآن وإعرابه ٤٨٧/٢ .

(١٣٤) معاني القرآن للفراء ٣٠/١ .

(١٣٥) نفسه ١٧٢/٣ .

(١٣٦) نفسه ٤٣٦/١ .

وإن جاز جمعها ، وقد جاء بمعنى الجمع في ﴿ سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر ٤٥) ، و﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (القمر ٥٤) (١٣٧) .

وكذلك يقوم المصدر المفرد مقام المثنى والجمع عند أبي عبيدة ، فيقال : رجل بور ورجلان بور ورجال بور وقوم بور (١٣٨) ، ومثله (غوراً) (١٣٩) ، و (زلفى) (١٤٠) ، و (خلفة) (١٤١) ، و (براء) (١٤٢) ، و (جذاذ) (١٤٣) ، فكل أولئك يقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث سواء أكان مصدرأ أم بمنزلة المصدر ، وقد استشهد على ذلك بالشعر (١٤٤) .

ومثل ذلك عند الزجاج لفظة (جنب) في قول الله تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ (المائدة ٦) ، فهي مصدر عنده - تقال للواحد والمثنى والجمع ، قال : ومن العرب من يثنى ويجمع المصدر بمنزلة اسم الفاعل (١٤٥) ، ومثل ذلك عند النحاس (شهادة) (١٤٦) .

وقد أجاز المبرد أن يعبر المصدر عن الواحد والجمع في مثل قول الله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ ﴾ - البقرة (٧) (١٤٧) . ومعنى السمع في الآية (الأسماع) (١٤٨) ، وقد خرجها الزجاج هذا التخريج وأضاف إليه تخريجاً آخر ، فقال إن السمع في معنى المصدر فوحد ، كما تقول : يعجبني حديثكم ، ويعجبني ضربكم - فوحد لأنه مصدر ، ويجوز أن يكون لما أضاف السمع إليهم دل على معنى

(١٣٧) نفسه ١١٠/٣ .

(١٣٨) مجاز القرآن ٧٣/٢ .

(١٣٩) نفسه ٤٠٣/١ ، ٤٠٤ .

(١٤٠) نفسه ١٤٩/٢ ، ١٥٠ .

(١٤١) نفسه ٧٩/٢ ، ٧٠ .

(١٤٢) نفسه ٢٠٣/٢ .

(١٤٣) نفسه ٤٠٢/٢ .

(١٤٤) انظر : مجاز القرآن ٨٠٠، ٧٩/٢ ، ٨٠٠، ٤٠٣/١ ، ٤٠٤ .

(١٤٥) معاني القرآن وإعرابه ١٦٩/٢ .

(١٤٦) إعراب النحاس ٣٢/٥ .

(١٤٧) المقتضب ١٧١/٢ .

(١٤٨) مجاز القرآن ٢٦٥/١ .

أسماعهم ، (١٤٩) ، فالمصدر على الوجه الثاني مفرد ، لكنه يكتسب معنى الجمع من المضاف إليه .

وأضاف النحاس وجهاً ثالثاً وهو أن يكون فيه محذوف ، أى : وجعلنا له ذوات سمع (١٥٠) ، أو على موضع سمعهم (١٥١) .

ومثل ذلك (ذنب) فى قوله تعالى ﴿ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ ﴾ (الملك ١١) فالذنب مصدر، ولهذا عبر عن الجمع (ذنوب) .

وقد ربط الفراء بين المصدر والفعل ، فإذا كان الفعل لايتنى ولا يجمع فإن المصدر كذلك لايتنى ولا يجمع ، وإن كان الفراء يطلق مصطلح (الفعل) على كل مشتق (١٥٢) ، ويفهم ذلك من قوله ، ولم يقل (بذنوبهم) لأن فى الذنب فعلا ، وكل واحد أضفته إلى قوم بعد أن يكون فعلاً أدى عن جمع أفاعيلهم، (١٥٣) .

فمعنى الفعل فى المصدر هو الذى يجعله لايتنى ولا يجمع ، كما أن الفعل لايتنى ولا يجمع مع الفاعل (١٥٤) ، فإن لم يكن فى المصدر معنى الفعل جاز تثنيته وجمعه ، وقد نقل عن الفراء قوله إن المصدر على وزن (فعل) لا يجمع ، إلا إن أردنا مصدرين مختلفين فى مثل : بعث الخليفة بعثين وبعوثاً ، لأن معناه الجنود ، فحسن جمعه لأنه خرج من حد الفعل (١٥٥) وهو ما يفهم منه أن المصدر إذا اقترب من معنى الفعل لم يجمع أما إذا اقترب من معنى الاسم ، فإنه يجوز فيه الجمع .

وقد نقل عن هشام بن معاوية الكوفى (ت ٣٠٩ هـ) أن المصدر موحد فى الأحوال كلها (١٥٦) .

وقد عرض صاحب دقائق التصريف أمثلة كثيرة من القرآن والشعر جاء فيها

(١٤٩) معاني القرآن وإعرابه ٨٣/١ .

(١٥٠) إعراب القرآن للنحاس ١٧٠/٤ .

(١٥١) نفسه .

(١٥٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٢/١ ، ٢٣ ، حيث يسمى اسم الفاعل الفعل الدائم وانظر أيضاً

مجالس ثعلب ٣٠٩/١ ، المقتصد ٥٥١ .

(١٥٣) معاني القرآن للفراء ١٧٠/٣ .

(١٥٤) بحث ذ. رمضان عبد التواب هذه الظاهرة فى اللغات السامية ، انظر : المدخل إلى علم اللغة

٣٠١

(١٥٥) دقائق التصريف ٤٦ وقد نجاء ذلك فى أحد كتبه الفقودة وهو (كتاب الجمع التثنية)

(١٥٦) نفسه ٤٤ .

المفرد بدلاً من الجمع، منها ما يدخل في المصدر ومنها ما يدخل في معنى الجنس (١٥٧).

وكذلك قال ولیم رايت إن المصدر في العربية يستعمل للمفرد والجمع بنوعيه المذكر والمؤنث ، فيقال : رجل عدل ، وقوم عدل (١٥٨).

والعلاقة بين المصدر والفعل في اللغات السامية علاقة وثيقة ، حتى إنه قد يغيب المصدر فيعبر عنه بالفعل ، فالعبرية تستخدم فعل الأمر للدلالة على المصدر (١٥٩).

وقد جمع اسم الفاعل - عندهم - ونبه الأخفش إلى ذلك عند قول الله تعالى ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٌ﴾ (الملك ١٩) (١٦٠) ، إلا أن اسم الفاعل يصلح أيضاً للكثير والقليل - الإفراد والجمع - إذا أريد به معنى الجنس ، ومن ذلك - عند الفارسي - لفظة (الكفار) في قول الله تعالى ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ (الفرقان ٥٥) (١٦١). ومثل ذلك أسماء الأفعال ، من مثل (هيت) فإنها تأتي للمفرد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث (١٦٢) ، ومثل ذلك (هلم) في مثل قوله تعالى ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ (الأنعام ١٥٠) وإن كان أهل نجد يثنون ويجمعون (١٦٣).

ومثل ذلك أفعل التفضيل فهو لا يثنى ولا يجمع ، ومن أمثلة ذلك ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ (الشمس ١٢) قال الفراء يقال : إنهما كانا اثنين ويجوز - عنده - الإفراد والتثنية (١٦٤).

وكذلك الصفة المشبهة تكون للواحد والمثنى والجمع ، وقد وقفوا عند كثير من أمثلتها ، وجمعوا بينها وبين المصدر ، ومن أمثلتها عند الأخفش (جنب) ، (ظهير)

(١٥٧) نفسه ٨٠ ، ٨٢ .

Lectures on the Comparative P. 148 (١٥٨)

(١٥٩) انظر فقه اللغات السامية / بروكلمان ١٢١ .

(١٦٠) معاني القرآن للاخفش ٥٠٤/٢ .

(١٦١) الحجة / للفارسي ١٠٨/٢ .

(١٦٢) ميجان القرآن ٣٠٥/١ .

(١٦٣) نفسه ٢٠٨/١ وهو عندنا يقول إلى قمن .

(١٦٤) معاني القرآن للفراء ٢٦٨/٣ .

(وسديق) ، (وقعيد) ، (وعدر) فهي مفردة في اللفظ لكنها تجيء للجمع والمذكر والمؤنث(١٦٥) .

وقد وقف الفراء أيضاً عند أمثلة من الصفة المشبهة منها وزن (فعليل) مثل (ظهير) في قول الله تعالى ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحریم ٤) ، ف (ظهير) بمعنى (ظهراء) (١٦٦) ، ومثل ذلك (رفيقاً) في ﴿وَحَسَنُ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء ٦٩) ، قال وإنما وحد الرفيق وهو صفة لجمع ، لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجميع، (١٦٧) ، ومثلها (قعيد) في ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (سورة ق ١٧) (١٦٨) .

ووقف أبو عبيدة عند وزن (فعليل) أيضاً ، فقال إنه يقع على الجمع والواحد في مثل ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد ١٦) (١٦٩) ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحریم ٤) ، ﴿وَحَسَنُ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء ٦٩) (١٧٠) ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا﴾ (الإسراء ٩٢) (١٧١) ، ﴿وَخَلَصُوا نَجِيًّا﴾ - يوسف ٨٠ و ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف ٥٦) حيث قال وهذا موضع يكون في المؤنثة والتثنية والجميع منها بلفظ واحد، (١٧٢) ، ومثل ذلك عنده (الحصيد) ، وإن أدخلها في أمثلة المصدر (١٧٣) .

ووقف الفارسي أيضاً عند (ظهير) ، و(رفيقاً) فقال إن التقدير فيه للجمع واللفظ على الأفراد (١٧٤) .

(١٦٥) معاني القرآن للاخفش ٢٣٨/١ ، ٢٣٩ ، وانظر ٣٦٧/٢ ، ٤٦٣

(١٦٦) معاني القرآن للفراء ١٦٧/٣

(١٦٧) نفسه ٢٦٨/١ .

(١٦٨) نفسه ٧٧/٣

(١٦٩) مجاز القرآن ٢٥٤/٢

(١٧٠) نفسه ١٣١/١

(١٧١) نفسه ٣٩٠/١ ، ٣٩١

(١٧٢) مجاز القرآن ٢١٦/١ ، ٢١٧

(١٧٣) نفسه ٣١٥/١

(١٧٤) حجة الفارسي ١٠٦/٢ ، ١٠٧

ومن ذلك وزن (فعول) في مثل (رسول) ، وقد أشار الفراء وغيره إلى ذلك ، وإن حملوه معنى المصدر (١٧٥) .

ومن أوزان الصفة المشبهة وما اشتبه مع اسم الفاعل من مثل (صالح) في ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التحریم ٤) وهو واحد في معنى الجمع عند الفراء (١٧٦) .

وجمع ابن فارس أمثلة للمصدر والصفة المشبهة وأفعال التفضيل جاءت على الأفراد في معنى الجمع (١٧٧) .

وإذا كانت المشتقات ترتبط في معناها واستعمالها بالأفعال ، فإننا نجد ابن خالويه يعلل أفراد (المغضوب) في قول الله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاحة ٧) بقوله إن الفعل إذا لم يستترفيه الضمير كان موحداً ، فالتقدير : غير الذين غضب عليهم ، (١٧٨) ، فيربط بذلك بين أفراد الفعل مع الجمع وأفراد اسم المفعول (المغضوب) وهو ما فعلوه في المصدر من قبل .

أما ابن جنى فيربط بين معنى الفعل والجنس ويجعل ذلك سببا في صلاحية الفعل للمفرد والمثنى والجمع (١٧٩) . ويمكننا أن نستنتج من أقوالهم تلك أن معنى الجنس هو الذي جعل الفعل يعبر عن المفرد والمثنى والجمع ، فلا تضاف علامات التثنية أو الجمع للفعل ، ثم قيست المشتقات على الفعل في ذلك بما فيها من معنى الفعل (١٨٠) .

ب - الألفاظ الدالة على الجنس :

وقف الفراء عند قول الله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ (البقرة ٢٩) ، فقال إن السماء في معنى جمع ، لذا عاد الضمير عليها في (فسواهن) لأن المعنى معروف أنهن سبع سموات ، وكذلك الأرض (١٨١) وقال الأخفش : إنما ذكر سماء واحدة وذكرها دل عليهن كلهن ، ثم أشار إلى قول بعضهم إن السماء معناها جمع ولفظها

(١٧٥) انظر هذا البحث فيما تقدم .

(١٧٦) معاني القرآن للفراء ١٦٧/٣ .

(١٧٧) الصاحبي ٣٥١-٣٥٢ ، ٤٤١-٤٤٢ .

(١٧٨) إعراب ثلاثين سورة ٣٢ .

(١٧٩) راجع : المحتسب ١٩٤/١ ، والفعل إذا تقدم علي الفاعل الظاهر يكون مفرداً سواء أكان هذا

الفاعل مفرداً أو مثنى أو جمعاً ، إلا في لغة (أكلوني البراغيث) التي حاول النحاة تعليل خروجها

عن المطرد في اللغة ، وإن كانت موجودة في اللغات السامية ، راجع المدخل إلي علم اللغة ٣٠١ .

(١٨٠) انظر : قضايا المفعول به عند النحاة العرب ١٣٧ وما بعدها .

(١٨١) معاني القرآن للفراء ٢٥/١ .



لفظ الواحد وهي جمع مذكر كاللبن ، وأنكر هذا القول ، وجاء بقول ثالث هو أن يراد بها الجماعة ، أي : كل سماء ، كما تقول : هلك الشاة والبعير ، يعني كل بعير وكل شاة(١٨٢) .

وعرض الزجاج هذه الأقوال ، وقال إنه يجوز أن يكون (السماء) جمعا كما أن السموات جمع ، كأن واحده سماة وسماوة ، وسماء للجميع(١٨٣) .

وقال ابن خالويه إن السماء تكون واحداً وجمعه ، فمن وحده جمعه سموات ، ومن جعله جمعاً فواحده سماءة وسماوة(١٨٤) .

وجعل ابن منظور السماء جمعاً ل- (سماة) التي أصلها (سماوة)(١٨٥) ويؤيد قول ابن خالويه وابن منظور ما جاء عند دارسي اللغات السامية عن الكلمتين (Sha- mim, mim) العبريتين وأمثالهما ، فقد قال وليم رايت إن الكلمتين ليستا للمثنى وإنما هما للجمع ، ومفرداتهما مهملة هي (Shami, mi) (١٨٦) .

فإذا كان للكلمة العبرية مفرد مهمل ، فما المانع أن يكون ذلك قد حدث بالفعل في العربية ؟ وقد فكر ابن خالويه وابن منظور في تقدير هذا المفرد المهمل في العربية ، كما فكر في ذلك رايت فقدره في العبرية .

وقد وضع آخرون مثل هذه الكلمات ضمن الكلمات التي أخذت شكل الجمع ، ومعناها الأفراد (Shamim, mim, haiim) (١٨٧) و(Alohim, Adonim) (١٨٨) . وهو عكس الظاهرة العربية فكلمة (سماء) مفردة في لفظها عبرت عن الجمع ، مما يجعلنا نلجأ إلى السياق لتفسير الظاهرة ، ومثل ذلك لفظة (السحاب) في قوله تعالى ﴿ وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ (الرعد ١٢) حيث وصف بصفة الجمع ، وقد أجاز الفراء(١٨٩) وصفه الجمع ، لأنه جمع وإن كان لفظه واحداً ، ومثل ذلك (رفرف) في

(١٨٢) معاني القرآن للأخفش ١/٥٤ ، ٥٥ وهذا القول الثالث قاله أيضاً عن الأرض في (ومن الأرض مثلهن - الطلاق ١٢) .

(١٨٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٧٥ .

(١٨٤) إعراب ثلاثين سورة ٩٥ .

(١٨٥) اللسان : مادة (سما)

(١٨٦) w.wright, lectures on the comparative grammar of the Semitic Language- (١٨٦) es.p.150.151.

(١٨٧) Hebrew Union College Annual. Vlume I p.31

(١٨٨) Agrammar of Biblical Hebrew, Jashua Blau p. 66

(١٨٩) معاني القرآن للفراء ٢/٦٠ ، ٦١ .

﴿ مُتَكِينٍ عَلَيَّ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (الرحمن ٧٦) ويجوز عنده - الوصف بالمفرد ، فيقال : السحاب الثقيل ، ورفرف أخضر ، وعبقري حسن ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ (يس ٨٠) ، حيث عاد ضمير المفرد في ( منه ) على الشجر.

ومثل ذلك (الريح حيث يجوز أن يراد به الجنس فتعبر عن الواحد والجمع)(١٩٠) ، وقد جاءت القراءات السبع بإفراء الريح وجمعه في آيات كثيرة ، من مثل ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ ﴾ (البقرة ١٦٤) ، ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ﴾ (الكهف ٤٥) ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ ﴾ (الروم ٤٨) وغيرها(١٩١) .

ومثل ذلك (مسكين ) ، و(مساكين) في قوله تعالى ﴿ فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسْكِينٍ ﴾ (البقرة ١٨٤)(١٩٢) ، وقد عده الفارسي مفرداً ، وقال : إن الإفراد جازو حسن ، لأن المعنى على كل طعام مسكين،(١٩٣) .

ومثل ذلك قراءة (فادخلى في عبدي - الفجر ٢٩)(١٩٤) ، وقد وجد لها ابن جني تحليلاً جمالياً ، حيث قال : «هذا لفظ الواحد ومعنى الجماعة : أى عبادى ، كالقراءة العامة وقد تقدم القول على نظيره وأنه إنما خرج بلفظ الواحد ليس اتساعاً واختصاراً عارياً من المعنى ، وذلك أنه جعل عباده الواحد ، أى : لاخلاف بينهم في عبوديته ، كما لا يخالف الإنسان نفسه ،(١٩٥) .

وأوضح مثال على هذه الظاهرة عندهم لفظة (الإنسان) ، فقد جاءت مفردة وقصد بها الجمع ، ومن هنا عاد إليها ضمير الجمع في مثل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ (الشورى ٤٨) واستثنى منها كثير من آيات القرآن الكريم .

(١٩٠) انظر : الحجة للفارسي ١٩٧/٢ ، ١٩٨ .

(١٩١) انظر السبعة ١٧٣ ، النشر ٢٢٣/١ .

(١٩٢) حجة ابن خالويه ٦٩ ، ٧٠ .

(١٩٣) الحجة للفارسي ٢٠٨/٢ .

(١٩٤) هي قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك وأبي شيب الهنائي والكلبي وابن السميعف كما جاء في المحتسب ٢/٣٦٠ وانظر : معجم القراءات ١٤٨/٨ .

(١٩٥) المحتسب ٢/٣٦٠ ، ٣٦١ .

وقد وقف الفراء عند الآية السابقة فقال: «والإنسان يكون واحداً وفي المعنى جمع فرد الهاء والميم - أى في (تصبيهم) - على التأويل - أى المعنى ، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٢٨) يراد به كل الناس ، ولذلك جاز فيه الاستثناء وهو موحد في اللفظ كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (العصر ٢، ٣) (١٩٦) وقال في ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (التين ٤-٦) إن الإنسان و «إن كان واحداً ، فإنه يراد به نفعل ذا بكثير من الناس ، وقد تقول العرب : أنفق فلان ماله على فلان ، وإنما أنفق بعضه ، وهو كثير في التنزيل من ذلك قوله في أبي بكر ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ (الليل ١٨) ولم يرد كل ماله ، إنما أراد بعضه ، (١٩٧).

وأخذ الأخفش (١٩٨) الدليل على أن لفظة (الإنسان) في معنى الجمع من الاستثناء ، إذ لا يستثنى من المفرد ، وكذلك قال ابن خالويه ونقله المبرد (١٩٩) ، وقال إن «العرب توقع الإنسان على المذكر والمؤنث والواحد والجمع ، ومن العرب من يقول في المؤنث إنسانة قال الشاعر :

إنسانة تسقيك من إنسانها      خمراً حلالاً مقلتاد عنه (٢٠٠)

وعلى لفظة (الإنسان) جاءت أيضاً لفظة (علق) في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (العلق ٢) ، قال الفراء ، قيل : من علق ، وإنما هي علقة ، لأن (الإنسان) في معنى الجمع ، فذهب بالعلق إلى الجمع لمشكلة رءوس الآيات ، (٢٠١) .  
ومثل ذلك أيضاً لفظة (الطاغوت) حيث اللفظ واحد والمعنى جماعة ، وإن كان

(١٩٦) معاني القرآن للفراء ٢٦٣/٣ .

(١٩٧) معاني القرآن للفراء ٢٧٦/٣ ، وانظر أيضاً ٢٧٧/٣ ، ٢٠٥/٤ / ١٨٥ .

(١٩٨) معاني القرآن للأخفش ٥٠٨/٢ .

(١٩٩) إعراب ثلاثين سورة ١٧٥،٤٣ .

(٢٠٠) نفسه ١٣١ ، بولفظة (إنسان) علي قوله ترادف كلمة (رجل) في العامية المصرية ، حيث يقال

(رجل - وامرأة) ، وكلمة (زول) في العامية السودانية التي تعني عندهم (رجلاً ، أو امرأة) وقد

سمعت كثيراً من الطالبات كلمة الزول وهي تقصد نفسها .

(٢٠١) معاني القرآن للفراء ٢٧٨/٣ .

لها جمع هو (الطواغيت)(٢٠٢) ، وأجاز الزجاج ذلك إذا كان فى الكلام دليل على الجماعة(٢٠٣) .

ومثل ذلك لفظة (الشیطان) فى مثل ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف ٣٦، ٣٧) ، وفقد عاد الضمير فى (يصدونهم) على الشيطان ، قال الفراء ، وهو فى مذهب جمع ، وإن كان قد لفظ به واحداً ، يقول : وإن الشياطين ليصدونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون،(٢٠٤) .

ومثال ذلك (الماء) فى قوله تعالى ﴿ فَالتقى الماء على أمرٍ قد قدر ﴾ (القمر ١٢)(٢٠٥) .

ومثل ذلك (النجم) فى قوله سبحانه ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ (النجم ١) .  
قال ذلك أبو عبيدة ، واستشهد بقول الشاعر :

وباتت تعد النجم فى مستحيرة سريع بأيدى الأكلين جمودها(٢٠٦)

ومن ذلك لفظة (أحد) فى قوله تعالى ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ (الحاقة ٤٧) ، فقد قال الفراء إن أحداً تكون للجمع وللواحد (٢٠٧) . وقال الأخفش أيضاً إن معنى (أحد) معنى جماعة(٢٠٨) ، وجعل أبو عبيدة (أحداً) تقع على الواحد وعلى الاثنين والجمع من الذكر والأنثى(٢٠٩) .

ولاحظ ابن قتيبة فيها معنى الجنس ، وربطها بقول العرب : فلان كثير الدرهم والدينار ، يريدون الدراهم والدنانير (٢١٠) .

(٢٠٢) معاني القرآن للأخفش ١/١٨١ .

(٢٠٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٣٧ .

(٢٠٤) معاني القرآن للفراء ٣/٣٢٢ .

(٢٠٥) معاني القرآن للفراء ٣/١٠٦ .

(٢٠٦) مجاز القرآن ٢/٢٣٥ .

(٢٠٧) معاني القرآن للفراء ٣/١٨٣ .

(٢٠٨) معاني القرآن للأخفش ٢/٥٠٧ .

(٢٠٩) مجاز القرآن ٢/٢٦٨ .

(٢١٠) تأويل مشكل القرآن ٢٨٤ .

ومثل ذلك قول الله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ ﴾ (آل عمران ٧٣) حيث عاد الضمير في (يحاجوكم) على (أحد) ، فلاحظ الفارسي معنى الجمع حيث قال ، وجمع ضمير أحد لأن المراد به الكثرة ، فحمل على المعنى في قوله (أو يحاجوكم) ، وجاز ذلك لأن الأسماء المفردة قد تقع للشياخ وفي المواضع التي يراد بها الكثرة، (٢١١) .

ولأن (أحد) قد تدل على الجمع ، فقد وقعت قبلها (بين) التي لا بد أن تقع على شيلين في قول الله تعالى ﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ (البقرة ٢٨٥) (٢١٢) .

ولكن هل لفظه (أحد) يصح أن تقدر بمعنى الجمع في كل موضع أم أن السياق هو الذي يعطيها هذا المعنى ؟ .

إن ما يرشح لفظه (أحد) لتأدية معنى الجمع في الآيات هو السياق فوجود حرف الجر (من) في سياقها اللغوي في آية الحاققة جعلها تفيد العموم ، وكذلك وجود الظرف (بين) الذي لا يأتي إلا مع الجمع ، أما في آية آل عمران فقد حملها أبو على الفارسي على العموم لسبق النفي في الآية (ولا تؤمنوا) .

ومثل (أحد) في هذا لفظه (ملك) في قوله تعالى ﴿ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ (النجم ٢٦) ، فقد قال الفراء إن (كم) تدل على أنه أراد جمعاً (٢١٣) ، ومثل ذلك تسويته بين (من شجر) و(من شجرة) في مثل قوله تعالى ﴿ لَا تَكُلُون مِّن شَجَرٍ مِّن زُفْرٍ ﴾ (الواقعة ٥٢) قال ، فمعنى شجر وشجرة واحدة ، لأنك إذا قلت : أخذت من الشاء ، فإن نويت واحدة ، أو أكثر من ذلك فهو جائز، (٢١٤) .

ومثل ذلك أسماء الأجناس ، وهي ألفاظ مفردة لكن معناها الجمع ، لأن الاسم منها يعبر عن مجموعة أفراد ، وقد تناولنا من قبل لفظتي (الناس) ، و(طائفة) (٢١٥) ، ومثلهما (قوم) و (رهط) (٢١٦) و( أمة ) في مثل ﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾

(٢١١) حجة الفارسي ٢/٣٧٠ .

(٢١٢) إعراب ثلاثين سورة ٤٦ .

(٢١٣) معاني القرآن للفراء ٢/٩٩ .

(٢١٤) معاني القرآن للفراء ٣/١٢٧ .

(٢١٥) انظر البحث فيما سبق : مخالفة المطابقة للواقع الخارجي .

(٢١٦) انظر : المزهري ٢/١٩٩ .

(آل عمران ١٠٤) قال الأخفش «وأمة في اللفظ واحد ، وفي المعنى جميع ، فلذلك قال (يدعون)» (٢١٧) .

ومثل ذلك لفظة (بشر) في قوله تعالى ﴿فَقَالُوا أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا﴾ (التغابن ٦) (٢١٨) ، وقد نقل السيوطي في المزهر أن (البشر) يقع على الذكر والأنثى والواحد والاثنتين والجمع (٢١٩) .

واسم الجنس أو (اسم الجملة) في اللغات السامية يستعمل مفرداً وجمعاً ، يقول برجشتراسر : إن أصل جمع التكسير أسماء الجملة ، وهي الأسماء التي تدل على جنس متركب من الأفراد كمثل : أهل وركب ، وقطيع وقوم ، ومعناها بين معنى الجمع ومعنى المفرد ، فهي تشبه الجمع في أنه يعبر بها عن غير واحد من الأفراد ، وتشبه المفرد في أن «القوم» مثلاً ، وإن احتوى على عدد كثير من الناس ، فهو فرد يميز من غيره وهذا يمكن جمعه على أقوام ، وقد يشتق منه الاسم المفرد ، بإضافة تاء التأنيث من مثل (qora) قرى في السريانية ومعناها جمع ، ومفردها (qria) قرية (٢٢٠) .

إذن فهذه الألفاظ مفردة في اللفظ لكنها تعبر عن معنى الجمع وفي استعمالها للتعبير عن المفرد مراعاة للفظها ، وفي استعمالها للتعبير عن الجمع مراعاة لمعناها لأنها تعبر عن مجموع أفراد وتسير في ذلك وفق منطق اللغة ونظامها المتبع (٢٢١) ، إلا أن ذلك لا يمنع من القول بأنها باستعمالها للجمع خرجت عن الاستعمال المألوف ، وهو ما يفتح الباب لتفسير الخروج عن هذا الإلف تفسيراً دلالياً ، يبين عن الغرض من مخالفة المألوف ، وقد عرضنا من قبل تفسيرهم لخروج لفظتى (الناس) و(طائفة) .

ج- ألفاظ تتفق صورتها في الأفراد والجمع :

هناك ألفاظ تتفق صورتها اللفظية تستعمل بنفس لفظها في الأفراد والجمع وقد جاءت من ذلك ألفاظ في القرآن الكريم ، نبه الزركشي وابن قتيبة والسيوطي على بعضها (٢٢٢) ، وتناولها أصحاب الدراسات القرآنية بالتحليل .

(٢١٧) معاني القرآن للأخفش ٢١١/١

(٢١٨) نفسه ٥٠١/٢

(٢١٩) المزهر ٢٢٠/٢

(٢٢٠) راجع . التطور النحوي للغة العربية ١٠٦ ، ١٠٧ . السريانية نحوها وصرفها ص ٥٨ ، ٥٩

(٢٢١) راجع ظاهرة المطابقة ١٠٥ ، ٩٩

(٢٢٢) انظر : البرهان للزركشي ٢٣٣/٢ ، ٢٣٤ ، تأويل مشكل القرآن ٢٨٤

ومن أمثلة ذلك لفظة (الفلك) فقد جاءت بمعنى المفرد في قوله تعالى ﴿ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ (الشعراء ١١٩ ، يونس ٧٣) ، وجاءت بمعنى الجمع في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَّيْنَبِهِمْ ﴾ (يونس ٢٢) ﴿ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴾ (البقرة ١٦٤) .

وقد عدها سيبويه في حالة الجمع جمع تكسير على وزن (فعل) (٢٢٣) ، وهو على نفس الوزن في الإفراد ، ومن هنا جاء له ابن جنى بألفاظ تعادله في حالتي الإفراد والتثنية ، فـ (فلك) في المفرد بمنزلة (فعل) ، و(خرج) وفي الجمع بمنزلة (حمر) ، (صفر) ، فاتفق اللفظان واختلف المعنى (٢٢٤) .

ومن أمثلة ذلك ألفاظ (العدو) في ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ ﴾ (المنافقون ٤) أي الأعداء (٢٢٥) ، و(خصم) في مثل ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ سورة ص ٢١) ، قال أبو عبيدة والخصم : يقع لفظه على الواحد والجمع ، (٢٢٦) ، ومثل ذلك (ضيف) في ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ (الذاريات ٢٤ - ٢٥) (٢٢٧) و﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي ﴾ (الحجر ٦٨) (٢٢٨) ، و(السبيل) في ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَسْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ (النحل ٩) قال أبو عبيدة ، السبيل لفظه لفظ الواحد ، وهو في موضع الجمع ، فكأنه : ومن السبيل (أي السبيل) سبيل جائر ، (٢٢٩) ، ومثل ذلك (طفلاً) في ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ (غافر ٦٧) فمعناه : أطفالاً (٢٣٠) .

وإذا كان أبو عبيدة قد وقف عند الظاهرة دون محاولة تفسيرها فإن الزجاج يجعل المعنى : يخرج كل واحد منكم طفلاً (٢٣١) ، وقد وصلت هذه التبريرات عند أبي حيان إلى ثلاثة ؛ أولها أنها مصدر في الأصل ، والثاني أن الغرض الدلالة على

(٢٢٣) الكتاب ٥٧٧/٣ .

(٢٢٤) الخصائص ١٠١/٢ ، وانظر أيضاً ٦٤/٣ ، ٦٥ .

(٢٢٥) معاني القرآن للفراء ١٥٩/٣ ، وانظر معاني القرآن للاخفش ٤٢٣/٢ .

(٢٢٦) مجاز القرآن ١٨٠/٢ .

(٢٢٧) نفسه ٢٢٦/٢ .

(٢٢٨) نفسه ٣٥٣/١ .

(٢٢٩) نفسه ٣٥٧/١ .

(٢٣٠) نفسه ١/١ - ١١ ، وانظر ٤٤/٢ ، ٤٥ ، ١٩٥ .

(٢٣١) معاني القرآن وإعرابه ٤١٤/٣ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٧٨/٣ ، الكشاف ٦/٣ .

الجنس ، والثالث : أن معنى يخرجكم يخرج كل واحد كقولك الرجال يشبعهم رغيف أى كل واحد (٢٣٢) ، وهو رأى الزجاج فيما سبق .

والقول بأن (طفلاً) كانت مصدراً في الأصل ، وإن كان تعليلاً لغوياً - غير مقنع ، وكذلك القول بأنه يدل على الجنس ، وقد أخذ ابن جني بالقول الثالث وهو أن معناه نخرج كل واحد منكم طفلاً ، إلا أنه أضاف تعليلاً دلالياً لاختيار لفظ المفرد فقال : وحسن لفظ الواحد هنا ، لأنه موضع تصغير لشأن الإنسان ، وتحقير لأمره ، فلاق به ذكر الواحد لذلك ، لقلته عن الجماعة ، ولأن معناه أيضاً نخرج كل واحد منكم طفلاً وهذا مما سئل الناس عنه قالوا : وضع الواحد موضع الجماعة اتساعاً في اللغة ، وأنسوا حفظ المعنى ومقابلة اللفظ به ، لتقوى دلالته عليه، (٢٣٣) .

فابن جني لا يكتفى بالتعليل اللغوي (اللفظي) بالاتساع في اللغة ، بل يضيف إليه تعليلاً معنوياً عرض له ولأمثله في الخصائص وهو يقتضى زيادة اللفظ لزيادة المعنى(٢٣٤) .

وقد أعجب أحد الباحثين برأى ابن جني وعرضه ثم عرض الآيات التي وردت فيها لفظنا (طفل) و(أطفال) وعمق التعليل الدلالي لابن جني(٢٣٥) .

ونحن وإن كنا لانستبعد التحليل الدلالي والبلاغي إلا أننا نقدم عليه التحليل اللغوي ، ولفظة (طفل) كما استعملت في القرآن للمفرد والجمع فإننا نجدها مستعملة كذلك في العبرية ، فكلمة (ילד) وإن كانت مفردة في شكلها إلا أنها تحمل معنى الجمع وتوازي الجمع في الغالب(٢٣٦) وفي اللغة الأجرية أيضاً أسماء مفردة في شكلها لكنها توظف كما لو كانت جمعاً ، ولنا أن نقارن الاستعمالات الآتية لكلمتي (hZr) خنزير و( hrsm ) حرفيون ، فالأولى مفردة في شكلها والثانية جمع ، ومع ذلك نجد هذه الاستعمالات :

ثمانية خنازير tmnhzr

أربعة حرفيين arbehr^sm

(٢٣٢) البحر المحيط ٦/٣٥٢

(٢٣٣) المحتسب ٢/٢٧٦ .

(٢٣٤) انظر : الخصائص ٣/٢٦٤ وما بعدها .

(٢٣٥) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية / حسن طبل ١١٦ .

(٢٣٦) hebrew union college annual viumelp.31 (٢٣٦)



اثنا عشر خنزيراً ttt mhzr

خمسة عشر مغنياً hmssrhnsm (٢٣٧)

ويتبين من هذا أن المفرد (hzr) قد استعمل استعمال الجمع تمييزاً للعدد ، وهو ما يتفق مع العربية في المثاليين الأخيرين .

د - المبهمات :

هناك ألفاظ مبهمة مفردة في اللفظ ، لكنها قد تدل على الجمع بحسب ما يفسرها في سياقها اللغوي ، ومن هذه الألفاظ أي ، وكل ، وكم (٢٣٨) وبعض الأسماء الموصولة (٢٣٩) .

وقد جاءت (كل) في قوله تعالى ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ ﴾ (غافر ٥) مفردة في معنى الجمع ولهذا قال برسولهم (٢٤٠) .

وأجاز أبو عبيدة أن تعامل معاملة المفرد، ومعاملة الجمع في آيات منها ﴿ وَكُلُّ آتَوَةٍ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل ٨٧) (٢٤١) ، و﴿ كُلُّ لُهُ قَانُتُونَ ﴾ (الروم ٢٦) (٢٤٢) ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ (الأنبياء ٧٢) (٢٤٣) و﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء ٣٣) (٢٤٤) .

الأسماء الموصولة :

أما الأسماء الموصولة ؛ فقد حدد النحاة استعمال كل اسم منها من حيث الإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث (٢٤٥) ، إلا أنها قد تخالف هذا الاستعمال ، ومن أمثلة ذلك ما يلي :

ugaritic Textbook p 55 (٢٣٧)

(٢٣٨) راجع ظاهرة المطابقة ص ٨٨ وما بعدها .

(٢٣٩) راجع : نفس المرجع ص ٧٨ وما بعدها وراجع أيضاً : الجوانب الدلالية للتحليل النحوي ص ٣٢ وما بعدها

(٢٤٠) معاني القرآن للأخفش ٤٦٠/٢ .

(١٤١) مجاز القرآن ٩٦/٢ .

(٢٤٢) نفسه ١٢١/٢ .

(٢٤٣) نفسه ٤٠/٢ .

(٢٤٤) نفسه ٣٨/٢ .

(٢٤٥) انظر : همع المهورام ٢٨٣/١ .

١- الذى : للمفرد المذكور : وقد جاءت للدلالة على معنى الجمع فى مثل ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة ١٧) ، و ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر ٢٣) .

وللأخفش فى تحليل هذه المخالفة رأيان ، أولهما : أن (الذى) جعلت فى معنى جمع بمنزلة (من) (٢٤٦) ، أى أنها مبهمه مثلها يوضحها مابعداها ، والرأى الآخر : أنها فى معنى جمع كما يكون (الإنسان) فى معنى (الناس) (٢٤٧) ، أى أن المراد بها الجنس .

وللفراء (٢٤٨) أيضا رأيان يجمع فى أولهما بين عودة (الذى) على المصدر (النفاق) ودلالة ذلك على الجنس ، فيقول - عند آية البقرة - إن المقصود بضرب المثل هو الفعل ، فهو مثل للنفاق ، وعلى ذلك جاز (ذهب الله بنورهم) بالجمع لأن المعنى يعود على المنافقين لامنافق واحد . أما الرأى الآخر فقد قاله فى الآية الثانية وهو أن (الذى) غير موقت - أى مبهمه - فجاءت فى معنى الجمع ، واستدل على معنى الجمع بقراءة عبد الله (والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به) (٢٤٩) .

أما الأنبارى فقد جعل (الذى) مثل (من) فهى تأتى مرة بمعنى المفرد ومرة بمعنى الجمع (٢٥٠) ، وجعلها فى الآية الثانية دالة على الجنس (٢٥١) .

وجمع العكبرى رأبى الأنبارى فى رأى واحد ؛ فقال إن المراد بـ (الذى) الجنس ، فهى مثل : من ، وما ، فيعود الضمير إليها تارة بلفظ المفرد ، وتارة بلفظ الجمع ، وأضاف رأياً آخر هو أن المراد (الذين) ، وحذفت النون لطول الكلام بالصلة (٢٥٢) وهو تحليل لفظى يجعل (الذى) أصلها (الذين) وحدث لها حذف

(٢٤٦) معاني القرآن للأخفش ٤٥٦/٢ .

(٢٤٧) نفسه ٤٩/١ .

(٢٤٨) معاني القرآن ١٥/١ .

(٢٤٩) نفسه ٤١٩/٢ .

(٢٥٠) البيان ٣٢/١ ، ٣٣ .

(٢٥١) نفسه ٣٢٣/١ .

(٢٥٢) التبيان ٣٢/١ ، ٣٣ وهو رأى ابن جني أيضاً ، انظر المحتسب ١٨٥/١ .

لطول جملة الصلة فتحوّلت إلى (الذى) (٢٥٣).

ويقول السيوطى إن (الذى) تجيء بمعنى (الذين) بكثرة إذا ضمنت معنى الجزاء فى مثل (والذى جاء بالصدق) ، ويقلة إذا لم تتضمن معنى الجزاء ومثالها آية البقرة وأنها مثل (من) تجيء للمفرد والمثنى والجمع (٢٥٤).

وإذا تأملنا الآراء السابقة على كثرتها وجدناها تعود إلى ثلاثة آراء هى :

الرأى الأول : أنها مثل (من) وقال بذلك الأخفش والأنبارى والعكبرى والسيوطى ، وقد يعود إلى هذا الرأى أيضاً قول الفراء إنها غير مؤقتة - أو مبهمة ، ومعنى الجزاء الذى جاء عند السيوطى والذى يعطى معنى الإبهام أيضاً.

الرأى الثانى : معنى العموم فى جملتها ، ويتفرع عن ذلك ربط الفراء بين معناها ومعنى العموم فى المصدر ، أو فى مقصود النفاق أو المنافقين ومعنى الجنس الذى جاء عند الأخفش والأنبارى والعكبرى .

الرأى الثالث : هو قول العكبرى بأن أصلها (الذين) وحذف منها النون ، وهو التحليل اللفظى الوحيد فى هذه الآراء .

٢- التى : وهو مثل (الذى) عند ابن جنى ، وقد جاءت على ذلك قراءة (التى أرضعنكم - النساء ٢٣) (٢٥٥) ، وقد خرجها ابن جنى على مذهب الجنسية ، وقال إنه لا يجوز تخريجها على حذف النون ، فهذا لا يكون إلا فى تخريج (الذى) (٢٥٦).

٤،٣ - ما ، من تستعمل (ما) ، (من) للمفرد والمثنى والجمع مذكراً أو مؤنثاً بلفظ واحد (٢٥٧).

ما : جاء (ما) بمعنى الجمع ونبه أبو عبيدة إلى ذلك عند قول الله تعالى ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادْنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ﴾ (الزمر

(٢٥٣) انظر : ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوي ٤٠ .

(٢٥٤) مع الهوامع ٢٨٥/١ .

(٢٥٥) وهى قراءة ابن هرمز ، انظر : البحر المحيط ٢/٢١١ . المحتسب ١/١٨٥ ، معجم القراءات ١٢٢/٢ .

(٢٥٦) المحتسب ١/١٨٥ .

(٢٥٧) مع الهوامع ٢٨٩/١ ، وانظر : الكتاب ١/٦٥ ، ٤١٥ .

(٣٨)(٢٥٨). ومثلها ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ (الأحقاف ٤) (٢٥٩).

من : تكون مفردة في اللفظ ومعناها الجمع ، وقد مثل سيبويه لذلك بقول : الله تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ١١٢) ، فقال : «أجرى الأول على لفظ الواحد ، والآخر على المعنى» (٢٦٠). وفي كتابه باب لاستعمال (من) بمعنى المثني والجمع والمفرد يسميه «باب إجرائهم صلة (من) وخبره إذا عنيت اثنتين كصلة (الذين) ، وإذا عنيت جميعاً كصلة (الذين) ، ويمثل فيه بقول الله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ (يونس ٤٢) ، على الجمع ، ويقوله سبحانه ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مَنكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الأحزاب ٣١) (٢٦١).

وقد جاء ذلك عند الفراء أيضاً ، فقال عند قول الله تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد ١٤) : «ولم يقل : واتبع هواه ، وذلك أن (من) تكون في معنى واحد وجميع ، فردت (أهواءهم) على المعنى ، ومثله ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ (الأنبياء ٨٢) ، وفي موضع آخر ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ (الأنعام ٢٥) ، وفي موضع آخر ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ (يونس ٤٢) (٢٦٢).

ومثل ذلك ما جاء عند الأخفش (٢٦٣) ، وقد نبه أبو عبيدة إلى أن (من) تقع على الواحد والاثنتين والجمع من المذكر والمؤنث (٢٦٤) ، وقال الزجاج إن (من) لفظه لفظ الواحد فيوحد ويذكر ، ويحمل على معناها فيثني ويجمع ويؤنث (٢٦٥). ومثل ذلك

(٢٥٨) مجاز القرآن ٢/١٩٠ .

(٢٥٩) نفسه ٢/٢١٢ .

(٢٦٠) الكتاب ١/٦٥ .

(٢٦١) الكتاب ٢/٤١٥ ، وانظر في هذه القراءة البحر المحيط ٧/٢٢٨ ، حيث نسبها لابن عامر وآخرين .

(٢٦٢) معاني القرآن للفراء ٣/٥٩ ، وانظر ١/٢٧٢ ، ٣/١٠ .

(٢٦٣) معاني القرآن للأخفش ١/١٤٤ .

(٢٦٤) مجاز القرآن ١/٣٦٨ ، ٢/١٢٤ ، وانظر : ١/١٦٧ ، ٢/٣٦٨ ، ٢/٤١ ، ١٥٩ ، ٢١٥ ، ٢٦٠ .

(٢٦٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٧٨ .

جاء عند النحاس وابن جنى (٢٦٦).

وإذا كان خروج (الذى) ، (التي) عن معنى الأفراد إلى معنى الجمع يحتاج إلى تبرير ، فإن (ما) و (من) بإيهامهما يصلحان للمفرد لدلالة لفظهما على الأفراد ، كما يصلحان للجمع لأن معناهما الجمع ، فلا يحتاج خروج إحداهما من معنى إلى آخر إلى تبرير ، وقد كثر مجيئهما بالمعنيين في القرآن .

**ثالثاً : العلاقة بين المثني والجمع**

**١- التعبير عن الجمع بلفظ المثني :**

جاء في القرآن ضمير المثني عائداً على الجمع ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (الأنبياء ٣٠) وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا ﴾ (فاطر ٤١) وقوله عز من قائل ﴿ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا ﴾ (الحاقة ١٤) .

والملاحظ في الآيات عود ضمير التثنية على جمع معطوف على المفرد أو على مفرد معطوف على الجمع ، فجمعت السموات والجبال وعطفت عليهما الأرض وقد وقف الفراء عند آية الحاقة ، فقال إن لفظ : (الجبال) فيها جعل كالواحد ، وكذلك السموات ، وأجاز أيضاً أن يقال : (دكتا) لأن الجبال والأرض كالأشياء الواحد (٢٦٧) ومعنى ذلك أنه يجعل كل لفظ من المعطوفين واحداً في مقابل ما عطف عليها .

ومثل ذلك ما قاله الأخفش في آية (فاطر) حيث ثنى الضمير مع أن السموات والأرض جماعة ، فرأى أن الآية تجعل السموات صنفاً كالواحد (٢٦٨) .

ويتكرر قوله هذا في آية الأنبياء ، فيقول ، قال (كانتا) ؛ لأنه جعلهما صنفين ، كنحو قول العرب : هما لقاخان أسودان ، .. وقال الشاعر :

رأوا جبلاً فوق الجبال إذا التقت رؤوس كيمييهن ينتطحان

فقال (رؤس) ، ثم قال (ينتطحان) ، (٢٦٩)

(٢٦٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٦/١ ، ١٨٢/٤ ، ٢٣١ ، المحتسب ١/١٩١ ، ٢٢٨/٢ ، ٢١٩ .

(٢٦٧) معاني القرآن للفراء ١٨١/٣ .

(٢٦٨) معاني القرآن للأخفش ٤٤٨/٢ .

(٢٦٩) معاني القرآن للأخفش ٤١٠/٢ .

فهو يجعل ضمير التثنية عائداً على مثنى هو صنفا السموات والأرض ، كما يستشهد بورود ذلك في أقوال العرب والشعر ، وهوماتوسع فيه أبو عبيدة وجعل من ذلك قاعدة نحوية حيث وقف عند آية الأنبياء ، فقال إن السموات جميع والأرض واحدة ، فخرج لفظ صفة الجميع على تقدير لفظ صفة الواحد ... والعرب قد تفعل هذا إذا كان جميع موات أو جميع حيوان ، ثم أشركوا بينه وبين واحد من الموات أو من الحيوان جعلوا لفظ صفتها ، أو لفظ خبرهما على لفظ الاثنين ، (٢٧٠) ، ومعنى ذلك أن السموات جعلت كأنها مفرد لأن الأرض مفرد .

وقد تبعه في ذلك ابن فارس واستشهد ببيتين مما جاء عنده (٢٧١) ، وكذلك يذهب أبو حيان نفس المذهب فيقول في آية الحاقة إن الضمير قد ثنى في (فدكتا) وإن كان قد تقدمه ما يعود على ضمير الجمع ، لأن المراد جملة الأرض ، وجملة الجبال ، (٢٧٢) .

ويعبر العكبري عن ذلك بقوله إن الضمير يعود على الجنسين ، (٢٧٣) ، فالمقصود بالسموات جنس السموات ، وبالأرض جنس الأرض وهو ما أراده كل من سبقوه .

ولا يخرج عن هذا الرأي إلا الزجاج الذي يقول إن السموات يعبر عنها بلفظ الواحد ، لأن السموات كانت سماء واحدة ، وكذلك الأرضون كانت أرضاً واحدة ، (٢٧٤) .

ويمكننا بعد عرض هذه الأقوال أن نقول إن هؤلاء النحاة كانوا يسعون إلى تبرير معاملة (السموات) و(الجبال) معاملة المفرد ، مما جعلنا نقول إن هذه الظاهرة فرع على ظاهرة التعبير بالمفرد عن الجمع ، لأن هاهنا جمعاً ومفرداً معطوفين أو جمعين معطوفين ثم يعود الضمير عليهما بالتثنية ، وهو ما يعنى اعتبار كل منهما مفرداً ، ويجعلهم يؤولون الجمع بالمفرد حتى تظهر المسألة كما لو كانت عطف مفرد على مفرد ، فيلجأون إلى القول بأن الجمع يعبر عن صنف واحد أو شيء واحد ، أو جنس ، أو أن هذا الجمع كان في الأصل واحداً .

---

(٢٧٠) مجاز القرآن ٢/٣٦ ، ٢٧٠ /

(٢٧١) الصاحبى ٣٥٤ .

(٢٧٢) البحر المحيط ٨/٣٢٣ .

(٢٧٣) التبيان ٢/٩١٦ .

(٢٧٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٩٠ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/٦٩ .

## ٢- التعبير عن المثنى بالجمع :

جاء في القرآن عود ضمير الجمع على المثنى ، ولذلك عدة صور نعرضها فيما يلي :

أ - عودة ضمير الجمع على معطوفين كل منهما لفظه مفرد ومعناه جمع ، من ذلك : خصم ، طائفة ، الجن ، الإنس ، فمن الآيات التي تعبر عن هذه الظاهرة ، ومما جاء فيه لفظة ( طائفة ) قوله تعالى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (الحجرات ٩) ، حيث عاد ضمير الجمع في (اقتلوا) على لفظ المثنى (طائفتان) ، ثم جاء ضمير المثنى بعد ذلك في (بينهما) ، ثم قال ﴿ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْرَيْكُمْ ﴾ (الحجرات ١٠) ، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ (الأنعام ١٥٦) ، حيث عاد ضمير الجمع في (دراستهم) على (طائفتين) ، ومثل ذلك قراءة ابن مسعود ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ﴾ (آل عمران ١٢٢) فعاد ضمير الجمع في (وليهم) على (طائفتان)

وجاءت لفظة (خصم) في قوله تعالى ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ (الحج ١٩) حيث عاد ضمير الجمع في (اختصموا) على المثنى (خصمان) .

الجن والإنس : وقد جاء في قوله تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا ﴾ (الرحمن ٣٣) ، حيث عاد ضمير الجمع في (استطعتم ، تنفذوا ، فانفذوا ، لاتنفذون) على المثنى في اللفظ (الجن والإنس) ، ومثل ذلك ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ (الأنعام ١٣٠) .

وقد تبه الفراء للظاهرة في تلك الآيات (٢٧٥) ، وقال إن التثنية على اللفظ ، والجمع على المعنى (٢٧٦) . وقال الأخفش في (هذان خصمان اختصموا) إنها كانا حيين ، وأن الخصم يكون واحداً أو جماعة (٢٧٧) ، وإذا كان السياق الخارجي - عنده - هو المتحكم في تفسير الظاهرة ، فإننا نجد ذلك أيضاً عند الفراء الذي جعل أحد

(٢٧٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢٣٣/١ ، ٢٨٥ ، ٧١/٣ .

(٢٧٦) نفسه ١١٦/٣ .

(٢٧٧) معاني القرآن للأخفش ٤١٤/٢ .

الخصمين المسلمين ، والآخر اليهود والنصارى (٢٧٨) بينما يخطئه النحاس في هذا المرجع الخارجى ويرجع خطأه إلى ضعف معرفته بالحديث والتفسير ، ويجعل الخصمين جميعاً من المسلمين (٢٧٩) ، وقال العبرى « إنما جمع حملاً على المعنى ؛ لأن كل خصم فريق فيه أشخاص » (٢٨٠) . فكل طائفة منها جمع (٢٨١) .

وقد أجاز الفراء فى هذه الآيه وغيرها أن يعود الضمير بالتثنية على اعتبار أن الجمعين طائفتان ، فيقال : اختصما ، اقتتلتا ، استطعتما (٢٨٢) وكذلك قال الزمخشري إن (هذان) للفظ، و(اختصموا) للمعنى ، ولو قيل هؤلاء (خصمان) ، أو (اختصما) جاز ، يراد المؤمنون والكافرون (٢٨٣) .

وقد وقف أحد الباحثين عند هذا الجواز واعترض عليه — بعد عرضه لسياق الآيه — وقال إن الفعل (اختصموا) يصف هذه الفرق فى الدنيا فى تعدد تسمياتها واختلاف مذاهبها ، فلا يجوز الإشارة إلى فريقين بـ (هؤلاء) ، ولا الإخبار عن الخصومة والاختلاف بين تلك الطوائف المتعددة بطريق التثنية (اختصما) (٢٨٤) .

وقد نتفق معه فى تحليله السياقى ، لكنه ليس الوجه الوحيد فى تحليل الآيه ، حتى لايجوز غيره ، والواقع الخارجى أو تفسير الآيه مختلف فيه ، وقد رأينا اختلاف النحاس والفراء ، فما ذهب إليه الفراء والزمخشري جائز فى اللغة على اعتبار أن المجموع واحد ، وهو ما عرضنا له فيما سبق (٢٨٥) .

ب — أما الصورة الثانية : ففيما يختص بأعضاء جسم الإنسان ، وقد يحتوى جسم الإنسان على عضو واحد منها مثل : القلب ، اللسان ، الأنف ، وقد جاء (القلب) مجموعاً مع قصد تثنيته فى قوله تعالى ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ (التحریم ٤) ، وقد يحتوى جسم الإنسان على اثنين من الأعضاء مثل : اليدين —

(٢٧٨) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٩ .

(٢٧٩) إعراب القرآن للنحاس ٣/٩١ ، ٩٢ .

(٢٨٠) التبيان ٢/٩٣٧ .

(٢٨١) البحر المحيط ٤/٢٥٧ ، وانظر ٣/٤٧ .

(٢٨٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٢٢٠ ، ١/٢٨٥ ، ٣/١١٦ .

(٢٨٣) الكشف ٣/٩ .

(٢٨٤) أسلوب الانتفات ١٣٥ ، وقد وقف عند آية الحجرات ٩ ، واختار تحليل الرازي وهو يتفق

تماماً مع تحليله لهذه الآيه انظر ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٨٥) انظر هذا البحث فيما سبق (التعبير عن الجمع بالثنى) الحالة السابقة .



الأذنين ، الرجلين ، وقد جاءت (اليدان) مجموعة في قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة ٣٨) مع قصد التثنية وقد فرقوا بين النوعين في التناول .

لقد سأله سيبويه الخليل في مثل ذلك فعلمه بأن المثنى جميع ، وهو مثل قول الاثنتين : نحن فعلنا ذلك ، وأن ذلك جائز فيما هو شيء من شيء وما هو منفرد (٢٨٦) ، وعرض سيبويه ذلك في باب سماه «باب ما لفظ به مما هو مثنى ، كما لفظ بالجمع» (٢٨٧) ، فقال إن يكون في الشيئين كل واحد منهما بعض شيء ؛ تفريقاً بينه وبين ما يكون مثنى بذاته ، وهم يفعلون ذلك لما هو مثنى بذاته أيضاً (٢٨٨) .

وما وجدناه من غموض في كلام سيبويه نجده في تعليق الأخفش على قول الله تعالى ﴿إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحریم ٤) ، حيث يقول «فجعله جماعة لأنهما اثنان من اثنين ، (٢٨٩) أى قلبان من إنسانين ، ويقول في موضع آخر إن «من كلام العرب أن كل شيئين من شيئين فهو جماعة» (٢٩٠) ، أى أن (قلوبكما) جاءت جمعاً لأنها تعبر عن قلبين (شيئين) من شخصين (شيئين) فوصلت بذلك إلى الجمع .

أما أبو عبيدة فإن (أيديهما) عنده في معنى (يديهما) المثنى ، أى أنها جمع والمقصود به المثنى ، ويعلل ذلك بأن العرب تفعل ذلك فيما كان من الجسد (٢٩١) . فهو يطلق المسألة ولا يقيد بها بما قيدوها من قبل .

أما الفراء (٢٩٢) فيقول : إن كل شيء موحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافاً إلى اثنين فصاعداً جمع ، وقد يجوز هذا فيما ليس من خلق الإنسان ، ومن النحويين من كان لا يجيزه إلا في خلق الإنسان وكل سواء .

وعرض النحاس أقوال الخليل وسيبويه والفراء وخلط بينها (٢٩٣) .

(٢٨٦) الكتاب ٤٨/٢ ، ٤٩ .

(٢٨٧) نفسه ٦٢١/٣ ، ٦٢٢ .

(٢٨٨) نفسه المصدر والصفحة .

(٢٨٩) معاني القرآن للأخفش ٥٠٣/٢ .

(٢٩٠) نفسه ٢٢٩/١ .

(٢٩١) مجاز القرآن ١٦٦/١ .

(٢٩٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣٠٦/١ - ٣٠٧ .

(٢٩٣) إعراب القرآن للنحاس ١٩/٢ ، ٢٠ .

وقال الأنبارى إن ذلك جائز فى كل عضو ليس فى البدن منه إلا عضو واحد(٢٩٤)، أما مجيء (أيديهما) بالجمع والمراد (أيمانهما) فهى - عنده - قراءة شاذة، لأن ما كان فى البدن منه عضوان فإن تثنيته على لفظ التثنية ، ولما كان معنى (أيديهما) أيمانهما والإنسان ليس له إلا يمين واحدة نزل منزلة ماليس فى البدن منه إلا عضو واحد ، فأتى فى تثنيته بلفظ الجمع (٢٩٥)، والأنبارى يريد أن تتسق القراءة مع القاعدة فيجعل المقصود باليد هنا (اليمين) ، وليس فى الجسد إلا يمين واحدة ، ومثل ذلك ما جاء عند العكبرى (٢٩٦).

وقد جعل أبو حيان الجمع أكثر من التثنية فيما كان فى الجسم منه عضو واحد إذا أضيف إلى مثنى ، لأنهم كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع ، لأن التثنية جمع فى المعنى (٢٩٧)، ثم عاب على الزمخشري تسويته بين جمع (قلوبكما) و(أيديهما) ، قال (لأن باب (صغت قلوبكما) يطرد فيه وضع الجمع موضع التثنية ، وهو ما كان اثنين من شيئين كالقلب والأنف والوجه والظهر، وأما إن كان فى شيء منهما اثنان كاليدين والأذنين والفخذين فإن وضع الجمع موضع التثنية لا يطرد ، وإنما يحفظ ولا يقاس عليه ، لأن الذهن إنما يتبادر إذا أطلق الجمع لما يدل عليه ، فلو قيل : قطعت أذان الزيدين فظاهره قطع أربعة الأذان وهو استعمال اللفظ فى مدلوله،(٢٩٨).

وأبو حيان فى ذلك ينبه إلى أمن اللبس ، فما كان فى الجسم منه واحد لا يلتبس إذا تُنى أو جمع ، فيكون جمعه قياسياً ، أما ما كان فى الجسم منه عضوان فإن ما جاء منه مجموعاً يحفظ ولا يقاس عليه لأمن اللبس .

يبقى بعد ذلك أن ما يفسر مدلول (أيديهما) إنما هو السياق الخارجى وهو ما يعرف منه أن المقصود قطع اليد اليمنى للشارق ، وليس قطع اليدين معاً - كما يفهم من ظاهر اللفظ - ولولا المرجع الخارجى لفهم من مدلول اللفظ شيء آخر ، وهو ما يفسر إصرارهم على أن ذلك خلاف القاعدة .

ج - أما الصورة الثالثة فهى ما يجيء فى اللفظ جمعاً ، وهو مثنى فى الواقع الخارجى ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ ﴾ (الأعراف ١٤٥) فقد

(٢٩٤) البيان ٤٤٦/٢ .

(٢٩٥) نفسه ٢٩٠/١ ، ٢٩١ .

(٢٩٦) التبيان ٤٣٥/١ ، ١٢٢٩/٢ .

(٢٩٧) البحر المحيظ ٢٩١/٨ .

(٢٩٨) نفسه ٤٨٣/٣ .

قال الفراء والزجاج ، إنما ذكر أنهما لوحان ، ويجوز في اللغة أن يقال للوحين ألواح(٢٩٩) . وكذلك قال القرطبي أنه يروى أنهما لوحان (٣٠٠) .

وفي قوله تعالى ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ (النساء ١١) قال الأخفش إنهم ذكروا أن الإخوة اثنتان (٣٠١) ، وقال أبو عبيدة إنهما أخوان فصاعداً ، والعرب تجعل لفظ الجمع على معنى الاثنتين وتجعل لفظ الاثنتين على معنى الجمع (٣٠٢) ، أما العكبري فيقول إن الجمع هنا معناه اثنتان ، لأن الاثنتين يحجبان الأم عن السدس عند الجمهور ، وهما عند ابن عباس لا يحجبان الأم ، والأخوة جمع (٣٠٣) .

فالأمر إذن يتوقف على المرجع الخارجي ، فإذا كان الاثنتان يحجبان الأم عن سدس الميراث ، فإن المقصود بـ (إخوة) في الآية المثنى وهي جمع عبر عن المثنى وفي ذلك مخالفة للمطابقة ، أما إذا لم يحجب الاثنتان الأم عن السدس فإن (المقصود بـ (إخوة) الجمع وليس فيها مخالفة للمطابقة .

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمٌّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (الأنبياء ٧٨) ، حيث عاد ضمير الجمع في (لحكمهم) على مثنى هو داود وسليمان .

قال الأنباري إن الضمير في (لحكمهم) له وجهان :

أحدهما : أن يكون الضمير راجعاً إلى (داود وسليمان) ، ويكون مما قام فيه الجمع مقام التثنية .

والثاني : أن يكون المراد بالضمير الحكمان والمحكوم عليه ، وهم جماعة (٣٠٤) .

واختار أبو حيان أن يكون الضمير في (لحكمهم) عائداً على الحاكمين والمحكوم لهما وعليهما (٣٠٥) ، ومثلها تماماً ﴿ قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ

(٢٩٩) معاني القرآن للفراء ١/٣٩٤ ، معني القرآن وإعرابه ٢/٤١٤ .

(٣٠٠) تفسير القرطبي ٤/٢٨١٠ . (طبعة دار الفند العربي) .

(٣٠١) معاني القرآن للأخفش ١/٢٣٠ .

(٣٠٢) مجاز القرآن ١/١١٨ .

(٣٠٣) التبيان ١/٣٣٥ ، وانظر : تفسير القرطبي ٢/١٧٣٨ .

(٣٠٤) التبيان ٣/١٣٦ وهو ما نجده ، عند العكبري أيضاً ، انظر التبيان ٢/٩٢٣ .

(٣٠٥) البحر المحيط ٦/٣٣١،٣٣٠ .

مَنِّي هُدَى ﴿ (طه ١٢٣) ، فضمير الجمع في (بعضكم) ، و(يأتينكم) يعود على مثنى في الظاهر وقد قالوا إن الجمع هنا مقصود به إبليس والحية معهما لأنهما مهبطان ، أو آدم وحواء وذريتهما (٣٠٦) . وفي الآيتين نجدهم يأتون بتفسير الظاهرة مما في الواقع الخارجي .

ومثل ذلك ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا ﴾ (المائدة ١٠٨) فالكلام في الآيات على الشاهدين ، ثم عاد عليهما ضمير الجمع في (يأتوا) ، وهنا يقول أبو حيان جمع الضمير في (يأتوا) وما بعده - وإن كان السابق مثنى - فقيل هو عائد على الشاهدين باعتبار الصنف والنوع ، وقيل لا يعود إلى كليهما بخصوصيتهما بل إلى الناس الشهود (٣٠٧) .

وبهذا يتبين إدراكهم لظروف الموقف وتحكيمها في التحليل اللغوي حيث يستدعي الموقف الخاجي بظروفه والمخاطبين فيه ليفسر الظاهرة .

د - خاتمة في العلاقة بين المثنى والجمع :

لقد اختلف المثنى من كثير من اللغات ، وقد فصل فندريس القول في اللغات التي اختلفت منها المثنى ، واللغات التي بقي فيها (٣٠٨) .

ويشير برجشتراسر إلى أن التثنية كثيرة الاستعمال في اللغة العربية ، وقد اتسع فيها حيزها الأصلي الذي هو في اللغة السامية الأم ، وكذلك في الهندية والإيرانية يشير إلى شيء مع شيء آخر شبيهه به يرافقه مثل أعضاء البدن (٣٠٩) ، ، وإذا كانت العبرية قد اقتصر فيها استعمال المثنى على الأسماء الأساسية للزمن ، والأسماء التي توجد مثناة في الطبيعة ، خصوصاً أعضاء الجسم ، والأرقام مثل : יָדַי יְמִינַי يومان و يدان و اثنان (٣١٠) . فإننا نجد اللغة الأجرينية تستعمله بشكل أوسع حتى في تلك الكلمات التي لا يشكل المثنى منها وجوداً في الطبيعة (٣١١) .

وقد دعا وجود المثنى في بعض اللغات واختفاؤه من بعضها الآخر فندريس إلى

(٣٠٦) نفسه ٢٨٦/٦ .

(٣٠٧) نفسه ٤٧/٤ .

(٣٠٨) فندريس / اللغة ١٣٣ .

(٣٠٩) التطور النحوي للغة العربية ١١٢ .

(٣١٠) Agramar of Biblical Hebrew p66

(٣١١) . Ugaritic Textbook p.53

القول إن استعمال المثني كان يسد حاجة أخرى غير الحاجات التي يمكن أن توحى بها عوائد تفكيرنا الحديثة ، فنحن لانرى اليوم أية علة لمقابلة التثنية بالجمع، (٣١٢) . والتفكير الحديث الذي قصده فندريس هو تفكير أهل اللغات التي استغنت عن استعمال المثني ، وهو ما لا يتفق وتفكير أهل اللغات التي بقي بها المثني الذين لا يتصورون منطقياً إلا التقسيم الثلاثي ، مفرد ، مثني ، جمع (٣١٣) . إن الواقع الخارجي يدل على وجود المثني في أعضاء الجسم ، وفي أشياء ثنائية مقترنة ، وهو ما اكتفت به بعض الساميات ، وقد توسعت العربية في المثني لتجعل من التثنية اختصاراً لمعطوفين ، كما يقول النحاة ، وبقي المثني في العربية بالصيغة في مثل : زوج ، اثنان ، كلا ، كلتا ، أو بإضافة إحدى اللاحقتين (ان) و(ين) .

ومع ذلك فقد يقترب التعبيران بالمثني وبالجمع ، وهو ما عرفه النحاة الغرب ، ومن ذلك مانجده عند سيبويه حيث يسأل الخليل عن العلاقة بين المثني والجمع فيقول له إن الاثنين جميع ، ومنه قول الاثنين : نحن فعلنا ذلك (٣١٤) . كما لمسناه في تحليلهم لقول الله تعالى ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ (النساء ١١) فيما سبق .

وقد جاء التعبير عن الجمع بلفظ المثني في اللغة العبرية ، وهو مانفهمه من ملاحظة وليم رايت أن الكلمتين (נִשְׁמַיִם) و(שְׁמַיִם) ليستا للمثني ولكنهما للجمع ، وإن كانا بلفظ التثنية ، ومفرداتها مهملة هي : (שְׁמַיִם) والصيغة الأصلية كان من الواجب أن تكون shamayim mayim وهي صيغة الجمع ، لكنها تقلصت إلى shamayim, maym ؛ لأن الصيغ shamayim, amyim لم تحتملها الأذن العبرية فقد أدخلت حركة قصيرة لتخفف النطق ، فأدى ذلك إلى الصيغ (שְׁמַיִם) و(שְׁמַיִם) (٣١٥) .

(٣١٢) اللغة / فندريس ١٣٤ وقد ردد إبراهيم أنيس نفس الرأي فجعل اللغات التي تميز بين المفرد وغير المفرد (الجمع) تلتقي بالتقسيم المنطقي للكلمة ، انظر : من أسرار اللغة ١٥٢ ، ١٥٣ .  
(٣١٣) ليس من البحث اللغوي تفضيل اللغات التي اختفي منها المثني علي تلك التي بقي فيها ولا العكس بل إن هناك من اللغات مالم يفرق إجبارياً بين المفرد والجمع ، مثل لغة الكواكيتل kwa- kuitl انظر : نظرية تشومسكي اللغوية ٦٢ .

(٣١٤) الكتاب ٤٨/٢ ، ٤٩ .

w,wright, lectures on the comparative grammar of the semitic lanaguages p (٣١٥)

وهناك كلمات تبدو كما لو كانت مثنى أو جمعاً مثل : ( [ ٧٦٦ ] ) ،  
( ن ، [ ٧٦٦ ] ) وهي تمثل في الغالب زوجاً واحداً (٣١٦) .

كما نجد في الأجرينية كلمات تستعمل في التثنية والجمع بنفس الطريقة مثل :  
qlem, gzim, atim, qsim

أقواس ، نساء ، رجال ، مقلوعون (مقاليع) (٣١٧) .

ومع ذلك : فلقد بقى المثنى في لغتنا العربية وفي غيرها من الساميات ، وبقى في القرآن الكريم وفي الشعر والنثر ، وفي حياتنا العملية وطريقة تفكيرنا ، واستعماله يعنى الدقة والتحديد ، فإذا عبر عن معنى الجمع أو انعكس الأمر فإن ذلك يكون خروجاً على قوانين العربية يعوزه التأويل اللغوى أو الدلالى وهو ما فعله دارسو القرآن فيما عرضناه .

## خاتمة البحث

سبقت هذه الدراسة للظاهرة دراستان - كما قدمنا - اهتمت إحداهما بالجانب اللغوي ، ورفضت التعرض للجانبين الدلالي والسياقي ، أما الأخرى فهي دراسة بلاغية جمالية - تمثل الظاهرة جزءاً صغيراً منها - فلم تتعرض للجوانب اللغوية ، ولم تفت من معطيات البحث اللغوي ، ولما كان الاهتمام بالسياق - اللغوي والمقامي - من وجهة نظر علم اللغة لم تتعرض له إحدى الدراستين مع أهمية ذلك وارتباطه بطبيعة تناول الظاهرة في القرآن الكريم - كان الهدف من دراستنا هذه كما قدمنا الكشف عن وعى دارسي القرآن بتك الظاهرة ، وإبراز تحليلاتهم ، والكشف عن أهمية العنصرين الدلالي والسياقي بين هذه التحليلات .

وقد عرضت الدراسة تحليل القدماء لمخالفة المطابقة العددية في القرآن وحاولت تفسير هذه التحليلات المختلفة ، وإن وضع الباحث نصب عينيه التحليلين الدلالي والسياقي للظاهرة ، وقد عرضنا ذلك أولاً في العلاقة بين المفرد والمثنى حيث جاء التعبير بالمفرد عن المثنى ، كما جاء التعبير بالمثنى عن المفرد ، ثم تلا ذلك حصر للمجموعات الموضوعية (اندلائية) التي جاءت فيها هذه المخالفات ، والتي سيطر على تحليلها الجانب الدلالي وإن لم يخف الجانبان اللغوي والجمالي من تلك التفسيرات ، ثم تعرضت الدراسة بعد ذلك للعلاقة بين المفرد والجمع ، حيث خوطب المفرد بخطاب الجمع للتعظيم ، وارتبط ذلك بالموقف الكلامي وبظروف المخاطبين ، كما اتضح الربط بين الواقع الخارجي وتحليل الظاهرة ، كذلك بين هذا التحليل وعموم الحكم الشرعي ، كما جاء التعبير بالمفرد عن الجمع وكان لذلك تعليقات لغوية ظهرت في دراسة المصادر والمشتقات ، ودراسة الألفاظ الدالة على الجنس ، وأسماء الجنس ، وقد تعرضنا لما جاء في الدراسات انسامية منها ، ثم اكتساب معنى الجنس من السياق اللغوي ، ثم الألفاظ التي تعامل معاملة المفرد والجمع ، وما جاء من ذلك في الدراسات انسامية أيضاً . ثم المبهمات ؛ كل والأسماء الموصولة واستعمالها ثم تعرضت للدراسة بعد ذلك للعلاقة بين المثنى والجمع ، فقد جاء التعبير عن الجمع بلفظ المثنى ، كما جاء التعبير بلفظ الجمع عن المثنى ، وعرضنا لذلك عدة صور :

أولها : عودة ضمير الجمع على معطوفين كل واحد منهما لفظه مفرد ومعناه جمع .

والثانية : فيما يختص بأعضاء جسم الإنسان والقاعدة النحوية في ذلك .

أما الثالثة : ففي ما يجيء في اللفظ جمعاً وهو مثنى في الواقع الخارجي وقد

ارتبطت تحليلاتهم بهذا الواقع وبالحكم الشرعى ، ثم خاتمة عن العلاقة بين المثنى والجمع فى اللغات وبخاصة اللغة العربية واللغات السامية .  
وستحاول الآن عرض أهم نتائج البحث ، وإن كان هذا العرض لا يغنى عن قراءته ولا يستوعب جوانبه المختلفة .

١- حاول النحاة فى كثير من الأحيان أن ينفوا عن القرآن المخالفة بطرق مختلفة أوضحتها فى مكانها .

٢- جاء تبريرهم الدلالى والسياقى فى المقام الأول ، واهتموا بتوظيف الظروف الخارجية فى تفسير الظاهرة ، وردها إلى المطابقة ، كما ربطوا بين تحليلهم للظاهرة والواقع الخارجى - المرجع - وكذلك بين هذا التحليل وعموم الحكم الشرعى وظروف الخطاب؛ المتكلم والمخاطب والحضور .

٣- جاءت بعد ذلك التبريرات اللغوية ، وأهمها ما جاء من قولهم إن المصدر لا يثنى ولا يجمع ، وقد عرضنا للمصدر والمشتقات وعلّة هذا القول ، كذلك اعتبار معنى الجنس فى بعض المفردات ، أو دلالتها على مجموع أفراد ، أو إبهامها ودلالاتها على العموم ، ومن ذلك تقدير المحذوف ، المضاف ، أو الموصوف ، أو المنادى .

٤- اهتم دارسو القرآن أيضاً بالاستدلال بالاستعمال العربى فى الشعر وفى أقوال العرب وعاداتهم .

٥- جاءت بعد ذلك التبريرات الجمالية قليلة ، وأهمها المحافظة على الفواصل والتوكيد سواء بقصد التكرار ، أو بأداة من أدواته مثل النون .

ولقد جاءت هذه التبريرات مترابطة ، وربما تعددت فى تفسير الآية الواحدة بتعدد النحاة ، وعند النحوى الواحد ، واعتمدت - فى جانبها السياقى - على اجتهادات تفسيرية تعتمد بدورها على ظروف الموقف الكلامى الذى تمثل فى الاعتماد على الواقع الخارجى ، وعلى مراعاة أسباب النزول والحديث الشريف ، واتفق التبرير اللغوى فى كثير من جوانبه مع ما جاء فى بعض اللغات السامية

وأخيراً فأرجو أن أكون قد وفقت فى ما أقدمت عليه فى هذا البحث والله أسأل أن يوفقنا إلى سواء السبيل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .



## المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية والمترجمة :

- ١- إبراهيم أنيس (دكتور) :  
- من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو ط ٥ ١٩٧٥ .
- ٢- إبراهيم مصطفى  
- إحياء النحو ، لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٧ م .
- ٣- أحمد سليمان ياقوت (دكتور) :  
- فى علم اللغة التقابلى دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٥ م
- ٤- أحمد محمود صبحى (دكتور) :  
- المعتزلة ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ط ٤ ١٩٨٢ م .  
- الأشاعرة ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ط ٤ (د . ت)
- ٥- أحمد مختار عمر (دكتور) ، وعبد العال سالم مكرم (دكتور) :  
- معجم القراءات القرآنية ، مطبوعات جامعة الكويت ط ١ ٨٢ / ١٩٨٥ ، ٨ أجزاء .
- ٦- الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت ٥٢١هـ) :  
- معانى القرآن ، تحقيق فائز فارس الحمد الكويت ١٩٧٩ ط ١ .
- ٧- الأنبارى ( أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧هـ )  
- البيان فى غريب إعراب القرآن ، تحقيق طه عبد الحميد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .
- ٨- ابن الأنبارى ( أبو بكر محمد بن القاسم ت ٣٢٨هـ) :  
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف ط ٤ ١٩٨٠ م .

- ٩- برجشتراسر (ج):  
- التطور النحوي للغة العربية ، نشره ، د. رمضان عبد التواب الخانجي ، والرفاعي  
١٩٨٢ م .
- ١٠- بروكلمان :  
- فقه اللغات السامية ، ترجمة د. رمضان عبد التواب ، الرياض ١٩٧٧ م .  
١١- البغدادي ( أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ت ٤٢٩هـ ) :  
- الفرق بين الفرق ، تحقيق عبد الرؤوف سعد ، الحلبي ( د.ت ) .
- ١٢- تمام حسان (دكتور) :  
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م .  
- مقالات في اللغة والأدب ، منشورات معهد اللغة العربية ، جامعة أم القرى  
١٩٨٥ م .
- مناهج البحث في اللغة والأدب ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٧٩
- ١٣- الثعالبي ( أبو منصور الثعالبي ت ٤٣٠هـ ) :  
- فقه اللغة وأسرار العربية ، مكتبة الحياة بيروت ( د.ت ) .
- ١٤- ثعلب ( أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٢٩١هـ ) :  
- مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون :  
القسم الأول : دار المعارف ١٩٦٩ م  
القسم الثاني دار المعارف ١٩٨٠ ط ٤ .
- ١٥- الجرجاني ( عبد القاهر بن عبد الرحمن ت ٤٧٤هـ ) :  
- المقتصد في شرح الإيضاح تحقيق كاظم بحر المرجان ، وزارة الثقافة العراقية  
١٩٨٢ .
- ١٦- ابن الجزري ( محمد بن محمد بن علي بن يوسف ٨٢٣هـ ) :  
- النشر في القراءات العشر ، دار الكتب العمليّة ، بيروت ( د.ت ) .
- ١٧- ابن جنى ( أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ ) :  
- الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى بيروت ط ٢ ( د.ت ) .

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق على النجدي ناصف وآخرين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩ م .
- ١٨ - حسن طبل (دكتور) :
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، توزيع مكتبة الزهراء ١٩٩٠ م .
- ١٩- حسين نصار (دكتور) :
- المعجم العربى ، نشأته تطوره ، مكتبة مصر (د.ت) .
- ٢٠- أبو حيان الغرناطى (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ) :
- البحر المحيط دار الفكر ١٩٨٣ ط ٢ . .
- ٢١- ابن خالويه (أبو عبدالله الحسين بن أحمد ت ٣٧٠هـ) :
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، مؤسسة الإيمان ، بيروت ، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية (د.ت) .
- الحجة ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ١٩٧١ ط ١ .
- ٢٢- داود عبده (دكتور) :
- أبحاث فى اللغة ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٣ م .
- ٢٣- دى بور (ت،ج) :
- تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادى أبى ريدة ، النهضة المصرية ط ٥ (د.ت) .
- ٢٤ - الرضى الاسترابادى (نجم الدين محمد بن الحسن ت ٦٨٦هـ) :
- شرح الكافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ٣ ١٩٨٢ م .
- ٢٥- رمضان عبد التواب (دكتور) :
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ، الخانجى والرفاعى ط ١ ١٩٨٢ م .
- ٢٦- زاكية محمد رشدى (دكتورة) :
- السريانية ، نحوها وصرفها دار الثقافة ط ٢ ١٩٧٨ م .

- ٢٧- الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السرى ت ٣١١هـ) :
- معانى القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبى عالم الكتب بيروت ط ١٩٨٨ م .
- ٢٨- الزركشى (بدر الدين محمد بن عبد الله ٧٩٤هـ) :
- البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت ١٩٨٨ م .
- ٢٩- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ) :
- الكشاف ، البابى الحلبي ١٩٧٢ م .
- ٣٠- السكرى :
- ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب ١٩٤٨ م .
- ٣١- سببويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠هـ) :
- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧/٦٦ م .
- ٣٢- السيوطى (عبد الرحمن جلال الدين ت ٩١١هـ) :
- المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ، المكتبة العصرية بيروت ١٩٨٦ م .
- مع الهوامع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم (بالاشتراك مع عبد السلام هارون فى الجزء الأول) دار البحوث العلمية ، الكويت ٧٧ / ١٩٨٠ م .
- ٣٣- الشاطبى (أبو إسحاق الشاطبى ٧٩٠هـ) :
- الموافقات فى أصول الشريعة المكتبة التجارية (د.ت)
- ٣٤- طاهر سليمان حمودة (دكتور) :
- ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى ، الدار الجامعية بالإسكندرية ١٩٨٢ م .
- ٣٥- أبو عبيدة (معمار بن المثنى ت ٢١٠هـ) :
- مجاز القرآن ، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين ، الخانجى ١٩٥٥-١٩٦٢ م .
- ٣٦- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ت ٧٩٦هـ)

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث بالقاهرة ط ٢٠ ، ١٩٨٠ م .

٣٧- العكبرى (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبدالله ت ٦١٦هـ) :

- التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق على محمد الجاوي ، عيسى البابي (د.ت) .

٣٨ - ابن فارس (أبو الحسين بن فارس ت ٣٩٥هـ) :

- الصحاح في فقه اللغة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، عيسى البابي (د.ت) .

٣٩- الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ت ٣٧٧هـ) :

- الحجة في علل القراءات السبع ، تحقيق على النجدي ناصف وآخرين ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٣ م جزءان .

٤٠- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي ت ٢٠٧هـ)

- معاني القرآن ،

الجزء الأول تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار، هيئة الكتاب ١٩٨٠ م

الجزء الثاني تحقيق محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت) .

الجزء الثالث تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢ م

٤١- فندريس (ج) :

- اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، الأنجلو ١٩٥٠ م .

٤٢ - القاسم بن سعيد المؤدب :

- دقائق التصريف ، تحقيق د. أحمد ناجي القيسي وآخرين ، المجمع العلمي

العراقي ١٩٨٧ م .

٤٣- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ) .

- تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت

١٩٨١ ط ٣ .

٤٤- القرطبي (شمس الدين عبدالله محمد ت ٦٧١هـ) :

- الجامع لأحكام القرآن ، طبعة دار الغد العربي ١٩٨٩ م .

- ٤٥- القيسي (مكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧هـ) .
- مشكل إعراب القرآن تحقيق د. حاتم صالح الضامن وزارة الإعلام العراقية . ١٩٧٥ .
- ٤٦- كمال بشر (دكتور) :
- دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) ، دار المعارف ١٩٧١ م ط٢ .
- ٤٧- ليونز (جون) :
- نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ط١ ، ١٩٨٥ م
- ٤٨- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ) :
- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط٢ ١٩٧٩م .
- ٤٩- ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ت ٣٢٤هـ) :
- كتاب السبعة في القراءات ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ط٢ ، ١٩٨٠ م .
- ٥٠- محمود فهمي حجازي (دكتور)
- مدخل إلى علم اللغة ، دار الثقافة بالقاهرة ، ط٨ ١٩٧٨ م .
- ٥١- النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨هـ) :
- إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازي زاهد ، عالم الكتب والنهضة العربية ط٢ ، ١٩٨٥ م .
- شرح القصائد التسع المشهورات ، تحقيق .د. أحمد خطاب ، وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٣ م .
- ٥٢- الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ت ٤٦٨هـ)
- أسباب النزول ، مؤسسة الحلبي ١٩٦٨ م .
- ب - الرسائل الجامعية :
- ١- طه محمد عوض الله الجندي (دكتور)
- ظاهرة المطابقة في ضوء الاستعمال القرآني ، دكتوراه بكلية دار العلوم . ١٩٨٨ م .

٢- محمد أحمد محمد خضير

- قضايا المفعول به عند النحاة العرب ، ماجستير ، بكلية الآداب - جامعة القاهرة  
١٩٨٧ م.

- الجوانب الدلالية للتحليل النحوي في كتب إعراب القرآن . دكتوراه ، بكلية  
الآداب - جامعة القاهرة ١٩٩١ م .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

أ - الكتب :

1- Lectures on the comparative Grammar of the Semitic Languages,  
Cambridge, University press 1890

2- Blau Joshua, Agrammor of Bibical Heberw, Otto Herrassowitz.  
Wiesboden, 1976 .

3- gordon, Cyrus. H.

- Ugaritic Textbook (grammar Texts in Transliteration cunei from Se-  
lections Glossary indices, romse 2. 1965.

ب - الدوريات :

- Heberw Union college Annual, Volume LI, Cincinnati, 1976 .





## الفصل الثالث

دور السياق في تقدير مرجع  
الضمير في  
الدراسات اللغوية والقرآنية



## الفصل الثالث

### دور السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية والقرآنية

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مرجع الضمير في القرآن الكريم وعلاقة ذلك بالسياقين اللغوي وغير اللغوي في الدراسات اللغوية والقرآنية، ولقد سبقت هذا البحث دراسات في عودة الضمير لكنها لم تبحث هذه العلاقة ولم تتبين ذلك في أقوال النحاة والمفسرين ، أهمها دراسة للدكتور طه حسين بعنوان (استخدام ضمير الغائب في القرآن كاسم إشارة) وقد نشرت هذه الدراسة لأول مرة في باريس سنة ١٩٢٨ ، ثم ترجمت إلى العربية ونشرت سنة ١٩٩٠ ضمن كتاب بعنوان (من الشاطئ الآخر) ، وقد جعل الدكتور طه حسين كل ضمائر الغائب التي تخالف قاعدة الضمير أسماء إشارة منكرأ لما ذهب إليه النحاة والمفسرون ، وهو بحث قيم سيفيد منه الباحث على كل حال .

وكذلك كتاب مرجع الضمير في القرآن تأليف الدكتور / محمد صبرة المنشور في دار الثقافة العربية ، فإنه لايفي بهدفنا من هذا البحث .

لقد وضع النحاة قاعدة ثابتة للضمير لخصها الزركشى حسين قال إن المضمّر لا يكون إلا بعد الظاهر لفظاً ومرتبته ، إلا في أبواب ضمير الشأن والقصة ، وباب نعم وبنس ، كقوله تعالى ﴿ فَبِعَمَّا هِيَ ﴾ (البقرة ٢٧١) ، و﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ ﴾ (الأعراف ١٧٧) ، والضمير في ربه رجلاً ، وباب الأعمال ، إذا عملت الثاني ، والأول يطلب عمدة ، فمذهب سيبويه إنك تضمّر في الأول ، فتقول : «ضربوني وضربت الزيدين»<sup>(١)</sup> وكذلك قالوا بوجوب مطابقة الضمير للمرجع في النوع والعدد<sup>(٢)</sup> .

(١) البرهان في علوم القرآن ٤١/٤ ، ٤٢ ، وراجع أيضاً : المقتضب ١٨٦/٣ ، مغني اللبيب ٥٨٠ وقد حدد المواضع التي يعود الضمير فيها علي ما تأخر لفظاً ورتبة ٦٣٥ وما بعدها ، النحو الوافي ٢٥٥/١ وما بعدها . وراجع في ضمير الشأن، و(ربه رجلاً) المقتضب ٦٧/٣ ، شرح المفصل لابن يعيش ١١٤/٣ ، همع الهوامع ٢٦٦/١ وما بعدها النحو الوافي ٢٥٠/١ .  
(٢) راجع : النحو الوافي ٢٦٢/١ وما بعدها ، من الشاطئ الآخر ١٢٩

وقد جاء في القرآن الكريم ما يخالف تلك القواعد، فانبرى النحاة والمفسرون يبررون ذلك ويفسرونه معتمدين على السياق اللغوي والمقامي في البحث عن مرجع الضمير، وعن مطابقته له في النوع والعدد .

ولاشك أن النص القرآني لا تفسر الجملة منه، أو اللفظة منفردة، وإنما يفسرها ما حولها من ألفاظ وجمل وآيات قد تمتد إلى النص القرآني كله، وهو ما نسميه السياق اللغوي، وقد يفسرها ما هو خارج النص القرآني من مثل السنة المطهرة أو أسباب النزول وكل ما يعرف به ظروف الخطاب القرآني من متكلم ومخاطب ومكان وزمان وعموم وخصوص .

فهل أسهمت تلك الظروف في تفسير مرجع الضمير في القرآن الكريم؟ وما مدى تأثيرها؟ وهل تنبه النحاة والمفسرون إلى ذلك وهل استغلوه على أكمل وجه؟ أم أن نظرتهم كانت قاصرة؟ كل هذه تساؤلات يحاول هذا البحث الإجابة أو على بعضها.

لقد ذهب الدكتور طه حسين في حله لهذه المشكلة إلى جعل كل ضمير للغائب يخالف القاعدة اسم إشارة<sup>(٢)</sup> وارتاح لهذا الحل وبرهن عليه، لكن اسم الإشارة يبحث له - منطقياً عن مرجع أو عائد أيضاً، فنحن مضطرون إلى البحث عن عائد لاسم الإشارة .

لقد بحث النحاة والمفسرون عن مرجع للضمير، ولما لم يجدوا المرجع ظاهراً قدروه مفهوماً من السياق، ومن ذلك تقديرهم للمصدر مرجعاً للضمير في مثل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ (الأنعام ١٢١) حيث قدرها الفراء «أكلكم مالم يذكر اسم الله عليه فسق، أي كفر وكنى عن الأكل»<sup>(٤)</sup> وقال الزمخشري «(وإنه لفسق) الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي، يعني وإن الأكل فيه فسق»<sup>(٥)</sup> وقال أبو حيان بذلك وعرض أقوالاً أخرى في عودة هذا الضمير<sup>(٦)</sup> .

ومثل ذلك عند الفراء أيضاً ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ

(٣) راجع تلك القاعدة في: من الشاطئ الآخر ١٢٢ .

(٤) معاني القرآن ٢٥٢/١ .

(٥) الكشف ٤٧/٢ .

(٦) البحر المحيط ٢١٣/٤ .

خَيْراً لَهُمْ ﴿ (آل عمران ١٨٠) ، فمعناه عنده ،فلاتحسبن الباخلون البخل هو خيراً لهم ،  
فاكتفى بذكر يبخلون من البخل ، كما تقول في الكلام : قدم فلان فسررت به ، وأنت  
تريد : بقدمه ، وقال الشاعر :

إذا نهى السفية جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف

يريد إلى السفية، (٧) ، ومثل ذلك جاء أيضاً عند سيبويه والأخفش والمبرد  
والزجاج والنحاس<sup>(٨)</sup> وقد قالوا ذلك في آيات كثيرة أخرى<sup>(٩)</sup>.

والمصدر يجعلونه مرجعاً للضمير في تلك الآيات يفهم من الفعل المذكور في  
الجملة ويكون من لفظه . وقد يفهم من وصف مذكور أيضاً مثل اسم الفاعل (مبلاقو)  
في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة ٤٦) أى  
إلى اللقاء<sup>(١٠)</sup>.

وقد يعود الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أو على المصدر المؤول  
المذكور في الجملة أو على المصدر الصريح مثل ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ  
رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ ﴾ (الأنفال ٦٠) فالضمير في (ترهبون به) راجع إلى  
(ما استطعتم) عند الزمخشري أو على (ما) أو الإعداد المفهوم من (أعدوا) ، أو القوة  
أو رباط الخيل عند أبي حيان<sup>(١١)</sup> ولاشك أن الضمير يحتمل أن يعود على كل ذلك لأن  
الإعداد هو نفسه الاستطاعة وهو الذى استطاع وهو القوة وهو رباط الخيل وإرهاب  
الأعداء مطلوب بكل ذلك ، ومهما قدر المرجع هنا فالمعنى يحتمله إلا أن عودة  
الضمير إلى المذكور أولى سواء كان المصدر المؤول (ما استطعتم) أو الاسم الموصول  
(ما) الذى لا يستغنى عنه صلته (استطعتم) ، أو القوة والرباط معاً، ولاداعى لتقدير  
مصدر (أعدوا) وإن كان المعنى يحتمله .

(٧) معاني القرآن ٢٤٨/١ ، ٢٤٩ ، وراجع ٣١٢/١ ، ٤٣ .

(٨) الكتاب ٢٨٩/٢ ، معاني القرآن للأخفش ١٠٣/١ ، ٢٢٤ ، المقتضب ٥٢/٤ ، معاني القرآن

وإعرابه ١٢١/١ ، إعراب القرآن للنحاس ٢٤٨/١ ، ٣٠/٥ ، الحجة للفارسي ٢٨٢/٢ ، ٢٨٣ .

(٩) راجع : دراسات لأسلوب القرآن القسم الثالث / الجزء الأول ٢٦ وما بعدها ، البرهان في علوم

القرآن ٢٦/٤ ، إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٨٤٥/٣ .

(١٠) البحر المحيط ١٨٧/١ ، وراجع التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٦٠/١ .

(١١) راجع : الكشاف ١٦٦/٢ ، البحر المحيط ١٢٦/٤

ومثل ذلك يقال في قوله تعالى ﴿ قَتَلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (يوسف ٩) فالضمير في (بعده) قد يعود إلى يوسف أو مصدر (اقتلوه) أو (اطرحوه) (١٢)، أي من بعد يوسف أو قتله أو طرحه أرضاً، وكل ذلك يحتمله المعنى .

وقد يحتمل أن يعود الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أو على مرادف للفظ في الجملة كما يحتمل أن يكون جارياً مجرى اسم الإشارة في مثل قوله تعالى ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ ﴾ (النساء ٤)، فالضمير في (منه) يحتمل أن يكون جارياً مجرى اسم الإشارة أو راجعاً إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق - عند الزمخشري - أو على ما تدل عليه الصدقات وهو المال، أو على مصدر الفعل (أتوا) وهو الإتيان - عند أبي حيان (١٣).

وقد يعود الضمير على لفظ في الجملة أو مفهوماً من المعنى العام للآيات وهذا ما نجده عند أبي حيان في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ (البقرة ٧٢)، حيث قال: «الضمير في (فيها) عائد على النفس وهو ظاهر، وقيل على القتلة، فيعود على المصدر المفهوم من الفعل، وقيل على التهمة فيعود على ما دل عليه معنى الكلام» (١٤).

وهكذا يتحكم المعنى في مرجع الضمير، بل إن الضمير قد يعود على لفظ في الجملة، لكنهم يقدرون معناه مرجعاً للضمير، فيقولون إن الضمير عائد على معنى اللفظ في مثل قوله تعالى ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (آل عمران ١٦٥)، قال أبو حيان، الإضمار في (هو) راجع إلى المصيبة على المعنى لا على اللفظ، (١٥).

وقد يعود الضمير إلى اللفظ فيقولون إنه عائد إلى ذلك اللفظ دون معناه لأن المعنى المقصود غير هذا اللفظ، ومن أمثلة الضمير في (عمره) من قوله تعالى ﴿ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ فاطر ١١ قال الفراء، ولا ينقص من

(١٢) راجع: الكشاف ٣/٣٠٥، البحر المحيط ٥/٢٨٤.

(١٣) راجع: الكشاف ١/٤٩٨، البحر المحيط ٣/١٦٦، ١٦٧.

(١٤) البحر المحيط ١/٢٥٩.

(١٥) البحر المحيط ٣/١٠٧.

عمره ، يريد آخر غير الأول ، ثم كنى عنه بالهاء كأنه الأول . ومثله في الكلام : عندي درهم ونصف يعني نصف آخر. فجاز أن يكنى عنه بالهاء؛ لأن لفظ الثاني قد يظهر كلفظ الأول فكن عنه ككناية الأول، (١٦).

ومثل ذلك ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَرُوا وَتُؤْتَوَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ البقرة ٢٧١ فالضمير في (تخفوها) - عند أبي حيان - عائد على معنى الصدقات وهو التطوع ، فيكون الضمير قد عاد على الصدقات لفظاً لا معنى ، فيصير نظير : عندي درهم ونصفه، أي نصف درهم آخر؛ لأن قائل ذلك يريد : أن عنده درهماً ونصف هذا الدرهم الذي عنده، (١٧).

وإذا كان المعنى في الآية على أن الصدقات المظهرة غير تلك المضمرة ، فإننا لا نسيغ هذا التكلف في إعادة الضمير ، فالضمير عائد إلى جنس الصدقات سواء أكانت ظاهرة أو خفية ، وهو ما قال به ابن عباس وغيره في مثل هذه الآية (١٨).

وقد يذكر اسمان في السياق اللغوي ويعود الضمير على أحدهما ، وقد جاء ذلك في القرآن كثيراً ورده النحاة والمفسرون إلى أسباب دلالية أو نحوية من أمثلة ذلك الضمير في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس ٥ قال الفراء ، ولم يقل : وقدرهما . فإن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة؛ إن به تعلم الشهور ، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعاً ، فاكتفى بذكر أحدهما من صاحبه ، كما قال الشاعر :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى      بريئاً ومن جول الطوى رمانى

وهو مثل قوله ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ التوبة ٦٢ ولم يقل يرضوهما(١٩)، وقد جعل الزمخشري الضمير عائداً إلى القمر ، وقال أبو حيان إن الضمير عاد عليه وحده؛ لأنه هو المرعى في عدد السنين والحساب ، عند العرب ، بينما يقول ابن عطية إنه يحتمل أن يريدتهما معاً يحسب أنهما مصرفان في معرفة

(١٦) معاني القرآن للفراء ٣٦٨/٢ ، راجع البحر المحيط ٣٠٤/٧ .

(١٧) البحر المحيط ٣٢٤/٢ وفي مثل ذلك راجع أيضاً : دراسات لأسلوب القرآن ٥٧/١/٣ .

(١٨) راجع : البحر المحيط ٣٠٤/٧ .

(١٩) معاني القرآن للفراء ٤٥٨/١ .

عدد السنين والحساب ، لكنه اجترئُ بذكر أحدهما (٢٠). وخلافهم هنا يتربط بالسياق الخارجى فمنهم من جعل القمر وحده هو المرعى فى عدد السنين والحساب فعليه يعود الضمير ، ومنهم من جعل الشمس أيضاً كذلك فالضمير يمكن أن يعود إليهما معاً لكنه اجترئُ بأحدهما من الآخر .

ومثل ذلك الضمير فى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (التوبة ٣٤) . قال الفراء ولم يقل : ينفقونها فإن شئت وجهت الذهب والفضة إلى الكنوز فكان توحيدها من ذلك . وإن شئت اكتفيت بذكر أحدهما من صاحبه ، كما قال ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا ﴾ (الجمعة ١١) ، فجعله للتجارة وقوله ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾ (النساء ١١٢) فجعله وأعلم - للإثم ، وقال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

ولم نقل : راضيان . وقال الآخر :

إنى ضمننت لمن أتانى ما جنى وأبى وكان وكنت غير غدور

ولم يقل : غدورين ، وذلك لاتفاق المعنى يكتفى بذكر الواحد . وقوله ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ (التوبة ٦٢) ، وإن شئت جعلته من ذلك : مما اكتفى ببعض من بعض ، وإن شئت جعلت تبارك وتعالى فى هذا الموضع ذكر لتعظيمه ، والمعنى للرسول صلى الله عليه وسلم ، (٢١) .

وإذا كان الفراء فى هذا النص يعتمد المعنى لتفسير عودة الضمير ، فإننا نجد أبا عبيدة يرد ذلك إلى الاعتماد على معرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه فى الفعل ثم يقول إن العرب تفعل ذلك ويستشهد بأشعارهم (٢٢) .

كذلك قال الزجاج ولم يقل يرضوهما ، لأن المعنى يدل عليه ، فحذف

(٢٠) راجع : الكشف ٢٢٥/٣ ، البحر المحيط ١٢٥/٥ .

(٢١) معاني القرآن للفراء ٤٣٤/١ ، راجع ٤٤٥/١ ، الكشف ١٧٨/٢ ، إعراب القرآن للنحاس

٢١٢/٢ ، الكتاب ٧٥/١ ، المقضب ١١٢/٣ .

(٢٢) مجاز القرآن ٢٧٥/١ ، ٢٥٨ ، ٢٥٨/٢ ، معاني القرآن وإعرابه ٤٩٢/٢ ، ٤٩٣ .



استخفافاً<sup>(٢٣)</sup>. وقال الزمخشري وأبو حيان إن رضى الله عنه ورضى الرسول ﷺ في حكم مرضى واحد، وقال العكبرى إن أمر الرسول تابع لأمر الله تعالى وخرج أبو حيان آيات أخرى على ذلك<sup>(٢٤)</sup>.

وهم في كل ذلك يحكمون المعنى في عودة الضمير ثم يقفون عند أحقية ما يعود عليه الضمير ، هل هو الأول أم الآخر؟ والقياس عند الأخفش — أن يعود الضمير على كلا الاسمين إذا كان العطف بالواو فنقول زيد وعمرو ذاهبان ، وليس ذاهب ، أما إذا كان العطف بأو فلك أن تحمله على الأول أو على الآخر، والأقيس حمله على الآخر<sup>(٢٥)</sup>، وكذلك يقول الفراء إن الأجود في العربية أن تجعل الراجع من الذكر للآخر من الاسمين ، إلا إذا كان الأول أهم كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ (الجمعة ١١) وهو قول أبي عبيدة أيضاً<sup>(٢٦)</sup>.

وكان لسياق الحال دوره تحديد المرجع ، وأول ما يبدو من ذلك الدلالة العامة في مثل الضمير في قوله تعالى ﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ (الأعراف ١٤٨) قال الزجاج «ومعنى من بعده أى من بعد ما جاء الميقات، وخلفه هارون في قومه»<sup>(٢٧)</sup>. ومثل ذلك الضمير في قوله تعالى ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ (فصلت ١٤) قال الفراء «أنت الرسل آباءهم ومن كان قبلهم ومن خلفهم ، يقول : وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل ، فتكون الهاء والميم في (خلفهم) للرسل ، وتكون لهم تجعل من خلفهم لما معهم»<sup>(٢٨)</sup>.

وفى هاتين الآيتين عودة إلى التفسير العام للآية حتى تفهم ويفهم ما يعود عليه الضمير ، ففي الآية الأولى يعود الزجاج إلى قصة موسى عليه السلام والميقات ليحدد مرجع الضمير، وفي الآية الثانية نجد الضمير في (خلفهم) قد يعود إلى الرسل فيكون المعنى أنتهم رسل من خلف رسل ، أو يعود على الناس فتكون رسل لهم ولمن بعدهم

(٢٣) معاني القرآن وإعرابه ٥٠٧/٢ .

(٢٤) الكشف ١٩٩/٢ ، التبيين في إعراب القرآن ٦٨٤/٢ ، البحر المحيط ٦٤/٥ ، راجع آيات

أخرى في دراسات لأسلوب القرآن ٦١/١٣ ، ٦٢ .

(٢٥) راجع : معاني القرآن للأخفش ٨١/١ ، ٨٢ .

(٢٦) معاني القرآن للفراء ١٥٧/٣ ، مجاز القرآن ٣٩/١ .

(٢٧) معاني القرآن وإعرابه ٤١٦/٢ .

(٢٨) معاني القرآن للفراء ١٣/٣ .

وهكذا يعود الفراء إلى التفسير أو المعنى ليحدد المرجع .

وقد حاول النحاة والمفسرون تحديد المرجع إلى أشخاص بعينهم ، وأول ما يلفتنا تلك الضمائر التي تعود إلى شخص النبي (ص) فـ «هو المعنى عندما يورد القرآن الآراء العدائية التي يبديها خصومه بشأنه، والنبي (ص) هو من يتحدث الله عنه ليشجعه أو ليتنى عليه أو يعاتبه أحياناً (٢٩)، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة من مثل قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (الأنعام ٣٧) ، ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (الرعد ٧) و ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ (النحل ١٠٣) و ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ (يس ٦٩) و ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ (الجن ٢٨) قال الفراء «(ليعلم) يعنى محمداً (ص)» (٣٠) ، و ﴿ فَأَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ (الأعراف ١٥٧) ، قال الزجاج «أى بمحمد (ص)» (٣١) ، ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ (التوبة ٤٠) قال النحاس «الهاء تعود على النبي» (٣٢) (ص) .

وقد جاءت بعض الضمائر تحتل العودة إلى النبي (ص) أو إلى غيره ، من ذلك الهاء في ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ (التوبة ٤٠) ، قال الزجاج «يجوز أن تكون الهاء التي في (عليه) لأبى بكر، وجائز أن تكون ترجع على النبي (ص) ؛ لأن الله - جل ثناؤه - ألقى في قلبه ما سكن به ، وعلم أنهم غير واصلين» (٣٣) ، أما النحاس فيستعين بسياق الحال حيث يقول «القول عند أكثر أهل التفسير وأهل اللغة إن المعنى : فأنزل الله سكينته على أبى بكر لأن النبي (ص) قد علم أنه معصوم ، والله جل وعز أمره بالخروج، وأنه ينجيه ، والدليل على هذا أنه قال لأبى بكر ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة ٤٠) فسكن أبو بكر رضى الله عنه» (٣٤) .

(٢٩) من الشاطىء الآخر ١٣٥ .

(٣٠) معاني القرآن للفراء ١٩٦/٣ .

(٣١) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٢/٢ ، ٤٢٣ .

(٣٢) معاني القرآن للنحاس ٢١٦/٣ .

(٣٣) معاني القرآن وإعرابه ٢١٥/٢ .

(٣٤) إعراب القرآن للنحاس ٢١٥/٢ .

وقد جعل الفراء الضمير المستتر في (أو تحل) في قوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ (الرعد ٣١) عائداً على النبي (ص) ، قال (أو تحل أنت يا محمد بعساكرك (قريباً من دارهم)<sup>(٣٥)</sup> والأولى أن يعود الضمير على القارعة وهى فى السياق اللغوى فيكون التقدير تصيبهم القارعة أو تحل (القارعة) قريباً من دارهم .

وقد اختلف فى مرجع ضمير المخاطب فى قوله تعالى ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ (ق ٢٢) على ثلاثة أقوال : الأول على أن المخاطبة للنبي (ص) ، وقد اعترض على ذلك ، والثانى : أنها مخاطبة للكفار أو المشتركين ، أما الثالث : فهو أن المخاطبة للبر والفاجر أى أن الخطاب عام ، وهو مانمىل إليه لأنه لا يقطع السياق اللغوى وهو رأى أبى جعفر النحاس الذى عرض الأقوال الثلاثة ثم قال ، أما قول زيد بن أسلم (وهو عودة الضمير على النبي) فتأويله على أن الكلام تم عند قوله جل وعز ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَاتِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق ٢١) ثم ابتداءً يا محمد لقد كنت فى غفلة من هذا الدين ، ومما أوحى إليك من قبل أن تبعث إذ كنت فى الجاهلية ... وأولى ما قيل فى الآية أنها على العموم للبر والفاجر يدل على ذلك ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوَسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ ق ١٦ فهذا عام لجميع الناس برهم وفاجرهم . فقد علم أن معنى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ ق ١٩ وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت ، ثم جرى الخطاب على هذا فى (لقد كنت فى غفلة من هذا) أى : لقد كنت أيها الإنسان فى غفلة مما عاينت ، فإن كان محسناً ندم إذ لم يزد ، وإن كان مسيئاً ندم إذ لم يقلع هذا لما كشف عنهما الغطاء<sup>(٣٦)</sup> والنحاس فى كل ذلك يحكم السياق اللغوى فى الاستدلال على رآية فسياق الآيات يبدأ بالحديث عن الإنسان عموماً ويستمر فى ذلك فلماذا نقطعه .

واختلف المفسرون فى ضمائر سورة النجم فى الآيات الأولى من ذلك ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم ٣) ، فالضمير المستتر فى (ينطق) للنبي (ص) ، أو للقرآن

(٣٥) معاني القرآن للفراء ٦٤/٢ .

(٣٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٢٦/٤ ، ٢٢٧ .

الكريم<sup>(٣٧)</sup> والضمير في ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (النجم ٨) يعود إلى جبريل أو إلى الله عز وجل أما الضمير في (عبده) في ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (النجم ١٠) ، فيعود إلى الله عز وجل ، أى فأوحى إلى عبد الله<sup>(٣٨)</sup> وعلى ذلك يكون الضمير في (أوحى) عائداً على الله سبحانه وتعالى أيضا ، أى : فأوحى الله إلى عبده ويكون الكلام منفصلاً عما قبله ، لأن الحديث قبله عن جبريل عليه السلام ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم ٨ ، ٩) والإيحاء يكون من الله سبحانه ، وناقل الوحي هو جبريل عليه السلام .

وقد عرض النحاس قولين هذا أحدهما والآخر أن المعنى فأوحى جبريل إلى محمد عبد الله واختار هذا القول ، قال «وهذا أشبه بسياق الكلام لأن ما قبله وما بعده أخبار عن جبريل عليه السلام ومحمد فلا يخرج عنهما إلى أحد إلا بحجة يجب التسليم بها<sup>(٣٩)</sup>» والنحاس بذلك يحكم السياق اللغوي في تفسير المرجع ، لكن القول الأول محتمل أيضاً .

وقدر الزمخشري (إلى عبده) إلى عبد الله ، قال وإن لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لأنه لا يلبس<sup>(٤٠)</sup> أما أبو حيان فقد عرض لنا الأقوال في عودة هذا الضمير حيث قال «فأوحى : أى إلى عبده أى الرسول (ص) قاله ابن عباس ، وقيل إلى عبده جبريل... وقال الحسن فأوحى جبريل إلى عبد الله (ص) ما أوحى... وقال ابن زيد فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد (ص) ما أوحاه الله تعالى إلى جبريل عليه السلام<sup>(٤١)</sup>» .

ثم يأتي الضمير في ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَىٰ﴾ (النجم ١٣) ، قال البعض إن الضمير في (رآه) يعود على الله سبحانه ، وفي ذلك يكون النبي (ص) قد رأى الله سبحانه وتعالى في الدنيا ، لكن الضمير عند أكثر المفسرين يعود إلى جبريل عليه السلام ، يقول النحاس «أحسن ما قيل فيه وأصح أن الضمير يعود على شديد القوى، ثم يروى عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على

(٣٧) راجع : البحر المحيط ١٥٧/٨ ، إعراب القرآن للنحاس ٢٦٥/٤ ، الكشاف ٢٨/٤ .

(٣٨) معاني القرآن للفراء ٩٥/٣ ، وراجع البحر المحيط ١٥٨/٨ .

(٣٩) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٤ .

(٤٠) الكشاف ٢٩/٤ .

(٤١) البحر المحيط ١٥٨/٨ .

الله جل وعز الفرية والله جل ثناؤه يقول ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ الشورى ٥١ ، والله يقول ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ الأنعام ١٠٣ ، فيقول لها الراوى : يا أم المؤمنين ﴿ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى ﴾ النجم ١٣ ، ﴿ وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴾ التكويد ٢٣ ، قالت : أنا سألت عن ذلك نبي الله (ص) فقال : رأيت جبريل عليه السلام نزل ساداً الأفق على خلقه وهيبته أو خلقه وصورته، (٤٢).

وعرض أبو حيان القولين ونسبهما حيث قال «ولقد رآه الضمير المنسوب عائد على جبريل عليه السلام قال ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع نزلة أخرى أى نزل عليه جبريل عليه السلام مرة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها ... وقال ابن عباس وكعب الأحبار الضمير عائد على الله على ما سبق من قولهما إن رسول الله (ص) رأى ربه مرتين» (٤٣) .

وعلى قول عائشة رضى الله عنها تكون الضمائر فى (دنا) إلى (رآه) عائدة على جبريل عليه السلام ، وهو ما يعطى للسياق الحالى مكانته فى تحليل عودة الضمير ، بناء على نفى رؤية النبي (ص) لله فى الدنيا ، لكن هذه الضمائر عند آخرين تعود على الله سبحانه وتعالى .

ومن الضمائر ما يعود على القرآن الكريم بدلالة السياق وقد جاء ذلك فى آيات كثيرة (٤٤) ، ونم أمثلة ذلك ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ الأعراف ٥٣ ، قال الفراء : «الهاء فى تأويله للكتاب» (٤٥) ، و ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكِّرَةٌ ﴾ المدثر ٥٤ ، قال الأخفش : «أى : إن القرآن تذكرة» (٤٦) ، ومن ذلك ما يعود على القرآن أو على النبي من مثل ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ الأنعام ٩٢ ، قال الفراء «الهاء تكون لمحمد (ص) وللتنزيل» (٤٧) .

ومن ذلك ما عاد إلى عيسى عليه السلام واحتمل العودة إلى شىء آخر مثل :

(٤٢) راجع : إعراب القرآن للنحاس ٢٦٩/٤ ، ٢٧٠ ، ١٦٢/٥ .

(٤٣) البحر المحيط ١٥٩/٨ ، وراجع ١٥٨/٨ .

(٤٤) راجع : من الشاطئ الآخر ١٣٥ هامش ١ .

(٤٥) معاني القرآن للفراء ٢٨٠/١ ، ٣٤/٣ .

(٤٦) معاني القرآن للأخفش ٢١٦/٢ ، وراجع أيضاً : محاز القرآن ٢٦٨/٢ ، ٢٨٦ ، معاني القرآن

وإعرابه ٦٦/٢ ، ١٩٧٠ ، ٢٦١ ، ٣٠٦ ، ٢٥٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٩٤/٤ ، ١٨/٥ .

(٤٧) معاني القرآن للفراء ٣٤٤/١ .

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ النساء ١٥٩ . قال الفراء ، جاء التفسير بوجهين ؛ أحدهما أن تكون الهاء في موته لعيسى ، يقول : يؤمنون إذا أنزل قبل موته ، وتكون الملة والدين واحداً ، ويقال يؤمن كل يهودى بعيسى عند موته . وتحقيق ذلك في قراءة أبي (إلا ليؤمنن به قبل موتهم) ،<sup>(٤٨)</sup> فيكون الضمير في (موته) إما أن يعود إلى عيسى عليه السلام أو إلى كل يهودى . ومثل ذلك الهاء في ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ النساء ١٥٧ قال الفراء الهاء للعلم كما تقول قتلته علماً<sup>(٤٩)</sup> ومثل ذلك ما يعود إلى موسى أو يوسف عليهما السلام أو السامرى<sup>(٥٠)</sup> .

ومن ذلك ما يعود على الكفار والمشركين والمنافقين واليهود مما يدل عليه الحديث الشريف أو السيرة المطهرة<sup>(٥١)</sup> ومن أمثلة ذلك ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ الأعراف ٢٠٢ قال الفراء ، يعنى المشركين شياطينهم<sup>(٥٢)</sup> . ومثل ذلك أيضاً الضمير في ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾ آل عمران ١٨٨ قال النحاس ، يراد بهذا اليهود... وقال ابن زيد : هم المنافقون كانوا يقولون للنبي (ص) : نخرج ونحارب معك ثم يتخلفون ويعتذرون ويفرحون بما فعلوا لأنهم يرون أنهم قد تمت لهم الحيلة<sup>(٥٣)</sup> . ويتضح من هذا النص لجوء المفسرين إلى السياق الحالى (الخارجى) المتمثل في أسباب النزول .

وقد يعود الضمير إلى شىء سبق ذكره في السياق اللغوى من مثل الضمير في ﴿ وَيَثِبَتْ بِهٖ الْأَقْدَامُ ﴾ الأنفال ١١ ، قال الزجاج ، أى يثبث بالماء الذى أنزله على الرمل حتى استوى ، وجائز أن يكون زين به للربط على قلوبهم<sup>(٥٤)</sup> ، واختلفوا في بعض الضمائر وإن اتفق المعنى الذى يقصدونه في مثل ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا ﴾ الأنفال

(٤٨) نفسه ٢٩٤/١ ، ٢٩٥ .

(٤٩) نفسه ٢٩٤/١ ، وراجع تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٥٢ .

(٥٠) راجع : الحجة في علل القراءات السبع للفارسي ١٤٩/٢ .

(٥١) راجع : من النشاط الأخير ١٣٢ - ١٣٤ ، والآيات ٧٥ ، ١٠٢ ، ١٧٠ ، ١٨٩ ، من سورة البقرة ،

والإتقان في علوم القرآن ١٦٩/٢ - ١٧٧ .

(٥٢) معاني القرآن ٤٠٢/١ ، وراجع معاني القرآن وإعرابه ٣٩٧/٢ .

(٥٣) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٥/١ ، وراجع ٢٩/٥ .

(٥٤) معاني القرآن وإعرابه ٤٠٤/٢ ، وراجع إعراب القرآن للنحاس ١٧٩/٢ .

١٠ قال الفراء هذه الهاء للإرداف،<sup>(٥٥)</sup> ، وقال الزجاج «وما جعل الله المدد إلا بشرى»<sup>(٥٦)</sup> ، والمدد والإرداف يفهمان من الآية السابقة لهذه الآية . ومثل ذلك ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ آل عمران ١٠٣ قال النحاس «(فأنقذكم منها) الهاء تعود على النار لأنها المقصود أو على الحفرة»<sup>(٥٧)</sup> .

وقد أثرت القراءات كذلك في تقدير مرجع الضمير من ذلك القراءات في ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ القلم ٤٢ ، فقد قرئت (يُكْشَفُ) و(تُكْشَفُ) وضمير الفاعل في القراءة الثانية هو القيامة أو الساعة ، وكذلك قراءة ﴿ تَتَرَكَّبْنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ الانشقاق ١٩ فقد قرئت (لتركبن) يعنى : الناس عامة ، و(لتركبن) أى أنت يا محمد سماء بعد سماء ، أو (ليركبن) ... إلخ<sup>(٥٨)</sup> ومثل ﴿ بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ الطور ٣٤ فالهاء على قراءة الجماعة تعود على القرآن ، وقد قرأها الجحدري (بحدِيثٍ مِثْلِهِ) وفي هذه القراءة تعود إلى النبي (ص)<sup>(٥٩)</sup> وهناك ضمائر تعود إلى الذات العلية بدلالة سياق الحال منها الهاء في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ الطارق ٨ ، قال ابن خالويه<sup>(٦٠)</sup> ، الهاء كناية عن الله ، أى : إن الله تعالى قادر على رجوع الماء ورده فى الإحليل ، .

ومن ذلك أيضاً ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴾ الفجر ٢٥ ، قال أبو عبيدة «يومئذ لا يعذب عذاب الله أحد فى الدنيا، وإن كان بعضهم قدرها لا يعذب عذاب الكافر أحد بإضافة المصدر إلى المفعول لا إلى الفاعل وبناء الجملة للمفعول أى يعذب عذابه»<sup>(٦١)</sup> .

(٥٥) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٥٨، إعراب القرآن للنحاس ٥/٢٧٨ ، إعراب ثلاثين سورة ١٥٦ .

(٥٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢١ .

(٥٧) إعراب القرآن للنحاس ١/٣٩٨ .

(٥٨) راجع : معاني القرآن للفراء ٣/١٧٧، ٢٥٢، معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٢٢ عند الآية ١٦ من سورة الأنعام (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) ، إعراب القرآن للنحاس ٥/١٤، ١٥ معجم القراءات ٧/٢٠٠، ١٠٢/٨، ١٠٤ .

(٥٩) المحتسب ٢/٢٩٢ ، وراجع : معجم القراءات ٦/٢٦١ .

(٦٠) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٤٩ .

(٦١) مجاز القرآن ٢/٢٩٨، وراجع: معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٢٤، إعراب القرآن للنحاس ٥/٢٢٤، ٢٢٥ .

وقد يعود الضمير على شيء لم يذكر في السياق اللغوي لكنه يفهم معناه من سياق الحال وأشهر الأمثلة على عود الضمير دون ذكر المرجع قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ص ٣٢ وقد عرض الفراء الموقف الذي تتحدث عنه الآية فقال : إن سليمان عليه السلام كان قد غنم تلك الخيل فلما صلى الظهر دعا بها ، فلم يزل يعرضها حتى غابت الشمس ولم يصل العصر<sup>(٦٢)</sup> وعلى ذلك يقدر أبو عبيدة الضمير المستتر في توارت فيقول إن المعنى للشمس وهي مضمرة<sup>(٦٣)</sup> ويعيب الزجاج على اللغويين قولهم إن الشمس لم يجر لها ذكر ، قال لأن في الآية دليلاً يدل على الشمس ، وهو قوله : إذ عرض عليه بالعشى ، والعشى في معنى بعد زوال الشمس حتى توارت بالحجاب ، وليس يجوز الإضمار إلا أن يجرى ذكر أو دليل بمنزلة الذكر<sup>(٦٤)</sup> .

لكن أبا حيان يقول الظاهر أن الضمير في توارت عائد على الصافنات أي دخلت اصطبلاتها فهي الحجاب ، وقيل حتى توارت في المسابقة بما يحجبها عن النظر ، وقيل الضمير للشمس وإن لم يجر لها ذكر ذلك لدلالة العشى عليها<sup>(٦٥)</sup> ، والأولى - في رأبي - أن الضمير يعود على الصافنات وهي المذكورة في السياق اللغوي وعودة الضمير على ما ذكر أولى من أن يعود على ما لم يجر له ذكر كما يقول النحاس<sup>(٦٦)</sup> .

والأمثلة على ما لم يجر له ذكر في الكلام كثيرة والمرجع دائماً شيء مشهور أو معروف ، من ذلك مثلاً ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ فاطر ٤٥ ، قال الأخفش فأضمر (الأرض) من غير أن يكون ذكرها لأن هذا الكلام قد كثر حتى عرف معناه ، تقول : أخبرك ما على ظهرها أحد أحب إلى منك ، و: مابها أحد أثر عندي منك<sup>(٦٧)</sup> .

ومثل ذلك ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَانِيَا ﴾ الحاقة ١٧ ، أي على أرجاء السماء ، ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ﴾ المعارج ٦ أي : البعث ، ﴿ إِنَّهَا لِإِْحْدَى الْكُبْرَى ﴾ المدثر ٣٥ الهاء كناية عن

(٦٢) معاني القرآن للفراء ٤٠٤/٢ .

(٦٣) مجاز القرآن ١٨٢/٢ .

(٦٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٣١/٤ .

(٦٥) البحر المحيط ٣٩٦/٧ .

(٦٦) إعراب القرآن ٢٩/٥ .

(٦٧) معاني القرآن للأخفش ٤٤٨/٢ ، إعراب القرآن للنحاس ٣٧٩/٣ .



جهنم<sup>(٦٨)</sup>، ومثل ذلك ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ الشمس ٣ ، قال الفراء «جلى الظلمة ، فجاز الكناية عن الظلمة ، ولم تذكر لأن معناها معروف، ألا ترى أنك تقول : أصبحت باردة وأمست باردة ، وهبت شمالاً ، فكنتى عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر ؛ لأن معناها معروف، (٦٩) . ومثل ذلك ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ تَقَعًا﴾ العاديات ٤ ، قال الفراء «الهاء كناية عن الوادى ولم يتقدم له ذكر؛ لأنه عُرِفَ المعنى» (٧٠) وكذلك الضمير فى ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ هود ٧٠ قال الفراء «أى إلى الطعام، (٧١) .

ومثل ذلك الهاء فى قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر ١) ، قال ابن خالويه «فإن سأل سائل فقال : المكنى لا يكون إلا بعد ظاهر ، وهذه أول سورة ، فلم كنى عن شيء لم يتقدم ذكره ؟ فالجواب فى ذلك أن العرب قد تكنى عن الشيء وأن لم يتقدم ذكره إذا كان المعنى مفهوماً ، كقولهم : ما عليها أعلم من فلان يعنون الأرض» (٧٢) .

ومن ذلك ما كان شيئاً عاماً يعود على النفس من مثل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس ٩ ، ١٠) ، قال الفراء «قد أفلحت نفس زكاها الله ، وقد خابت نفس دساها ، ويقال : قد أفلح من زكى نفسه بالطاعة والصدقة ، وقد خاب من دسى نفسه ، فأحملها بترك الصدقة والطاعة» (٧٣) والفراء هنا يعرض رأيين والهاء فيهما تعود على النفس ولا يهمن ما يتفرع على الرأيين .

وقد يعود الضمير على الإنسان ؛ من مثل ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ (ق ١٨) قال النحاس «الضمير الذى فيه يعود على الإنسان؛ أى : ما يلفظ الإنسان من قول فيتكلم به إلا عند لفظ به» (٧٤) .

ومن ذلك أيضاً عودة الضمير على الثقيلين الإنس والجن فى قوله تعالى ﴿فَبِأَيِّ

(٦٨) إعراب القرآن للنحاس ٢٢/٥ ، ٧١ ، معاني القرآن للفراء ١٨٤/٣ ، ٢٠٥ .

(٦٩) معاني القرآن للفراء ٢٦٦/٣ .

(٧٠) نفسه ٤٠٤/١ ، والاية السابقة هي (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين).

(٧١) معاني القرآن وإعرابه ٤٠٣/٢ .

(٧٢) إعراب ثلاثين سورة ١٤٢ .

(٧٣) معاني القرآن للفراء ٢٦٧/٣ .

(٧٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٢٤/٤ ، ٢٢٥ .

آلَاءِ رَبِّكُمْ أَنْ تَكْذِبَانَ ﴿ انزحمن ٥٥ قال أبو عبيدة ، (تكذبان) مجازها مخاطبة الجن والإنس وهما الثقلان، (٧٥) .

من كل ماسبق يتبين لنا أهمية السياقين اللغوي وغير اللغوي في تقدير مرجع الضمير ، وقد تبين لنا السياق اللغوي في عودة الضمير إلى المصدر المأخوذ من لفظ الفعل المذكور في الجملة ، أو اعتبار المرجع لفظة سابقة أو عودة الضمير على مرادفها، كما تبين لنا سياق الحال في اعتبار المعنى أساساً للمرجع وبرز ذلك في استخدام المعنى العام للآيات ، وأقوال المفسرين والعودة إلى الحديث الشريف والسيرة العطرة وربط ذلك بأسباب النزول ، وتبين لنا كيف تنبه النحاة إلى ذلك وحاولوا باستخدام سياق الحال إعادة الضمير إلى شخص أو أشخاص أو أشياء محددة .

والحق أن الدكتور طه حسين رغم قوله بأن تلك الضمائر أسماء إشارة إلا أنه قد تنبه إلى أهمية السياقين اللغوي وغير اللغوي، لكنه عرف السياق اللغوي وحده ثم قال إنه لا يكفي وحده للكشف عن مرجع الضمير، وينبغي أن تضاف إليه عوامل أخرى مثل الإشارات والإيماءات في المقاطع الخطابية، والمعارف التي قد تتوافر لدى السامع أو القارئ (٧٦) وهذه الأشياء التي أشار إليها ليست إلا عناصر لسياق الحال أشار إليها ابن جنى في خصائصه (٧٧) كما اهتم البلاغيون والأصوليون والمفسرون من قبل، كما عرفت في مدرسة السياق عند فيرث (٧٨) .

وإذا كنا قد تناولنا فيما سبق البحث عن مرجع الضمير، فلا بد أن نشير هنا أيضاً إلى مرجع اسم الإشارة ، وهو ما وجدناه عند النحاة والمفسرين أيضاً وهو ما جعلنا نقول من قبل إن جعل الضمير بمعنى اسم الإشارة لا يحل مشكلة المرجع .

ولانبعد إذا قلنا إن النحاة والمفسرين قد فعلوا ما فعلوه في البحث عن مرجع الضمير ، فوجدنا مثلاً أسماء إشارة مرجعها المصدر المفهوم من السياق ، من مثل ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ هود ١١٩ ، قال الفراء ، للاختلاف والرحمة، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ البقرة ٦١ ، قال الزجاج

(٧٥) مجاز القرآن ٢/٢٤٣ .

(٧٦) راجع : من الشاطر: الآخر ١٤١ .

(٧٧) راجع : الخصائص ١/٢٤٥ وما بعدها ، فقه اللغة في الكتب العربية ١٦٧ وما بعدها .

(٧٨) راجع : الدلالة والتركيب ١١٨ وما بعدها .

ومعنى ذلك والله أعلم - الغضب حل بهم بكفرهم، . ومثل ذلك ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ آل عمران ٨٢ قال ذلك إشارة إلى أخذ الميثاق، (٨٠).

وكذلك قال النحاس في ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ﴾ آل عمران ٧٥، أى فعلهم ذلك وأمرهم ذلك، (٨١)، وفي ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ﴾ ق ٣٧ قال: أى إن فى إهلاكنا القرون التى أهلكناها وقصصنا خيرها، (٨٢).

ومن ذلك ما جاء إشارة إلى القرآن من مثل ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ هود ٤٩، قال الفراء، (من قبل هذا) يعنى القرآن، (٨٣) ومثل ذلك ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ الجاثية ٢٠، قال أبو عبيدة، مجازها: هذا القرآن بصائر للناس، (٨٤).

وهم فى كل ذلك يعتمدون على السياق فى تقدير مرجع اسم الإشارة . كذلك كان للسياقين اللغوى وغير اللغوى دورهما فى حل مشكلة مخالفة المطابقة بين الضمير والموجع، وقد تكون تلك المخالفة فى مطابقة العدد من حيث التعبير بالمفرد عن المثلى أو العكس، والتعبير بالجمع عن المفرد أو العكس، وكان للسياق أثره فى تفسير كل ذلك عند اللغوين والمفسرين (٨٥).

وقد تكون المخالفة فى مطابقة النوع؛ فقد يكون الضمير عائداً على لفظه فى السياق اللغوى فى مثل ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ البقرة ١٤٣، قال الأخفش، يعنى القبله، ولذلك أنت، (٨٦)، و﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾ البقرة ١٣٢، قال الزجاج، قوله (بها) هذه الهاء ترجع على الملة؛ لأن إسلامه هو إظهار طريقته وسنته ويدل على قوله ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ البقرة ١٣٠ قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾

(٧٩) معاني القرآن للفراء ٣١/٢ .

(٨٠) معاني القرآن وإعرابه ١/١٤٥، ١٠٢، ٢٠٠، ٤٢٦ .

(٨١) إعراب القرآن للنحاس ١/٢٨٨ .

(٨٢) نفسه ٤/٢٣١ .

(٨٣) معاني القرآن للفراء ١٩/٢ .

(٨٤) مجاز القرآن ٢/٢١٠، وراجع معاني القرآن وإعراب / رجاء ٢/٢٩٧ .

(٨٥) راجع : العلاقة بين المطابقة العددية والسياق / مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد

٦٠ ص ٧ وما بعدها .

(٨٦) معاني القرآن للأخفش ١/١٥١ .

البقرة ١٣٢<sup>(٨٧)</sup>، ومعنى ذلك أن تقدير رجوع الهاء إلى الملة جاء من وجود ألفاظ في السياق اللغوي في الآية ١٣٢ تدل عليها هي (إن الله اصطفى لكم الدين) .

وقد جاءت ضمائر تعود على مرجعين في السياق اللغوي أحدهما مذكر والآخر مؤنث ، وكذلك عادت مرة بالتأنيث وأخرى بالتذكير ، ومن ذلك (السقاية) (الصواع) في سورة يوسف الآيات من ٧٠ إلى ٧٦ ، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أُخِيهِ ﴾ يوسف ٧٠ ، وقال عز من قائل ﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صِرَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ يوسف ٧٢ ، ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ يوسف ٧٥ ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أُخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا ﴾ يوسف ٧٦ ، فجاء الضمير مؤنثاً في الآية الأخيرة وهو يعود على الصواع ، وهنا نجد الفراء يقول ذهب إلى تأنيث السرقة وإن يكن الصواع في معنى الصاع ففعل هذا التأنيث من ذلك ، وإن شئت جعلته لتأنيث السقاية، (٨٨) .

ويمكننا أن نفهم كلام الفراء هذا من أقوال الزمخشري الذي فسر (السقاية) بأنها مشرية يسقى بها وهي الصواع، ثم تساءل لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنته؟ ثم قال وقالوا : رجع بالتأنيث على السقاية ، أو أنت الصواع لأنه يذكر ويؤنث، ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعاً ، فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية ، وفيما يتصل بهم منه صواعاً، (٨٩) ، فهذه الضمائر بعضها يعود للسقاية وبعضها يعود للصواع، أو أن الصواع يذكر ويؤنث ، ويضاف إلى ذلك عند الفراء عودة الضمير إلى (السرقة) المتحدث عنها في الآيات وإن لم تذكر لفظاً .

وكلام الفراء هذا يأخذنا إلى مفاعلوه من جلب كلمة يدل عليها المعنى وإرجاع الضمير إليها ، وهذا ما نجده أيضاً عند الأخفش في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ النحل ٦٧ حيث قال «ولم يقل (منها) لأنه أضمر الشيء ، كأنه قال : ومنها شيء تتخذون منه سكرًا ، (٩٠) .

(٨٧) معاني القرآن وإعرابه ٢١١/١ .

(٨٨) معاني القرآن للفراء ٥٢/٢ .

(٨٩) راجع : الكشاف ٣٣٤/٢ . ٣٣٥ .

(٩٠) معاني القرآن للأخفش ٢٨٢/٢ .

وقد يعود الضمير على لفظة في السياق اللغوي مما يذكّر ويؤنث ، ومن ذلك كلمة (الفلك) التي جاءت في القرآن מזכرة في ﴿الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الشعراء ، يس ٤١ ، الصافات ١٤٠) ، وجاءت مؤنثة في آيات مثل ﴿وَالْفَلَكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ (البقرة ١٦٤) ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس ٢٢) ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكِ لَتَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ (إبراهيم ٣٢ إلى غير ذلك من الآيات . قال الفراء عند آية يونس وقوله : (وجرين بهم) ، ولم يقل : وجرت وكل صواب ، تقول النساء قد ذهب ، وذهبن ، والفلك تؤنث وتذكر ، وتكون واحدة وتكون جمعاً . وقال في (يس) ﴿فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ يس ٤١ فذكر الفلك ، وقال ها هنا جاءتها ، فأنث فإن شئت جعلتها هاهنا واحدة ، وإن شئت جمعاً ، (١١) . ومن ذلك (النخل) فقد قال الفراء عند قول الله تعالى ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (الحشر ٥ إن من قرأ (أصوله) ذهب إلى الجمع في اللين كله ، ومن قال : أصولها ذهب إلى تأنيث النخل ، لأنه يذكر ويؤنث ، (١٢) ، وكذلك كلمة (الشجر) في ﴿لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُفْرٍ فَمَالُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ الواقعة ٥٢ ، ٥٣ (١٣) .

وقد جاء الضمير مؤنثاً في قراءة ومذكراً في أخرى ، فلجأ المفسرون إلى المعنى أيضاً في تفسير ذلك ، ومن أمثلة ذلك (وهمت كل أمة برسولهم) غافر ١٥ قال الفراء : إن من قرأ بهذه القراءة ذهب إلى الرجال وفي حرف عبد الله (برسولها) ، وكل صواب ، (١٤) ، أي أن الضمير في قراءة التذكير يعود على رجال الأمة وعلى قراءة التأنيث يعود على الأمة .

وقد يعود الضمير على شيء يفهم من سياق الحال لكنه يكون مرة بالتأنيث ومرة بالتذكير ، فيقدر المرجع تبعاً لذلك ومن أمثلة ذلك ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ عبس ١١ ، ١٢ قال الفراء هذه السورة تذكرة ، وإن شئت جعلت الهاء عماداً

(٩١) معاني القرآن للفراء ١/٤٦٠ .

(٩٢) نفسه ٣/١٤٤ ، وراجع : معجم القراءات ٧/١١٣ .

(٩١) معاني القرآن للفراء ١/٤٦٠ .

(٩٢) نفسه ٣/١٤٤ ، وراجع : معجم القراءات ٧/١١٣ .

(٩٣) نفسه ٣/١٢٧ .

(٩٤) نفسه ٣/٥ ، وراجع أيضا ٣/٥٥٠ ، ٢١٣ ، ٢٤٠/٢٠٥٨ ، معجم القراءات ٦/٣٦ .

لتأنيث التذكرة فضمير المؤنث عنده إما أن يعود إلى السورة أو أن يكون ضمير فصل يعود على التذكرة . أما الضمير الثاني المذكور في (ذكره) فيعود عنده على القرآن<sup>(٩٥)</sup> . وقد قدر الزجاج الضمير المؤنث للموعظة ، والمذكر للوعظ<sup>(٩٦)</sup> . وقد جاءت الآيتان في سورة المدثر بالتذكير هكذا ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكِّرُهُ فَمِنْ شَاءِ ذَكَرَهُ ﴾ المدثر ٥٤ ، ٥٥ وهنا يقول الفراء يعني هذا القرآن ، ولو قيل : (إنها تذكرة) لكان صواباً ، كما قال في عيس ، فمن قال (إنها) أراد السورة ومن قال : (إنه) أراد القرآن<sup>(٩٧)</sup> .

وكذلك جاء اسم الإشارة في مثل هذه الآيات فقدر المرجع من سياق الحال ، من مثل ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكِّرَةٌ ﴾ الإنسان ٢٩ قال الفراء ويقول : هذه السورة تذكرة وعظة<sup>(٩٨)</sup> ، وقال النحاس وقيل : أي هذه الأمثال والقصص وقدرها في آية المزمل ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكِّرَةٌ ﴾ المزمل ١٩ فقال : أي هذه الأشياء التي تكون في القيامة عظة ؛ وقال قتادة : يعني القرآن<sup>(٩٩)</sup> ، ومعنى ذلك أن اسم الإشارة هنا قد يرجع إلى السورة أو إلى الأمثال والقصص والمواعظ وكلها مؤنثة ، وقد يرجع إلى القرآن وهو مذكر على قول قتادة .

وقد يعود ضمير العاقل على غير العاقل ، وبالتالي يكون مذكراً ، ومما ورد في القرآن عودة الضمير إلى ما يعبد من دون الله من مثل ﴿ أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف ٤٥ قال الفراء قال : (يعبدون) للآلهة ، ولم يقل : تعبد ولا يعبدن ، وذلك أن الآلهة تكلم ويدعى لها وتعظم ، فأجريت مجرى الملوك والأمراء وما أشبههم<sup>(١٠٠)</sup> .

ومثل ذلك الضمير ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ الأنبياء ٦٣ ، قال الأخفش ، فذكر الأصنام وهي من الموات ، لأنها كانت عندهم ممن يعقل أو ينطق<sup>(١٠١)</sup> .

(٩٥) نفسه ٢٣٦/٦ .

(٩٦) راجع : معاني القرآن وإعرابه ٢٨٤/٥ .

(٩٧) معاني القرآن للفراء ٢٠٦/٣ وراجع : إعراب القرآن للنحاس ٧٤/٥ ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٩٨) نفسه ٢٢٠/٣ .

(٩٩) إعراب القرآن للنحاس ١٠٨/٥ ، ١٠٩ ، ٦٢ .

(١٠٠) معاني القرآن للفراء ٢٤/٣ ، وراجع أيضا ٤٩/٣ .

(١٠١) معاني القرآن للأخفش ٤١١/٢ ، وراجع : مجاز القرآن ٤٠/٢ .

ومثل ذلك ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾ يس ٧٥ ، قال النحاس : « (لا يستطيعون نصرهم) يعنى الآلهة ، وجمعوا على جمع الآدميين ؛ ولأنه أخبرهم بخبرهم ( وهم) يعنى الكفار (لهم) الآلهة، (١٠٢) .

ومن ذلك ما يعود على الحيوان من مثل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ النمل ١٨ قال أبو عبيدة «هذا من الحيوان الذى خرج مخرج الآدميين ، والعرب قد تفعل ذلك قال :

شربت إذا ما الديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا (١٠٣)

ومثل ذلك ما يعود على الأجرام الكونية (١٠٤) .

وقال الخليل بجواز ذلك من حيث صارت الأشياء عندهم تؤمر وتطيع ، وتفهم الكلام وتعبد ، بمنزلة الآدميين، (١٠٥) .

(١٠٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٧/٣ .

(١٠٣) مجاز القرآن ٩٣/٢ ، والبيت للنايفة الجعدي راجع مجاز القرآن هامش، ٢٦٧ ، الكتاب ٤٧/٢

(١٠٤) نفسه ١٦٢/٢ .

(١٠٥) راجع : الكتاب ٤٧/٢ ، ٤٨ .

## خاتمة

اتضح من ثنايا هذا البحث استغلال النحاة والمفسرين للسياقين اللغوي والحالي في تفسير مرجع الضمير وتحديده ؛ فأسهم السياق اللغوي في ذلك وتمثل في عودة الضمير إلى المصدر المفهوم من فعل مذكور في السياق ، أو من وصف سابق لذلك الضمير ، أو العود إلى كلمة سبق ذكرها في آية من آيات السورة أو في موضع آخر من القرآن ، أو على مرادف لكلمة في السياق أو على لفظ تلك الكلمة دون معناها .

وتحكم المعنى كثيراً في عودة الضمير حتى إنه قد يعود الضمير إلى كلمة في السياق ويقدر المراجع له من المعنى ، لكنهم اختلفوا حول المرجع باختلافهم حول المعنى وتعددت المراجع للضمير الواحد حسب فهم النحاة بل إنهم قد يعددون مرجع الضمير بمراجع تدور حول معنى واحد في أصله ، من مثل ما قالوه حول آية الأنفال (٦٠) وآية يوسف (٩) .

وقد يذكر اسمان في السياق اللغوي ويعود الضمير إلى أحدهما وهنا يلجأ النحاة والمفسرون إلى تفسيرات نحوية وأخرى دلالية في تحديد مرجع الضمير ، وقد تجرهم تلك التفسيرات الدلالية إلى اللجوء إلى ظروف خارج النص القرآني هي سياق الحال فيحكمونها في المرجع .

وأول ما بدا من لجوئهم إلى سياق الحال اهتمامهم بالتفسير العام أو الدلالة العامة لتحديد المرجع ، ثم محاولة إعادة الضمير إلى شخص أو شيء بعينه ، أو مجموعة من الأشخاص أو الأشياء ، واختلفوا في تحديد تلك المراجع الخارجية وتعددت أقوالهم ، وربما لجئوا إلى المرجع الخارجي والمرجع ظاهر في لفظ الآيات . وربما كان ما يعود عليه الضمير شيئاً عاماً لاحتاج إلى تقديره .

وإذا كان الدكتور طه حسين قد ذهب إلى جعل تلك الضمائر أسماء إشارة ، فإننا نجد اسم الإشارة يحتاج إلى مرجع أيضاً بحث عنه النحاة واستعانوا في ذلك بالسياقين اللغوي والحالي .

وكان للسياقين اللغوي والحالي دورهما في حل مشكلة مخالفة مطابقة الضمير لما يعود عليه في العدد والنوع ، وكذلك عودة ضمير العاقل إلى غير العاقل وقد أوضح البحث أقوال المفسرين في ذلك وخلافاتهم .



وكان للقراءات أيضاً دورها في تفسير مرجع الضمير ، ومطابقتها وقد بين البحث ذلك في موضعه .

ومما سبق يتبين أن هذه الدراسة قد وصلت إلى هدفها وأجابت عن الأسئلة التي بدأت بها فكشفت عن دور السياقين اللغوي والحالي في تقدير مرجع الضمير .

### المصادر والمراجع

- ١- أحمد مختار عمر (دكتور)، وعبد العال سالم مكرم (دكتور).  
- معجم القراءات القرآنية ، مطبوعات جامعة الكويت ط١ ٨٢/١٩٨٥ م .
- ٢- الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ٢١١ هـ) .  
- معاني القرآن ، تحقيق فائز فارس الحمد ، الكويت ١٩٧٩ م ط١ .
- ٣- ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ) .  
- الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ط٢ (د،ت) .  
- المحتسب في تبيين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩ م .
- ٤- حسن طبل (دكتور) .  
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، توزيع مكتبة الزهراء ١٩٩٠ م .
- ٥- أبو حيان الغرناطي (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥ هـ) .  
- البحر المحيط ، دار الفكر ١٩٨٣ م ط٢ .
- ٦- ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد ت ٣٧٠ هـ) .  
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، مؤسسة الإيمان ، بيروت ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية (د،ت) .
- ٧- الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السرى ت ٣١١ هـ) .  
- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصرى اللبناني ١٩٨٢ م ط٢ .
- معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٨ م ط١ .

- ٨- الزركشى (بدر الدين محمد بن عبد الله ٧٩٤ هـ) .  
 - البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت  
 م ١٩٨٨ .
- ٩- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ) .  
 - الكشاف عن حقائق التنزيل ، البابى الحلبي ١٩٧٢ م .  
 ١٠- سيوييه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ) .  
 - الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ٦٦ / ١٩٧٧ م .  
 ١١- السيوطى (عبد الرحمن جلال الدين ت ٩١١ هـ) .  
 - الإتقان فى علوم القرآن ، البابى الحلبي (د.ت) .  
 - همع الهوامع ، تحقيق عبد العالم سالم مكرم وعبد السلام هارون ، دار البحوث  
 العلمية ، الكويت ٧٧ / ١٩٨٠ م .
- ١٢- طه حسين (دكتور) .  
 - من الشاطئ الآخر ، ترجمة عبد الرشيد الصادق محمودى ، بيروت ١٩٩٠ م  
 ط ١ .
- ١٣- عباس حسن .  
 - النحو الوافى ، دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة .
- ١٤- عبده الراجحي (دكتور) .  
 - فقه اللغة فى الكتب العربية ، توزيع دار المعرفة الجامعية ١٩٧٢ م .
- ١٥- أبو عبيدة (معمر بن المثنى ت ٢١٠ هـ) .  
 - مجاز القرآن ، تحقيق د. محمد فؤاد شركين ، الخانجى ١٩٥٥ - ١٩٦٢ .
- ١٩- العكبرى (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله ت ٦١٦ هـ) .  
 - التبيان فى إعراب القرآن ، تحقيق على محمد البجارى ، عيسى البابى (د.ت) .
- ١٧- الفارسى (أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفارت ٣٧٧ هـ) .  
 - الحجة فى علل القراءات السبع ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، الهيئة  
 المصرية للكتاب ١٩٨٣ جزآن .

- ١٨- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي ت ٢٠٧ هـ).
  - معانى القرآن .
  - الجزء الأول تحقيق أحمد سيف نجاتي ومحمد علي النجار ، هيئة الكتاب ١٩٨٠ م .
  - الجزء الثاني تحقيق محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت).
  - الجزء الثالث تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢ م .
- ١٩- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ٢٧٦ هـ).
  - تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨١ م ط ٣ .
- ٢٠- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ) .
  - المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للثقون الإسلامية ١٩٧٩ م ط ٢ .
- ٢١- محمد أحمد خضير (دكتور) .
  - الدلالة والتركيب ، دار الزهراء للنشر ١٩٩٣ م .
  - العلاقة بين المطابقة العددية والسياق ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٩٣ م العدد ٦٠ .
- ٢٢- محمد عبد الخالق عضيمة .
  - دراسات لأسلوب القرآن ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (د.ت).
- ٢٣- محمد حسنين صبرة (دكتور) .
  - مرجع الضمير في القرآن الكريم ، دار الثقافة العربية - القاهرة ١٩٩٢ م .
- ٢٤- النحاس (أبو جعفر أحمد بن إسماعيل ت ٣٣٨ هـ) .
  - إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازي زاهد ، عالم الكتب والنهضة العربية ١٩٨٥ م ط ٢ .

٢٥- ابن هشام .

- مغنى اللبيب ، تحقيق د. مازن المبارك ، ومحمد على الحمد، دار الفكر، بيروت  
١٩٨٠م ط٦ .

٢٦- ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ت ٦٤٣هـ) .

- شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت، مكتبة المتنبي بالقاهرة (د.ت) .



## الفصل الرابع

السياق وتقدير المحذوف  
في روايات جيب محفوظ





## الفصل الرابع السياق وتقدير المحذوف في روايات نجيب محفوظ

تهدف هذه الدراسة إلى تبين إمكانية تقدير المحذوف في الرواية عند نجيب محفوظ ، والتعرف على طبيعة تلك المحذوفات . ووسائل تقدير المحذوف ، لقد قدر النحاة المحذوف فاتهموا بجريهم وراء تفسير العلامة الإعرابية، وقدر البلاغيون المحذوف وجعلوا من الحذف ميزة بلاغية لا يتوصل بغيره إليها. من هنا كان تساؤلنا الذي نحاول أن نجيب عنه في هذه الدراسة، هل يمكن تقدير المحذوفات في نص روائي حديث دون الاعتماد على العلامة الإعرابية؟ وما وسائلنا في تقدير المحذوف؟ وماذا وراء هذا التقدير؟؟

واختارنا لهذه الدراسة مادة لغوية هي بعض روايات نجيب محفوظ حيث اقتصرنا على عينة من تلك الروايات تمثل - في رأينا- مراحل إنتاجه المتعاقبة ، كما تمثل - من إنتاجه - فيما نعتقد اتجاهات متغيرة ، وهي الروايات : رادوبيس ١٩٤٣ ، وخان الخليلي ١٩٤٦ ، واللص والكلاب ١٩٦١ ، والكرنك ١٩٧٤ ، وأمام العرش ١٩٨٣ . ولعله من الضروري أن ننبه إلى ندرة الدراسات اللغوية لإنتاج نجيب محفوظ في الرواية والقصة على السواء ، وإن وجدنا من ذلك نظرات متناثرة لم تكن مقصودة في حد ذاتها.

لقد عرف القدماء للمعنى أهميته - كما عرفوا ذلك للفظ - وأنه هو المقصود من الكلام ف- كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد لفظه، (١). ومن هنا كان مدحهم للإيجاز إذ إن الهدف هو التعبير عن المعنى المقصود ، فإذا حدث ذلك بأقل الألفاظ فهذه هي البلاغة ، والتعبير عن المعنى المقصود في البيت الواحد أفضل منه في أكثر من بيت (٢). ومن طلب أبواب الحذف والاختصار والانتقال من كلام

(١) مقدمة في أصول التفسير / ابن تيمية ص ٤٦

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق هاشم الشاذلي ،

دار تحقيق التراث (د.ت) ، ١٧٦ ، ١٧٧

انظر أيضاً : البلاغة للمبرد ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، دار الثقافة الدينية بالقاهرة ،

إلى كلام والانصراف عن الخطاب قبل استتمامه اجتزأ بظهور الغاية واسبقاته المراد، (٣)، ذلك لأن النظر في الإيجاز إنما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ (٤)، وقالوا «رب إشارة أبلغ من عبارة» (٥)، وحذلك «خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل» (٦)، وقالوا إن الإعجاز في الإيجاز نهاية الإعجاز (٧)، ووصفوا البلاغة بأنها لمحة دالة (٨)، بل إن البلاغة عند ابن المقفع إنما هي «اسم لمعان تجرى في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة» (٩).

لكن أكان الإيجاز كل البلاغة أو كانت البلاغة كلها إيجازاً؟ لقد قيل لأحدهم (١٠) «أكانت العرب تطيل؟ فقال نعم لتبلغ، وقيل أفكانت توجز؟ قال نعم ليحفظ عنها» (١١) فالبلاغة إذن لم تكن في الإيجاز وحده، بل كانت في الإطالة أيضاً، ولقد ارتبط مصطلح الإيجاز عند البلاغيين بمصطلحين آخرين هما الإطناب والمساواة، وارتبطت المصطلحات الثلاثة بمقتضى الحال أو المقام، فلكل من هذه الأساليب مقامه الذي يستعمل فيه (١٢)، هذا المقام يرتبط بالمتكلم والمخاطبين والموقف

(٣) الوساطة ٤٠٣ .

(٤) المثل السائر لابن الأثير، تحقيق د. أحمد الحوفي، د. بنوي طبانة، نهضة مصر ط٢، (د.ت)، القسم الثاني ص ٢٥٥ .

(٥) الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت ط٢، عن طبعة دار الكتب ٨٠/١ .

(٦) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص ٨٣ .

(٧) فن البلاغة: د. عبد القار حسين، مكتبة الآداب (د.ت)، ص ١٩٢، انظر أيضاً: من قضايا اللغة والنحو: علي النجدي ناصف، نهضة مصر (د.ت)، ص ٨٣، وما بعدها .

(٨) نقد الشعر لقدماء بن جعفر، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي، الكليات الأزهرية، ط١، ١٩٨٠، ص ١٥٤، ١٥٥، إعجاز القرآن الباقلائي علي هامش الإقتان في علوم القرآن للسيوطي، طبعة الطلبي (د.ت) ١٥٦/١، ١٥٧ .

(٩) كتاب الصناعتين ٢٣، وانظر أيضاً صفحات ٤٨، ٥٠، ٥٨ .

(١٠) ذكره ابن جني باسم أبي عمرو، وأشار المحقق في فهرس الأعلام إلي أنه أبو عمرو بن العلاء، انظر: الخصائص ٣/٢٧٠ .

(١١) الخصائص ١/٨٣ .

(١٢) نقد النثر (المنسوب لقدماء بن جعفر)، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢، ص ٩٦، ٩٧، ١٠٢، وقد نشر هذا الكتاب مرة أخرى باسم «البرهان في وجوه البيان»، تحقيق دحفني محمد شرف، ونسبه إلي ابن وهب الكاتب، مكتبة الشهاب ( )، وانظر: الصناعتين، ص ٢١١ وما بعدها .

والظروف ، ففنون الكلام تتنوع بحسب الموقف والمستمعين وهذا مانجده عند ابن قتيبة في قوله : «فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاماً في نكاح أو حمالة» (١٣) أو تحضيض أو صلح أو ما أشبه ذلك - لم يأت به من واد واحد ، بل يفتن : فيختصر تارة إرادة التخفيف ، ويطيل تارة إرادة الإفهام ، ويكرر تارة إرادة التوكيد ، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين ، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعمى ، ويشير إلى الشيء ، ويكنى عن الشيء ، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال ، وقد الحفل ، وكثرة الحشد ، وجمالة المقام، (١٤).

وما أشار إليه البلاغيون بمقتضى الحال أو المقام وأوضح جوانبه ابن قتيبة في هذا النص، إنما هو السياق الخارجى أو سياق الحال أو سياق المقام وهو ما عرفه مالبينوسكى وفيرث بمصطلح Context of Situation ويتضمن عند فيرث مايلي:

١- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما (الثقافى) وشخصيات من يشهد الكلام غيرهما ودورهم .

٢- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوى لمن يشارك في الموقف الكلامى كحالة الجوارح كان لها دخل وكالوضع السياسى وكمكان الكلام وزمانه .

٣- أثر الكلام فى المشتركين ، كالاقتناع أو الرفض أو الأمل أو الإغراء أو الضحك الخ (١٥).

وقد عرف النحاة والبلاغيون قبل ذلك سياقاً آخر هو السياق اللغوى وهو يختص - عند المحدثين - بالعلاقات التى تنعقد بين العناصر اللغوية نفسها سواء أكانت كلمات أو جملات ، فهو معنى بالعلاقات الواقعة داخل اللغة inrta Linguistics (١٦).

لقد قسم علماء اللغة المحدثون السياق إلى أنواع وصلت عند أحدهم إلى أربعة هى السياق اللغوى ، والسياق العاطفى ، وسياق الموقف ، والسياق الثقافى (١٧). لكننى

(١٣) الحمالة (بالفتح) : ما يحتمله الإنسان عن غيره دية أو غرامة مثل أن تقع حرب بين فريقين تسفك فيها الدماء ، فيدخل بينهم رجل يتحمل الديات ليصل ذات البين ، انظر اللسان (حمل) .  
(١٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت ط ٣ ، ١٩٨١ ، ص ١٣ .

(١٥) علم اللغة للسعران ٢٣٩ ، ٣٤٠ ، دراسات في علم اللغة : دكمال بشر ، ١٧٣/٢ ، وانظر أيضا . Semantics, Lyons Vol.2 pp. 607 - 610 .

(١٦) بالمر : علم الدلالة ٥٢ .

(١٧) علم الدلالة : د. أحمد مختار ٦٩ .

أفضل التقسيم الثنائي للسياق إلى سياق لغوي وهو ما عرفناه فيما سبق، والسياق غير اللغوي ويشمل الأنواع الثلاثة الأخرى وهي كلها تندرج تحت ماسماه فييرث سياق الحال وقد عرفناه أيضاً .

وقد كان للسياق بنوعيه أثر بالغ على التركيب وعلاقته بالمعنى ، وظهر ذلك في عدة ظواهر تركيبية من بينها الإيجاز ، والإيجاز عند البلاغيين هو التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة دون الإخلال بالمعنى المراد (١٨)، وينقسم إلى نوعين : أحدهما إيجاز القصر أو الإيجاز بغير حذف ، والآخر إيجاز الحذف (١٩)، والتنبه إلى النوع الأول من الإيجاز يحتاج إلى جهد كبير - كما يقول ابن الأثير - إذ إنه لم ترسم حدوده كما في النوع الثاني (٢٠)، وقد مثلوا له بقوله تعالى : (ولكم في القصص حياة يا أولى الأبواب) البقرة ١٧٩ . وقالوا إنها ألفاظ قليلة لكنها تعبر عن معان كثيرة (٢١) .، وحاول ابن الأثير التفصيل في هذا النوع من الإيجاز ، ومثل بأمثلة كثيرة كلها تقع تحت ما يطلق عليه «جوامع الكلم» ، يقول : (فغشيهم من اليم ماغشيهم ) طه ٧٨ من جوامع الكلم التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة ، أى : غشيهم من الأمور الهائلة والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه إلا الله ، ولا يحيط به غيره، (٢٢) ، ولقد عرف النحاة ومعرّبو القرآن هذا النوع من الإيجاز ، لكنهم حاولوا تقدير المحذوف (٢٣) .

أما النوع الثاني من الإيجاز فهو الإيجاز بالحذف ، وقد كان محور اهتمام النحويين والبلاغيين معاً ، ذلك أن الإيجاز بالحذف إنما يتطلب تقدير جملة محذوفة أو جزءاً من جملة لا بد من تقديره ليتم المعنى المقصود ، وهذا ما يهيم النحويين والبلاغيين معاً ، أما الإيجاز بغير حذف فإنه يهيم البلاغيين في المقام الأول الذين امتدحوا أسلوب الإيماء والإشارة ، كما سبق أن أوضحنا ، وليسوا مسئولين عن تقدير جمل محذوفة بعينها ، إنما هم يقدرّون معاني كثيرة قد عبر عنها بألفاظ يسيرة . وقد النحاة - حتى في تناولهم لأمثلة الإيجاز بالقصر - أو بدون حذف - البحث عن

(١٨) الإيضاح للفريزي ، ص ١٠٥ . إيجاز القرآن للباقلائي ٢/٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(١٩) ثلاث رسائل في إيجاز القرآن ٧٦ ، إيجاز القرآن للباقلائي ٢/٢٠٢ ، ٢٠٣ ، المثل السائر

٢/٢٦٤ ، كتاب الصناعتين ١٩٥ ، وقد قسمه ابن الأثير إلى قسمين ، أحدهما : ماساوي لفظه

معناه ويسمى (التقدير) ، والآخر ما زاد معناه علي لفظه ، ويسمى القصر ، والحق أن القسم

الأول (التقدير) لا يفترق عن المساواة التي قال بها البلاغيون الآخرون .

(٢٠) المثل السائر ٢/٢٦٥ .

(٢١) الإيضاح ١٠٥ .

(٢٢) المثل السائر ٢/٣٣٦ .

(٢٣) انظر علي سبيل المثال : إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٢/١٩٢ ، عند قوله تعالى : (وإما

تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم علي سواء) الأنفال ٥٨ .

المحذوف لأنهم يبحثون العلاقة بين النظر والتطبيق أو اللغة والكلام - كما يقول دى سوسير - أو المستوى السطحي والمستوى العميق - كما هو عند التحويليين ، حيث يقدرون في المستوى العميق - الذي يرتبط بدوره بالدلالة - محذوفات لا تظهر في المستوى السطحي (٢٤).

لقد تعدى طموح البلاغيين والنقاد النظر إلى الجملة المفردة ووصل بهم إلى اعتبار النص ككل موحد يربطه المعنى أو الغرض أو الأغراض المتشابهة في النص ، لذا فقد أهمهم الإيجاز سواء كان بحذف أو بغير حذف أو كان إيحاء أو إشارة أو إيحاء ، فإذا استطاعوا أن يقدروا المحذوف فيها ونعمت ، وإن لم يتيسر لهم ذلك ، ذهبوا إلى شرح معاني النص الكثيرة التي عبر عنها بألفاظ قليلة ، أما النحاة فكانت وحدة البحث عندهم هي الجملة بأركانها ومكملاتها وتوابعها ، فإذا غاب ركن من أركانها أو مكمل من مكملات أو تابع من توابعها قدره محذوفاً ، ومن النحاة من بلغ به طموحه إلى تقدير الجملة محذوفة اعتماداً على المعنى والسياق ، ومنهم من قدر أكثر من جملة وحاول تفسير إيجاز القصر (أو الإيجاز بغير حذف) عن طريق تقدير محذوفات .

إذن فالحذف عند النحاة ينقسم إلى حذف الجملة ، وحذف جزء الجملة سواء أكان اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، وحذف الجملة ، وقد جاءت إشاراتهم إلى حذف الجمل قليلة بينما يفصل البلاغيون في ذلك (٢٥).

نتناول في هذا البحث حذف الجملة وحذف المفردات في الروايات المذكورة على النحو التالي :

### أولاً : حذف الجملة :

جاء حذف الجملة في اللص والكلاب في حوالي عشرين موضعاً (٢٦) ، يمكن أن نربط بين أمثلتها وبين النوع الأول من الإيجاز (وهو الإيجاز بغير حذف) حيث لا يتيسر تقدير الجملة أو الجمل المحذوفة ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في لغة الحوار من مثل : «وقال المخبر في لهجة لم تخل من سخرية : ابحث أولاً عن طريق مستقيم تأكل منه لقمتك ... ، (٢٧) .

(٢٤) انظر : النحو العربي والدرس اللغوي الحديث : عبده الراجحي ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢٥) المثل السائر ٢/ ٢٦٩ .

(٢٦) انظر هذه المواضع في اللص والكلاب ، صفحات : ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٦ ،

٨٨ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٢٧) اللص والكلاب ٢١ .

فيمكننا هنا التفكير في محذوف بعد لفظة «لقتك» ، والدليل على ذلك أن معنى الكلام لم يتم ، وهناك دليل لفظي على المحذوف أيضاً وهو كلمة «أولاً» ، فهذه «أولاً» فأين «ثانياً» ؟ وكل هذا يتعلق بالسياق اللغوي ، أما السياق غير اللغوي أو السياق المقامي فنعرفه من ظروف الحوار وما يحيط به ، فسعيد مهران بطل الرواية قد ذهب ليأخذ ابنته للعيش معه وهو لا يجد المأوى الذى يأوى إليه ، كما أنه لا عمل له الآن ، وقد كان عمله قبل دخول السجن هو اللصوصية فإلى أين يأخذ ابنته ؟ وماذا يقدم لها ؟ هذا السياق المقامى قد يجعلنا نستطيع تقدير المحذوف وإتمام الكلام هكذا : «ابحث أولاً عن طريق مستقيم تأكل منه لقتك ثم عد إلينا نعطيك ابنتك» .

لكن الكاتب تركنا نفكر نحن في هذا المحذوف ونقدره في أنفسنا بعد أن أحاط المحذوف بالظروف الدالة عليه سواء كانت من السياق اللغوي أو غير اللغوي .

ومثل ذلك - فى الكرنك - لا يجوز لأحد أن يشك فى ذلك .

ومع ذلك .. ؟ ومع ذلك .. ؟! (٢٨) .

ومن الصعب تقدير المحذوف بعد (ومع ذلك .. ؟) وهو المستفهم عنه إلا باسترجاع الموقف الكلامى كاملاً الذى يعود بنا صفحات قبل هذا الكلام .

ومن ذلك أيضاً ما جاء فى الحوار الداخلى (المونولوج) . فسعيد مهران يتحدث إلى نفسه قائلاً (حتى حبك لاتدرى عن صدقه شيئاً ، كأنه رصاصه طائشة وكذلك...) (٢٩) ، ومن الصعوبة أن نقدر المحذوف هنا .

على أننا نجد لغة الحوار تكاد تنفرد بحذف الجملة . وربما كان ذلك لأن الحوار فى الموقف الواحد كأنه جملة واحدة متتامة ، فإذا حذف منها شيء أتمه الجزء الظاهر ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما نجده من تكامل فى هذا الجزء من الحوار البوليس لا يعجبه العجب ! فتمتم سعيد :

- ولا الصيام فى رجب ... (٣٠) فالجملة الأولى هى حديث أحد المتحاورين ، ثم تممها سعيد بما يقتضيه من تمام وكأن الكلام كله لشخص واحد ، وقد نفكر فى تقدير جملة أخرى يتم المعنى بعد لفظة (رجب) ، ولكنها حذفتم أو استغنى عنها هرباً من التكرار ، أى : ولا الصيام فى رجب يعجبه .

(٢٨) الكرنك ٢٨ .

(٢٩) اللص والكلاب ١٠٨ .

(٣٠) نفسه ١٢٠ و ١٤٦ .

مثل ذلك يتكرر في الكرنك مثل :

- الاعتقال فعل مخيف حقاً .
- وما يقال عما يقع للمعتقلين أفظع .
- شائعات يقشعر منها البدن .
- لاتحقيق ولادفاع .
- لا يوجد قانون أصلاً (٣١) .

يمكننا بعد ذلك أن نقسم مواضع حذف الجملة إلى ما يأتي :

١- حذف الجملة (المعمول) وبقاء العامل يدل على المحذوف ، وهو مما يلزم للنحوى النظر فيه - كما يقول ابن هشام - لأنه تقتضيه الصناعة (أى : صناعة النحو) (٣٢)، ومن أمثله في (اللص والكلاب) : ( ولكن .. ) (٣٣)، حيث حذفت الجملة بعد ( لكن ) ، نستطيع أن ندخل هذا المثال أيضاً فى مواضع الحذف مع العطف ، ومثل ذلك (ليكن ..) (٣٤)، حيث حذف اسم كان وخبرها إذا جعلناها ناقصة ، أو حذف الفاعل إذا كانت تامة بمعنى (ليحدث) .

ومثل ذلك فى الكرنك نجده فى :

(قلت معزياً :

- ولكن .

فقاطعتنى :

- إياك أن تدافع عنى) (٣٥) .

ويتضح من النص أن المقاطعة هى سبب حذف ما بعد (ولكن) . وتمام المعنى فى هذه الأمثلة مفهوم من السياق اللغوى ، وفى الوقت ذاته فإن هذا السياق هو الدليل على المحذوف ، فهو يرتبط بالمعنى مما يجعلنا نخالف ابن هشام فى قوله بارتباط الحذف بالصناعة وحدها .

(٣١) الكرنك ٢١، ولم ننقل الحوار كاملاً حتى لانطيل ، وإن كان يتم بعضه بعضاً ، وراجع أيضاً ص ٤٢،٣٥ .

(٣٢) مغني اللبيب ٢/٦٤٩ ، ٦٥٠ .

(٣٣) اللص والكلاب ٢٧ .

(٣٤) نفسه ١٦٧ .

(٣٥) الكرنك ٩٤ .

٢- ومثل ذلك حذف الجملة الفعلية (الفعل والفاعل) ، وقد علل ابن جنى هذا الحذف بشدة ارتباط الفعل بالفاعل ، فقال : وإنما تحذف الجملة من الفعل والفاعل لمشابتها المفرد لكون الفاعل في كثير من الأمر بمنزلة الجزء من الفعل ، نحو : شربت ويضربان ، وقامت هند ، و﴿ تَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴾ آل عمران ١٨٦ . وحبذا زيد ، وما أشبه ذلك مما يدل على شدة اتصال الفعل بالفاعل ، وكونه معه كالجزء الواحد ، وليس كذلك المبتدأ والخبر ، (٣٦) .

ومما جاء من هذا النوع في (اللص والكلاب) :

- سعيد كيف حالك يا رجل ، ومتى خرجت ؟

- أمس .... ( ٣٧ ) ، أى : خرجت أمس ، ودليل الحذف هنا هو وجود مادة الجملة المحذوفة نفسها في السياق اللغوي (خرجت) ، وهو يحدث كثيراً في سياق الاستفهام .

٣- كذلك حذف الجملة الفعلية في سياق التوكيد مع التكرار ، وذلك في مثل (- قرأت كل جملة مرت بعقلك ، كل جملة) (٣٨) فتمام الكلام هو تكرار جملة (قرأت) ، لكنها حذفت هرباً من التكرار .

وهذا النوع من الحذف يشبه أمثلة التنازع عند النحاة ومن أمثلته القرآنية قوله تعالى : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجِهِمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ الأحزاب ٣٥ .

ومن أمثلته الشعرية قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف (٣٩)

٤- كذلك حذف الجملة الشرطية في سياق التعجب ، ومما جاء على ذلك :  
(- إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى بالله ..

(٣٦) الخصائص ٢/٣٦١ .

(٣٧) اللص والكلاب ٢٨ ، وانظر أيضا ٧٤ ، ٧٥ .

(٣٨) نفسه ٥٧ .

(٣٩) انظر : كتاب سيبويه ٧٤/١ ، ٧٥ .



- إذا (٤٠).

وقد تحذف جملة الشرط بعد الأداة في غير التعجب ، ومن أمثلة ذلك  
-بيدك الأمر يارشدى ، فإذا توثبت للشفاء حقاً أمكن أن يظل السر سراً،  
أما..... (٤١)، ومن الواضح أن السياق اللغوى يفسر المحذوف .

وقد يحذف جواب الشرط وحده ، ويدل عليه السياق اللغوى أيضاً في مثل  
(المرأة القديمة لاتساوى مليماً ، أما السجادة ... ) (٤٢)، وقد جاء هذا النوع من  
الحذف في القرآن الكريم في مثل ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ كَلَّ آلِ  
عمران ١٠٦ ، وقد قدرها معربو القرآن : فأما الذين اسودت وجوههم فيقال :  
أكفرتهم (٤٣) مستدلين على ذلك بالمعنى ويعلم المخاطب .

٥- ومما تحذف فيه الجملة سياق الاستفهام والجواب ، وقد يكون الرد جواباً من مثل  
(فقال سعيد برقة : أنا واثق من أننى أخذت من وقتك أكثر مما يجوز ... قال  
رءوف بصراحة شمس يوليو : نعم ، فأنا مرهق بالعمل) (٤٤) أى نعم أخذت .

وقد تكرر ذلك كثيراً في الروايات موضوع الدراسة سواء أكانت الإجابة بـ  
(نعم) أو (أجل)، أو (لا) أو (بلى) ، أو (كلاً) (٤٥)، وكذلك إذ ظهر جزء من الإجابة  
في مثل :

(- ماذا أنت فاعل ؟ إلى المصرف) (٤٦) و(.... أين تودعها؟ - على  
قلبي) (٤٧)، حيث يدل الجار والمجرور على المحذوف أو الظروف في ( - ومتى  
تتلقى نبأ الفوز ؟ حين الأصيل) (٤٨)، و(أبدأ) (٤٩) ، أو اسم الفاعل (هيهات) (٥٠) ،

(٤٠) اللص والكلاب ٨٨ .

(٤١) خان الخليلى ١٩٥ ، وانظر أيضاً ص ٣١ .

(٤٢) نفسه ١٨٣ وقبل هذا الكلام يقول إن السجادة كلما مر بها الزمن غلا ثمنها .

(٤٣) معاني القرآن للفراء ٢٢٨/١ ، مجاز القرآن ١٠٠/١ ، ١٠١ ، معاني القرآن للأخفش /٢١١ ،

معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٦٥/١ .

(٤٤) اللص والكلاب ٤٨ وانظر ص ٩١ .

(٤٥) انظر علي سبيل المثال : رادوبيس ١٦٥،٢٦،٧١ ، خان الخليلى ١١٨،٨٥،٥٤ ، الكرتك ٧٠،٦٤ ،

١٦١،٩٤،٥٧ ، ٥١ ، أمام العرش ٨٩،٨٨،٨٤،٧٦ .

(٤٦) خان الخليلى ١٦٨ .

(٤٧) رادوبيس ١٦٦ .

(٤٨) نفسه ٢٠٣ ، و خان الخليلى ٢٥٠ .

(٤٩) الكرتك ١١٢ .

(٥٠) رادوبيس ١١٠،٧٦ .

أو المصدر (حقاً) (٥١).

وقد يكون الرد استفهاماً جديداً من مثل : (أرأيت أنك لاتفكر في ؟ - لم ؟) (٥٢)،  
أى لم لم أفكر فيك؟ ومثل ذلك (- ولم لا ؟ (٥٣)، و (- له ؟) (٥٤)، و (- ووالدنا؟) (٥٥)،  
و(كيف ؟) (٥٦)، و(- إلى أين ؟) (٥٧).

وقد تقدر في هذا الحذف الجملة الاسمية ، من مثل :

(ألا ترى أننى نافعة دائماً؟

- دائماً ، وكنت رائعة) (٥٨) ، أى : أنت نافعة دائماً .

أو الجملة الفعلية من مثل :

(متى يجيئون يامولاي ؟

- مع المغرب) (٥٩) أى يجيئون مع المغرب

وفي الحالتين يؤخذ دليل الحذف من السياق اللغوى ، حيث تدل (أنى نافعة)  
على المحذوف (أنت نافعة) فى المثال الأول ، وكذلك جملة (يجيئون) على المحذوف  
(يجيئون) فى المثال الثانى .

كذلك حذف الجملة الاسمية التى كان المبتدأ فيها نكرة سوغ الوصف الابتداء  
بها فحذف المبتدأ والخبر وبقيت الصفة دليلاً على المحذوف فى المثال التالى (- نعم ،  
ولكن لم لا يكون لى مأوى آخر؟

فقال وهو يطرق :- لو كان آخر ماجئتنى!) أى لو كان لك مأوى آخر فحذفت  
الجملة الاسمية ولم يبق إلا صفة المبتدأ (آخر) لتدل على المحذوف .

(٥١) الكرنك ٩٨ ، ١٠٣ .

(٥٢) اللص والكلاب ٦٧ .

(٥٣) خان الخليلى ٥٥ .

(٥٤) رادوبيس ٥٥ .

(٥٥) خان الخليلى ١٩٥ .

(٥٦) رادوبيس ٧١ .

(٥٧) نفسه ٢٣٦ ، خان الخليلى ١٨٤ .

(٥٨) اللص والكلاب ٧٣ ، وانظر رادوبيس ١٧٩ ، خان الخليلى ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٩٤ .

(٥٩) نفسه ٨٦ ، وانظر أيضاً صفحات ١١٢، ١١٣ رادوبيس ١٦٥، ١٦٦ ، خان الخليلى ٥٥ ، ٨٥ ،

١١٨ ، ١٣٤ ، الكرنك ٧٣، ٧٦، ٧٩، ٩٤ ، أمام العرش ١٦٢، ٩٢، ٥٧ .

وقد يسكت المخاطب عن الإجابة لأنها لا أهمية لها في الموقف الكلامي ومن أمثلة ذلك :

(الملكة :- أغاضب أيضاً يامولاي ؟

فرعون :- كما ترين يانيتوقريس) (٦١)، أو لأن مايشغل المخاطب أهم من الإجابة ، فيرفض الإجابة المطلوبة ، ويجيب عليها بكلام آخر من مثل (وأجرى الدكتور الفحص ، فساد الصمت برهة غير قصيرة ، ثم قال بعد الانتهاء :- كلمة واحدة لأزيد عليها المصحة ! .

- ماذا به ؟

- المصحة ! (٦٢).

لقد أشار النحاة والبلاغيون إلى مثل هذه الحالات (٦٣) ، لكنهم لم يشيروا إليها كلها ولم يحددها تحديداً قاطعاً ، لأنها تختلف باختلاف السياقين اللغوي والمقامي ، وهو ما اتضح تفصيلاً فيما سبق كما أن السياقين أيضاً كانا هما الدليل على المحذوف دائماً وارتبطا بالمعنى واللفظ ، مما يشير إلى أهميتها في القول بالحدف وبتقدير المحذوف على السواء .

ثانياً : حذف المفردات :

لقد تصور النحاة العرب أن أصول الكلام جملتان ، فعل وفاعل ، ومبتدأ وخبر، (٦٤)، وتلك أركان الجملة الأساسية التي أطلق عليها سيبويه - قبل البلاغيين - المسند والمسند إليه، حيث يقول: «هذا باب المسند والمسند إليه ، وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدأ ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه وهو قرئك : عبد الله أخوك» (٦٥)، فهو هنا يشير إلى ركنين للجملة هما المسند والمسند إليه، وهذان الركنان يربط بينهما رابط هو معنى الإسناد (٦٦) .

(٦٠) اللص والكلاب ٩١ .

(٦١) رادوبيس ٢٤ .

(٦٢) خان الخليلي ٢٠٧ .

(٦٣) انظر مغني اللبيب ٦٤٥/٢ وما بعدها ، المثل السائر ٢٦٩/٢ وما بعدها، الإيضاح للقزويني

. ١٠٩

(٦٤) الأصول لابن السراج ٢٨٧/٢ ، وانظر كتاب سيبويه ٢٣/١ وهذا ما تدور حوله أقوال النحاة .

(٦٥) كتاب سيبويه ٧/١ .

(٦٦) النحو العربي ، نقد وتوجيه ٣١ .

والعنصران الأولان يعبران عن عدد من المعانى التى تمثل أفكاراً ، أما العنصر الثالث فهو يمثل العلاقة بين تلك الأفكار ، فإذا قلت : (الحصان يجرى) ففى ذهنى فكرة (الحصان) وفكرة (الجرى) ، وقد جمعت بينهما بالإثبات الذى هو (الحصان يجرى) (٦٧) ، أى أن الجملة كما تتكون من ألفاظ فإنها تعبر عن أفكار أو معان ، فإذا غاب عنصر من عناصر اللفظ ، فإنه يقدر لإتمام المعنى ، وفى كل جملة ينطقها الإنسان فائض Redundacy بمعنى أنه من الممكن حذف بعض أجزاء الكلمات أو بعض الكلمات الكاملة من الجملة دون أن يعطل ذلك مقدرة المستمع على فهم الرسالة التى تحملها الجملة (٦٨) والاستغناء عن جزء من الكلام موكول بفهم المستمع للرسالة ، فهو يستطيع أن يستكمل أركان رسالته من الألفاظ الظاهرة على السطح ، لأن الحدث اللغوى - كما يقول أولمان - بالنسبة للمتكلم هو تعبير أو وسيلة لتوصيل أفكاره أو شعوره أو رغباته (٦٩) ، والجملة لاتنتهى عند المسند والمسند إليه ، بل هناك المتعلقات أو المكملات أو الفضلات - مع اعتراضنا على مصطلح الفضلة - وهذه المتعلقات تكون المنصوبات أو المجرورات أو التوابع .

#### ١- حذف المبتدأ :

حدد النحاة حالات حذف المبتدأ وجوباً وجوازاً ، واشترطوا لذلك الدليل على المحذوف ، وينقسم الدليل عند ابن هشام إلى نوعين : أحدهما صناعى - أى نحوى - والآخر غير صناعى وينقسم إلى مقالى : وهو ما يعرف من تتابع ألفاظ الجمل ، والآخر مقامى (حالى) وهو يرتبط بالموقف الكلامى (٧٠) ، ويرتبط الدليلان الصناعى والمقالى (اللفظى) بالسياق اللغوى ، بينما يرتبط الدليل المقامى (الحالى) بالسياق غير اللغوى .

ويندرج ما جاء من حذف المبتدأ فى الروايات موضع البحث تحت الحالات التالية :

(أ) حذف المبتدأ بعد القول أو ما يشبه القول ، ومن أمثلة ذلك : (وقال المخبر بضجر ودون اكتراث : أبوك ياشاطرة ! ) (٧١) ، أى هذا أبوك ، (وقال رءوف : حكاية

(٦٧) اللغة لتدريس ١٠٤ .

(٦٨) أضواء على الدراسات اللغوية ٢٨ .

(٦٩) دور الكلمة ١٩ .

(٧٠) مغنى اللبيب ٦٠٣/٢ ، ٦٠٥ ، الكتاب ١٣٠/٢ ، مع الهوامع ٣٩/٢ ، ابن عقيل ٢٤٤/١ .

(٧١) اللص والكلاب ١٨ .

مؤسفة(٧٢) أى : هذه حكاية .

ومن أمثلة ذلك أيضاً (فأشار رشدى إلى مقبرة خشبية ذات فناء صغير .. وقال:- مقبرتنا ! ) (٧٣) أى : هذه مقبرتنا . مثل ذلك فى (الكرنك) (فنهض خالد قائلاً: - عظيم) (أى: هذا عظيم) (٧٤) . وقد كثر هذا الحذف فى (أمام العرش) بعد فعل القول من مثل (فقال الملك مينا :- عمل مجيد) (٧٥) أى : هذا عمل مجيد . وكذلك بعد ما يشبه القول من أفعال مثل : صاح ، ونادى ، وهتف ، وقرأ (٧٦) .

ويدل على المحذوف فى الأمثلة أنه أحد ركنى الجملة ولا يتم الكلام إلا به ، وقد جعل النحاة ما بعد القول جملة تامة تؤول بالمفرد ولها موقعها الإعرابى فإذا غاب أحد ركنيها قدره محذوفاً ، يقول سيبويه : وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً، (٧٧) ، وقد اعتمدوا فى تقدير المحذوف بعد فعل القول على العلامة الإعرابية والمعنى معاً ، فإذا كان المذكور مرفوعاً فالمقدر إما مبتدأ أو خبر ، وإذا كان منصوباً فلا بد أن يقدر الفعل والفاعل معاً (٧٨) وقد اعتمدنا فى تقدير المحذوف فى الأمثلة السابقة على العلامة والمعنى معاً ، وإذا كان النحاة قد لاحظوا مرادفات لفعل القول تستعمل نفس الاستعمال مثل (أوصى) ، و(أوحى) (٧٩) ، فإننا وجدنا أفعالاً أخرى فيما سبق تشبه فعل القول وإن لم ترد عند القدماء .

(ب) حذف المبتدأ فى جواب الاستفهام ، وقد كثر ذلك فى الروايات موضوع الدراسة، فقد يحذف حرف الاستفهام أو أدواته التى هى فى موقع المبتدأ ، وقد يحذف الاسم - المبتدأ - فى جواب الاستفهام أيضاً ، وكل ذلك نجده فى النص التالى :

( - تسكنين وحدك ؟ )

- شارع نجم الدين وراء قرافة باب النصر

(٧٢) نفسه ٤١ .

(٧٣) خان الخليلى ١٥٦ ، وانظر ١٠ .

(٧٤) الكرنك ١١٠ .

(٧٥) أمام العرش ١٧ ، ١٣٦ .

(٧٦) نفسه ٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ وانظر : راسوبيس ١٥ ، وخان الخليلى ٢٥ .

(٧٧) الكتاب ١/١٢٢ .

(٧٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٦٢ ، ١/٢٩٦ .

(٧٩) معاني القرآن للفراء ١/١١٠ ، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٦٤ ، ٣/٨٣ .

- رقمه ؟

- البيت الوحيد في الشارع . (٨٠).

فقد حذف حرف الاستفهام من الجملة الأولى (تسكنين) وحذف اسم الاستفهام (ما) من الجملة الثالثة (رقمه؟) ، وحذف الاسم (المبتدأ) من الجملة الأخيرة (هو البيت) ، وقبل أن يعجب المرء لهذه التلغرافية في الحوار التي تبلغ ذروة الاختصار في سؤاله (رقمه؟) ، لا بد أن يستنتج من ذلك مدى قرب البطل (سعيد مهران) من (نور) الشخصية الأخرى ، هذا القرب جعله يستغنى عن حرف الاستفهام ، كما استغنى عن غيره ، وقد فعل ذلك أيضاً في لقائه الانفعالي مع (بياضة) حيث ظن أنه يعرف مكان (عليش) ، وهذا ما يتضح في الحوار التالي : (- لأعرف ، ولأأحد يعرف ، انتقل من شقته عقب زيارتك لهم خوفاً من بطشك ، انتقل إلى روض الفرح ... - عنوانه؟) (٨١) .

ومثل ذلك ما جاء من حذف المبتدأ في مثل :

(- لا تؤاخذيني ، فما اسمك إذأ . - نوال) (٨٢) ، ومثل ذلك

(- كم عمرك يا غلام ؟ .... اثنتا عشرة كأساً) (٨٣) .

وقد حذف المبتدأ مع حرف الاستفهام في مثل ( - ما هي إلا مصادفة يامولاي - مصادفة؟) (٨٤) ، أي : أهذه مصادفة ؟ .

وقد يحتمل النص أن يكون المحذوف المبتدأ أو الخبر في مثل ( - من ؟ ) (٨٥)

أي : من الطارق ؟ .

(ج) حذف المبتدأ في الاستثناء ، وهو من المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ - كما يقول عبد القاهر - حيث يبدأون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاماً آخر ، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير المبتدأ ، (٨٦) .

(٨٠) اللص والكلاب ٧٥ ، وانظر في ذلك أيضاً ١٦٢، ١٣٦، ١٢٢، ١٢١، ٩٤، ٦٦، ٦٤، ٦٠ .

(٨١) نفسه ١٣٧ .

(٨٢) خان الخليلي ١٥٨، ١٥٧ ، وانظر ١١٩ .

(٨٣) رادوييس ١٦ ، وانظر أيضاً ٢٤٠، ١٠٢، ٨٤ .

(٨٤) نفسه ٧٢، ٣٥ .

(٨٥) نفسه ٦٨ ، ١٠٠ .

(٨٦) دلائل الإعجاز ١٤٧ .

وقد جاء حذف المبتدأ في الاستئناف كثيراً ، فقد حذف في الحوار القصير ، من مثل (- رأسى دائر منذ خرجت من السجن ، - كذاب) (٨٧) أى : أنت كذاب ومثل ذلك :

(- نحن شعب من الشحاذين

- شعب من الشحاذين) (٨٨) ، وكما حذف في الحوار الطويل من مثل : (-بنتك في الحفظ والصون ، وشرعاً يجب أن تبقى مع أمها ، بنت ستة أعوام ، ومثله في نفس الصحيفة) (لم أتركها في حاجة ، كانت لديها أموالى ، أموال طائلة) أى : هى أموال طائلة .

ومثل ذلك (- هذا رجل كما علمت .

- سعادة عجموات ، سعادة الجهل والإيمان الأعمى ، السعادة التى يعيش الطغاة بفضل تملكها رقاب البلهاء) (٩٠) .

كما حذف أيضاً في الحوار الداخلى (المونولوج) ، ومن أمثلة ذلك (- ولم يكن فيما مضى إلا محرراً بمجلة النذير ، مجلة منزوية بشارع محمد على) (٩١) .

وكذلك حذف في السرد فى مثل (ومضى إلى حجرة الجلوس فاستلقى على كنبه ، وحيد بكل معنى الكلمة) (٩٢) .

بل إن هذا النوع من الحذف قد كثر فى السرد بشكل ملحوظ . ومن أمثاله (لا يخلو من لذة ، لذة دفينه) (٩٣) ، وكان الصباح ندياً رطيباً .... منظر تطمئن النفوس إليه) (٩٤) .

وهذا يجعلنا نفترض أنه يرتبط بطول الكلام ، فهو يتدرج فى تصاعد كمي من الحوار القصير إلى الحوار الطويل ، الذى يقاس بطول الكلام للمتحدث الواحد ، إلى السرد وهو ما يناسب الاستئناف .

(٨٧) اللص والكلاب ٥٦ ، وانظر أيضاً ١١، ٥٩، ٦١، ٦٥، ٨٦، ٩٢، ٩٦، ١٢١، ١٣٥، ١٣٧ .

(٨٨) خان الخليلى ٨١ .

(٨٩) اللص والكلاب ١٥ ، وانظر أيضاً : ص ٨٧ ، ٩٩ ، ١٥٤ .

(٩٠) خان الخليلى ٦٨ .

(٩١) اللص والكلاب ٣٦ ، وانظر أيضاً ٣٤، ٣٥، ٤٢، ٤٩، ٨٢، ١٠٧، ١١٤، ١٤٢، ١٥٣ .

(٩٢) نفسه ١٠١ ، وانظر ٢٣ ، ٢٤ ، ١٠٠ ، ١١٩ ، ١٥١ .

(٩٣) خان الخليلى ١٤٢ .

(٩٤) نفسه ١٥٢ ، وانظر أيضاً : رابوييس ٤٠ ، أمام العرش ١٢ ، الكرنك ٣ .

وقد حذف المبتدأ في غير ذلك ، ولاضابط لحذفه إلا فهمه من السياقين اللغوي والمقامي ، وتلافي التكرار الذي لافائدة فيه (٩٥) .

## ٢- حذف الخبر :

يحذف الخبر وجوباً في حالات حددها النحاة في كتبهم ، ويحذف جوازاً إذا دل عليه دليل من السياقين اللغوي والمقامي ، وهو ما يهتما في هذه الدراسة .

وقد جاء حذف الخبر جوازاً استغناء بدلالة السياق ووضوح المعنى المقصود في الحوار ، من مثل : «سمعت أن الجنود يملأون مخارج القاهرة ، كأنك أول قاتل ... الجرائد ... الحرب الخفية!»، (٩٦) أى : الجرائد تكتب ، الحرب شنت .

كما جاء في الحوار الداخلي (المونولوج) أيضاً في مثل : «وكان الزمان ممن يستمعون لك ، الشعب السرقة ... النار المقدسة ... الثروة ... الجوع ... العدالة المذهلة»، (٩٧) .

وقد حذف الخبر في السرد كذلك في مثل (وصار دأبه بعد ذلك نذ النساء ورميهن بكل نقيصة ، فهن حيوانات ماكرة ... إنهن أجساد بلا روح ، وهن ... ، وهن ...) (٩٨) .

وفي هذه الأمثلة يتضح لنا أنه قد أمكن الاستغناء بكلمة واحدة وهي «المبتدأ» عن ذكر الخبر وهو المتم الفائدة كما يقول النحاة ، لأن تلك الفائدة يمكن استنتاجها عقلاً فلا حاجة لذكرها ، ونحن نتكلف كثيراً في تقدير المحذوف .

أما الظاهرة الملفتة للنظر في حذف الخبر عنده فهي وجود الجملة التي تبدأ باسم إشارة يتبعه اسم معرفة ، وفي بعض تلك الجمل نقطع بحذف الخبر ، من مثل : «هذه الطرقات المثقلة بالشمس ، وهذه السيارات المجنونة ، والعابرون والجالسون والبيوت والدكاكين ، ولاشقة تفتقر عن ابتسامه» (٩٩) ، وقد جاء ذلك في المونولوج كما في المثال ، وجاء أيضاً في الحوار (١٠٠) ، ونستطيع في مواضع أخرى أن نعد ما بعد

(٩٥) انظر رابوييس ١٣، ٦٨، ٥٩، ١٠٥، خان الخليلي ١٠، ٢١٨، ١٥٩، الكرتك ١٦، ١٨، ٤٠ .

(٩٦) اللص والكلاب ١٣٤ ، وانظر أيضاً ١٢٢، ١٣٦، ١٧١، ١٧٩ .

(٩٧) نفسه ١٢٥ وانظر ص ٢٨ .

(٩٨) خان الخليلي ٢٨ .

(٩٩) اللص والكلاب ١٢٨ .

(١٠٠) نفسه ٧ ، ٨ .



اسم الإشارة الخير ، من مثل : «وهذه الدكاكين التى تشرئب منها الرءوس كالفيران المتوجسة» (١٠١) ، فالاسم بعد اسم الإشارة «الدكاكين» يمكن أن نعهده الخبر ويمكن أن نعهده بدلا من اسم الإشارة والخبر محذوف ، وتظهر هنا أهمية ضمير الفصل الذى يستعمل لتمحيص هذا الاسم للخبرية ، ولو قال «وهذه هى الدكاكين .. إلخ» لكانت «الدكاكين» هى الخير .

وقد جاء كذلك حذف المبتدأ أو الخبر مع النواسخ ، فمن ذلك حذف اسم (ليس) فى جواب الاستفهام ، ... من مثل :

(- من يأتى تستقر ؟

- ليس على سطح هذه الأرض) (١٠٢) ، أى ليس استقرارى على هذه الأرض ويشبه ذلك إلى حد كبير ويكاد أن يكون جواباً للاستفهام أيضاً :

(- أنت تريد بيتاً ليس إلا ..

- ليس بيتاً فحسب) (١٠٣) ، أى : ليس ما أريده بيتاً فحسب .

ومثل ذلك حذف اسم (كن) فى (- كم كان عزيزاً لدى) (١٠٤) . والمقدر هنا يفسره السياق اللغوى السابق .

وقد حذفنا (كان) واسمها أيضاً فى مثل (- أين كنتم بإجماعة ؟ ... - فى نزهة ..) (١٠٥) أى : كنا فى نزهة .

كذلك جاء حذف خبر (لكن) فى مثل (بخير ، وأنت ؟ صحتك عال لكن عينيك ؟) (١٠٦) ، أى ليست كذلك .

وقد حذف خبرها أيضاً ، وعوض عنه بجملة طلبية ، فى (ولكن نور ، هل عادت ؟) (١٠٧) .

(١٠١) نفسه ، انظر ٢٥ ، ٤٤ .

(١٠٢) نفسه ١٠ ، وانظر ٢٤ .

(١٠٣) نفسه ١٦٧ .

(١٠٤) رادوييس ٤٧ ، ويفهم من السياق اللغوى أنه (صندلها) الضائع .

(١٠٥) الكرنك ٢٣ .

(١٠٦) اللص والكلاب ٢٨ ، وانظر : خان الخليلى ٦٤ .

(١٠٧) نفسه ٦٦ .

كما حُذِفَ خبر (لعل) هرباً من التكرار في (- لعلها الأحداث قد هزتها - لعلها..)(١٠٨) .

كما حُذِفَ خبر (لا) النافية للجنس ، في مثل : «لا فائدة، ولا شيء»(١٠٩) .

### ٣- حذف الفاعل أو نائبه :

لا يحذف الفاعل ولانائبه ولا مشبهه - عند ابن هشام - لأن هذه الاسماء كالجزء من الفعل (١١٠)، وقد ذهب الكسائي إلى جواز ذلك ورجحه السهيلي وابن مضاء ، ولم يأت حذف للفاعل ، ولكن جاء الاستتار مع الاعتماد على السياق في فهم ذلك الفاعل المستتر ، ونجد أفعالاً فاعلها ضمير مستتر لا يعود على اسم سابق له ، في مثل : (مرة أخرى يتنفس الحرية) وهي أول جملة في (اللس والكلاب) ، كذلك «سواها لم يجد في انتظاره أحداً»(١١٢) .

وقد يظهر الضمير المتصل (الفاعل) لكنه لا يعود على مذكور قبله ، في مثل : (وقبل ذلك بعام خرجت من العطفة تحمل دقيق العيد)(١١٣) ، وقد يأتي الضمير المجرور أو المنصوب أيضاً دون أن يعود على مذكور قبله من مثل : «وفي انتظاره بدلته الزرقاء»(١١٤)، كل هذه الضمائر لا تعود على مذكور من قبل ، لكن القارئ يعرف من أول وهلة أن هذه الضمائر كلها إنما تعود على بطل الرواية الذي لم يذكر اسمه إلا حين يناديه أحد الناس بعد ذلك «ببياضة»(١١٥) ، أما إذا كان في الأمر لبس ويصعب تحديد الفاعل ، فإنه يظهر ليرفع ذلك اللبس ، وقد حدث ذلك عند لقاء سعيد مسهران بالشيخ : «وأغمض الشيخ عينيه فكأنه نام»(١١٦) ، ولو لم يظهر الضمير «هو» لظن أن فاعل «ألف» الشيخ، وإذا كان قد أصر ذكر الفاعل (البطل) فإنه يفعل ذلك أيضاً مع غيره ، فهو لا يذكر اسم الشخصية بل يتحدث عنها ثم يذكر الاسم على لسان

(١٠٨) الكرت ٧٣ .

(١٠٩) اللص والكلاب ١٦٠ ، وانظر : رادوييس ٢٣٢ .

(١١٠) مغني اللبيب ٦٠٨/٢ .

(١١١) همع الهوامع ١/١٦٠ (السعادة) عن ظاهرة الحذف : طاهر سليمان حمودة ، ص ١٢١ .

(١١٢) اللص والكلاب ٧ ، وانظر ٢٣ ، ٣٤ ، ٦٩ ، ٩٦ .

(١١٣) نفسه ٩ .

(١١٤) نفسه ٧ ، ونجد ذلك دأبه ومنه ما جاء في ص ٢٤ (حدجه بعين .. إلخ) ، انظر علي التوالي

نفس المصدر ٦٩،٥٦ .

(١١٥) نفسه ١٠ .

(١١٦) نفسه ٢٩ ، وانظر أيضاً ٤٣ .

الآخر بالطبع (١١٧)، وقد يبني الفعل للمجهول ، فيحذف الفاعل لينوب عنه المفعول (١١٨).

وهذه الوسائل كلها من إضمار الفاعل أو تأخيره أو عود الضمير على متأخر في الذكر ، إنما هي وسائل تشويق استخدمها الأديب ببراعة فائقة .  
٤- حذف الفعل :

قد يحذف الفعل وحده أو مع الفاعل وجوباً أو جوازاً ، وحذف الفعل مع فاعله وإن كان حذف جملة ، إلا أننا سندرسه هنا لأنه يبقى من الجملة المنصوب دليلاً عليه فلم تحذف الجملة كلها (١١٩).

ومن حذف الفعل وجوباً حذف عامل المفعول المطلق ، أو المصدر النائب عن فعله ، ومن أمثله ( - حمداً لله على سلامتك ) (١٢٠) ، وقد كثر هذا الحذف ووضح في ألفاظ كثيرة الاستعمال مثل (حقاً ، طبعاً ، سمعاً وطاعةً ، أهلاً وسهلاً ، شكراً) وغير ذلك كثير (١٢١) ، وهي ألفاظ محفوظة تقال كما هي ، يدخل فيها ألفاظ للأمر أو التحية ، أو الموافقة ، أو الوعيد ، ويعربها النحاة مفعولات مطلقة لأفعال محذوفة وجوباً ، أو كما يقولون : مصادر نائية عن أفعالها ، ولا يظهر الفعل قبل هذه الألفاظ ، وقد ظهر قليلاً في هذه الروايات من مثل (فشربوا جميعاً هنيئاً) ، (وأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً) ، (وأقدم المعذرة والأسف) (١٢٢).

أما عن حذف الفعل جوازاً فهو كثير ، وقد جاء بعد فعل القول وما في معناه ، ومن أمثلة ذلك (قال بهدوء - سيجارة من فضلك) (١٢٣) ، وعندما اعترض شخصان طريق سعيد مهران (قال أحدهما بلهجة ريفية ممدنة : قف .... ، وهتف الآخر : بطاقة الشخصية) (١٢٤) ، أى : أخرج بطاقة الشخصية .

(١١٧) نفسه ٢٥،١٠ .

(١١٨) نفسه ١٣ ، ١٤ ، ٧٧ .

(١١٩) انظر : ظاهرة الحذف ٢٢٥ .

(١٢٠) اللص والكلاب ١٣ ، وانظر ١٥،٩٨،٦٦،٨٥،١١١،١٥٧ .

(١٢١) راجع رابوييس ٤٤،٢٨،٢٨ ، خان الخليلي ٤١،٥ ، الكرنك ٩٢،٨٩،٩٨ ، أمام العرش ١٩٤،٩٧،٧٥ .

(١٢٢) رابوييس ٤٨ ، خان الخليلي ١١٦ ، أمام العرش ٢٦ .

(١٢٣) خان الخليلي ١٣٨ .

(١٢٤) اللص والكلاب ١٦٠ ، وانظر ١٤٦،٧٠،٤٨ .

وقد حذف فعل القول أيضاً ، في مثل (ثم وهو يحدثه بنظرة باسمه :- لآحرب الآن!) (١٢٥) ، أى : ثم قال وفعل القول يحذف للتكرار ولكثرة الاستعمال ويفهم من السياق .

وللهرب من التكرار أيضاً يحذف الفعل في العطف ، وقد قال النحاة بتقدير الفعل وهو مفهوم من السياق ، ومن أمثلة ذلك (آن للغضب أن ينفجر وأن يحرق ، وللخونة أن يياسوا من الموت) (١٢٦) ، أى : وأن للخونة ، ومثل ذلك (أما تسمع شيئاً ؟ فأجاب أحمد : بلى أزيز طيارات ..) (١٢٧) ، أى : أسمع أزيز طيارات .

وقد حذف الفعل في الاستفهام في مثل (فقال المخبر بضجر : ادخلوا في الموضوع واعفونا من اللف ... فتساءل سعيد بسخرية خفية : من أى ناحية ؟) (١٢٨) أى : ندخل من أى ناحية ؟ .

وكذلك حذف الفعل في جواب الاستفهام ، من مثل (ياخبر ! متى خرجت من السجن ؟ - أول أمس) (١٢٩) ، أى : خرجت أول أمس .

ويسهم سياق الحال في توصيل المعنى المراد بعد الحذف ، وهو يقوم دليلاً على المحذوف ، في مثل (- تعال إلى الدكان لنشرب الشربات ! فقال بهدوء : فيما بعد ، عند العودة) (١٣٠) ، أى نشرب فيما بعد .

وقد يكون الموقف سبباً للحذف كأن يحدث ما يقطع الكلام مثل (ورجاؤه في الأقراص الألمانية ، ولن ... ولم يتم أحمد راشد كلامه ، فقد قطعه درى طلاقة شديدة) (١٣١) ، ومثل ذلك الحذف في أسلوب التحذير للانفعال من مثل (- الهدوء ... ياهوه ! .. للغرزة آدابها) (١٣٢) ، ويرسم الكاتب الموقف الكلامي رسماً جيداً يجعلنا نستعيض به عن المحذوف .

(١٢٥) نفسه ٤٣ ، وانظر ٧٤، ١١٥، ٨٨ .

(١٢٦) نفسه ٨ ، وانظر ٢٤ ، ١٤٩ .

(١٢٧) خان الخليفي ٢٧ وانظر : الكرنك ٤٥ ، أمام العرش ٨ .

(١٢٨) اللص والكلاب ١٤ ، وانظر أيضا ؟ ، الكرنك ١٠١، ٦٦ ، الكرنك ١١٨، ١٨ .

(١٢٩) نفسه ٧٣ ، وانظر ٧٦ خان الخليفي ١٩١ ، أمام العرش ١٤٥ .

(١٣٠) نفسه ١١ .

(١٣١) خان الخليفي ٧٠ .

(١٣٢) نفسه ١٧٨ ، أمام العرش ١٩٣ .

وتنفرد رواية (أمام العرش) - نظراً لاختلاف شكلها الروائي - بظاهرة فريدة هي تكرار حذف الفعل أو المبتدأ تكراراً نمطياً في أول كل فصل بعد فعل من الأفعال المرادفة لفعل القول وهي الأفعال : نادى ، وهتف ، وصاح (١٣٣)، ومثل ذلك أيضاً حذف الفعل بعد القول قبل الجار والمجرور المتعلق به في نهايات كثير من الفصول مثل (إلى مجلسك بين الخالدين) (١٣٤) ، وقد ظهر الفعل مرات من مثل (أذهب إلى مجلسك بين الخالدين) ، (أذهبوا بُني مقام التافهين) (١٣٥)، وهو دليل من السياق اللغوي على الفعل المحذوف .

#### ٥- حذف المفعول :

أركان الجملة الأساسية عند النحاة هي المسند والمسند إليه ، أو الفعل والفاعل في الجملة الفعلية ، والمبتدأ والخبر في الجملة الاسمية ، أما ما يأتي بعد ذلك فهو فضله يمكن الاستغناء عنه ، ومن هنا لم يشترط النحاة الدليل لحذف تلك الفضلات إلا ابن جني ، وقد عرف البلاغيون العلاقة بين الفعل والمفعول به لذا فالفعل هو الدليل على المحذوف ، ولم يجز النحاة حذف المفعول به إذا أخل ذلك بالمعنى المراد ، وقد قسم النحاة المفعول المحذوف إلى نوعين :

أحدهما : أن يحذف المفعول لفظاً ويراد معنى وتقديراً وهو ماسمى «الحذف اختصاراً» ، حيث يراد المحذوف لأن في الكلام دليلاً عليه .

والآخر : أن يجعل بعد الحذف نسياً منسياً ، كأن فعله من جنس الأفعال اللازمة ، فهو لا يراد ولا دليل عليه (١٣٦) .

ولم يأت من النوع الأول «الحذف اختصاراً» مما حدده النحاة إلا الحذف بعد فعل المشيئة ، وجاء ذلك في مواضع منها :

(- امكث طول العمر إن شئت) (١٣٧) ، أي إن شئت المكوث ، وقد دل السياق اللغوي على المحذوف ، ولم يذكر هزياً من التكرار .

(١٣٣) انظر : أمام العرش ١٩٠، ١٩٠، ٢٣٠، ٢٣٠ وغيرها .

(١٣٤) نفسه ٨٢ وانظر ٦٤، ٦٦، ٩٧ وغيرها .

(١٣٥) نفسه ١٠٤ ، ١٠٦ .

(١٣٦) انظر رسالتنا للماجستير بعنوان «قضايا المفعول عند النحاة العرب» ص ٣١٤ ، ومابعدا .

(١٣٧) اللص والكلاب ٩٦ ، ١٦٩ .

ومن أمثلة ذلك أيضاً (- مولاى ، إن الناس كالسفينة الضالة بلاسكان ، تحملها الرياح كيفما تشاء) (١٣٨) .

وقد حذف مفعول فعل الإرادة في مثل (وقالت أريد...)(١٣٩) ، أى أريد قبلة ، وقد حذف المفعول هنا لتشويق المخاطب إلى معرفة المحذوف وهو مفهوم من السياق اللغوى فقد ذكرت حروف الكلمة مقطعة قبل هذا الكلام ، ومثل ذلك (فكيف إذا أريد ، ولا أستطيع نيل ما أريد ؟) (١٤٠) ، فقد حذف المفعول بعد (أريد) الأولى للتنازع وهرباً من التكرار ، والتقدير (فكيف إذا أريد نيل ما أريد ، ولا أستطيع نيل ما أريد) ، ولو قيل هكذا لكان كلاماً مملأً لافائدة وراءه ، وحذف بعد (ما أريد) الثانية عائد الصلة وهذا الحذف كثير لطول جملة الصلة .

ومثل ذلك حذف مفعول الاستطاعة من مثل (حسبك أن تتصور إن استطعت...)(١٤١) .

ومثل هذا النوع الثانى وهو الحذف اقتصاراً، فقد كثر فى الرواية ، وفيه يقتصر المتكلم على إثبات معنى الفعل للفاعل من غير أن يتعرض لذكر المفعول ، فيكون الفعل المتعدى كاللزام ، ومن أمثلة عبد القاهر على ذلك قول الله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر ٩ ، فالمعنى : هل يستوى من له علم ومن لا علم له ؟ من غير أن يقصد النص على معلوم (١٤٢) .

وقد جاء من ذلك الحذف بعد فعل العلم أو المعرفة ، من مثل : «إنه وحيد حيال الجميع ولكنهم لا يعلمون» (١٤٣) ، ومثل ذلك الحذف بعد الأفعال (رأى) البصرية ، و(نظر) وقد تكرر كثيراً (١٤٤) ، وكذلك الأفعال (سمع) و (استمع) و (تعى) (١٤٥) ، والأفعال (درى) ، و(أحب) ، و(خاف) ، و(أبان) (١٤٦) ، وكلها ، أفعال ترتبط بالحواس

(١٣٨) راويبيس ١٨١ .

(١٣٩) خان الخليلى ٣٥ .

(١٤٠) راويبيس ٢٤ .

(١٤١) الكرنك ٣٦ ، ٧٧ ، راويبيس ١٧٧ .

(١٤٢) دلائل الإعجاز ١٥٤ .

(١٤٣) اللص والكلاب ١١٠ ، ١٣٧ ، ١٣٦ .

(١٤٤) انظر : راويبيس ١٢٧ ، ٦٣ ، ٤٠ ، خان الخليلى ٥٦ ، ٢٥٨ .

(١٤٥) انظر : راويبيس ١٧٧ ، ١٢٦ ، ٤٠ .

(١٤٦) نفسه ٧٤ ، ١٥٩ ، خان الخليلى ٣٤ ، ١٤٦ .

مثل العلم والمعرفة ، وتتعدى إلى مفعول واحد هو المحذوف في الأمثلة المشار إليها .  
وقد جاء هذا الحذف أيضاً بعد الأفعال التي تدل على العموم مثل (فعلت) ،  
(عملت) ، من مثل (استدعاني الملك وأمرني أن أصنع كتاباً أجمع فيه مختارات من  
وصاياي ففعلت ... ) (١٤٧) أى : فعلت ما أمرني به ، وقد دل السياق اللغوي على  
المحذوف، ومثل ذلك (علينا أن نعمل ... ) (١٤٨) ، وقد جمع بين الحذف بعد فعل  
المشبهة وبعد أفعال كثيرة تدل على العموم في المثال التالي (متى يدين له عرش النفوذ  
اللانهاى ، فيأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء ويبعث بمن يشاء ، فيرفع ويخفض ويغنى  
وبفقر ويحيى ويميت ؟) (١٤٩) .

كما جاءت أمثلة كثيرة حُذِفَ منها المفعول ولا دليل عليه إلا تعدى الفعل ، إلا  
أن الفعل لو تعدى فإنه لا يتعدى إلا إلى ذلك المفعول المقدر الذي لا يفهم غيره في  
التقدير ، وهذا النوع هو ما أشار إليه عبد القاهر في القسم الثاني عنده حيث يكون  
للفعل مفعول مقصود إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه، حين يقول : «هو أن  
يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده قد علم أنه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول  
سواه ، بدليل الحال أو ما سبق من الكلام ، إلا أنك تطرحه وتتناساه وتدعه يلزم ضمير  
النفس ، (١٥٠) ، وعبد القاهر هنا يشير إلى السياقين : اللغوي وغير اللغوي (الحالي) .

والأمثلة على هذا النوع كثيرة منها ما كان الفعل - وحده - فيها دليلاً على  
المحذوف ، مثل : «علم أنكم تترقبون» ، «أركب ..» ، «كل ..» (١٥١) ، ومنها ما  
كان الفعل وسياق الحال فيها دليلاً على المحذوف ، ففي موضع من (اللص والكلاب)  
تكرر الأفعال «خذ مصحفاً وقرأ» ، «توضأ وقرأ» أكثر من مرة (١٥٢) ، ثم يذكر  
المفعول بعد ذلك «توضأ وقرأ (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (١٥٣) ،  
وقد يدل سياق الحال - أو الموقف - وحده على المحذوف في مثل وأخذ نفساً قصيراً  
كالخائف ونونو يهتف به : (شد .. شد) (١٥٤) ، حيث يدور الكلام في القهوة مع من  
يدخن لأول مرة .

(١٤٧) أمام العرش ٢٠ ، الكرتك ٨٩ ، ٩٢ .

(١٤٨) الكرتك ٧٤ .

(١٤٩) خان الخليبي ٢٠ .

(١٥٠) دلائل الإعجاز ١٥٦ .

(١٥١) اللص والكلاب صفحات ١١ ، ٢٨ ، ٤٥ ، علي التوالي ، وانظر أيضاً ٧٩،٧٨،٧٠،٥٤،٤٥ .  
وغيرها كثير .

(١٥٢) نفسه ، صفحات ٢٠ ، ٢٢ .

(١٥٣) نفسه ٢٢ ، وهي الآية ٢١ من سورة آل عمران .

(١٥٤) خان الخليبي ١٧٦ .

وكما يحذف المفعول الواحد فقد حُذِفَ المفعولان أيضاً فحذف مفعولا ظن في قوله :

١- هل تدري زوجتك أين أنت ؟

- لا أظن .. !

- هل أنت ذاهب إلى بيتك ؟

- لا أظن .. (١٥٥) .

وأكثر النحويين على جواز حذف مفعولى ظن معاً ، سواء أكان اختصاراً أم اقتصاراً (١٥٦) ، كما هو في المثال ، وحذف أحد المفعولين في المثال التالي :

وسألوا رءوف علوان فأجاب أن سعيد .. (١٥٧) ، فقد حُذِفَ المفعول الثانى لسأل (وهو الجار والمجرور - عن كذا) كما حذف المفعول الأول لأجاب ، أى فأجابهم ، وقد دل على هذا المفعول المذكور فى «سألوا» ، مما قد يدرجها فى مسائل التنازع الذى يأتى فيه الحذف هرباً من التكرار .

وقد حذف المضاف المنصوب فى قوله : «ولا تنسى الجرائد» (١٥٨) ، ، أى : إحصار الجرائد ، كما حذف المجرور كذلك فى «استقطرها من جو الذكريات والأب والأمل والسماء» (١٥٩) ، ومثل ذلك ( - لذلك لم تتعرض لك مجلة بسوء - حتى (المطرقة) (١٦٠) أى حتى مجلة المطرقة .

وقد دل على ذلك سياق الحال فى المثال الأول ، وجوز العطف الحذف فى المثال الثانى هرباً من التكرار .

٦- بقية المنصوبات :

- المفعول المطلق :

هناك مواضع يمكن تقدير المفعول المطلق فيها ، وإن كان الغرض من المفعول

---

(١٥٥) اللص والكلاب ٧٤ ، وانظر : الكرنك ٨٠ .

(١٥٦) قضايا المفعول به ٣٢٣ .

(١٥٧) اللص والكلاب ١٥٠ .

(١٥٨) نفسه ١٠١ .

(١٥٩) نفسه ٢٥ .

(١٦٠) الكرنك ٨ ، وذلك إذا جعلنا (حتى) حرف جر ، أما إذا جعلناها حرف عطف فالمضاف المحذوف مرفوع .



المطلق التأكيد ، وهو يليق بمواقف الإطناب والإسهاب<sup>(١٦١)</sup> ، ومن هذه المواضع :  
 - أس زرت عطفة الصيرفي فوجدت مخبراً في انتظاري كما توقعت ،  
 وأنكرتني ابتنى وصرخت في وجهي<sup>(١٦٢)</sup> ، فيمكن تقدير صرخة .

المثال الثاني : - كذاب لاتحاول خداعي ، أنت تتوهم أنني صرت واحداً من الأغنياء الذين كنت أحمل عليهم ، وعلى هذا الأساس أردت أن تعاملني<sup>(١٦٣)</sup> ، أي معاملتهم .

وقد يحذف المفعول المطلق وتنوب عنه صفته في مثل (لم يكن يحتمل الجمود طويلاً)<sup>(١٦٤)</sup> ، أي : احتمالاً طويلاً .

- التمييز :

كذلك حذف التمييز اعتماداً على السياق ، في قوله : هي - مثله - في الثلاثين ولكنها تكذب علنا لتبدو أصغر أي : أصغر<sup>(١٦٥)</sup> سناً أو أصغر منه ، فيكون المحذوف الجار والمجرور .

٧- حذف المجرورات :

وكما حذفت المنصوبات فقد حذفتم المجرورات أيضاً ، فحذف المضاف إليه ، فقد جاء الظرف وحذف ما يضاف إليه في مثل : وجاء صوت من وراء يقول...<sup>(١٦٦)</sup> ، أي : من ورائه ومثل ذلك حذفه بعد غير في ( - هذا غير .. )<sup>(١٦٧)</sup> ، كما حذف الجار والمجرور معاً في كثير من المواضع ، قد يدل الفعل على المحذوف ، في مثل دعه يدخل ، تفضلوا...<sup>(١٦٨)</sup> ، أي : بالدخول ، أو اسم الفاعل ، أنا ذاهب<sup>(١٦٩)</sup> ، أي : إلى كذا ، أو المصدر لم أتركها في حاجة<sup>(١٧٠)</sup> ، أي : إلى شيء

(١٦١) الخصائص ١/١٢٦ ، معني اللبيب ٢/٦٠٨ .

(١٦٢) اللص والكلاب ٤٠ .

(١٦٣) نفسه ٥٦ .

(١٦٤) خان الخليلي ٦ .

(١٦٥) اللص والكلاب ١٠١ ، وقد حذف المجرور أيضاً ، انظر ص ١٦، ١٢ .

(١٦٦) نفسه ١٠ ، وانظر ١٠٨ .

(١٦٧) الكرنك ٦٧ .

(١٦٨) اللص والكلاب ١٣ وانظر ص ١١٣، ١٢٨، ١٥٩، ومثله ( - تفضلاً ) خان الخليلي ٨٩ .

(١٦٩) نفسه ١١٨ .

(١٧٠) نفسه ١٥ .

والدليل هنا هو المصدر «حاجة» ، الذي يتضمن معنى الفعل «يحتاج» ، وهو بدوره يتعدى بحرف الجر «إلى» ، وقد حذف المجرور وحده في مثل ، «وتساءل عن ..» (١٧١) ، و«- إذاً ستعود إلى ..» (١٧٢) ، «- الحق أنى لا أتصور أنك مستمرة في ..» (١٧٣) ، يفهم المحذوف في الأمثلة من السياقين اللغوي والمقامي .

#### ٨- حذف التوابع :

كذلك حذفت التوابع ، فقد حذف المعطوف عليه ، في مثل :

« - هل تذكرني ؟ فغمغم الشيخ دون مبالاة : - ولك الساعة التي أنت فيها» (١٧٤) ، ، وما أجاز الحذف هنا ، هو أن الشيخ لم يرد عليه رداً مباشراً ، ولم يقل له «لم أتذكرك» ، ولكنه رد معناه «إنى لا أتذكرك كما لا أتذكر الماضي» .

ومن ذلك أيضاً : «قلت لنفسى إذا كان الله قد مد له العمر فسأجد الباب مفتوحاً..»

قال الشيخ بهدوء : «باب السماء ، كيف وجدته ؟» (١٧٥) ، أى : «ها أنت قد وجدت بابى مفتوحاً فكيف وجدت باب السماء .»

وقد حذفت الصفة (النعته) في قول رءوف علوان له : «يخيل إلى أن النساء أكثر عدداً من الرجال ، فلا تكثرث لخيانة امرأة ، أما ابنتك فستعرفك يوماً وتحبك ، المهم الآن أن تبحث لك عن عمل» (١٧٦) ، فإشارة رءوف إلى العمل تعنى أنه يقصد عملاً شريفاً وهذا نفهمه من سياق الحال والظروف التي لا يعرفها إلا من عرف ما فعله سعيد مهران من قبل ، وقد دل على المحذوف التصريح به في موضع آخر ، وذلك يتضح في :

« - إذن على أن أختار عملاً حقيراً ؟

- لا عمل حقير على الإطلاق مادام شريفاً» (١٧٧) .

(١٧١) نفسه ١٨٠ .

(١٧٢) خان الخليلي ١١٠ .

(١٧٣) الكرتك ١٠٢ .

(١٧٤) اللص والكلاب ٢٦ .

(١٧٥) نفسه ٢٧ .

(١٧٦) نفسه ٤٥ ، وانظر في حذف الصفة أيضاً ٥٧ ، ٩١ ، ١٤٤ .

(١٧٧) نفسه ٤٧ ، وانظر : رادربيس ١٠ ، ١١ .

وكما حذفت الصفة فقد حذف الموصوف أيضاً مرفوعاً ومنصوباً ودل عليه سياق الحال في مثل (ووضعت قدمها في إحدى زوجي صندلها ، ولكنها لم تجد الأخرى ، وبحثت عنها طويلاً ، ثم سألت : - أين الأخرى ؟ (١٧٨) ، والموصوفات المحذوفة على التوالي تتضح في التقديرات التالية (لم تجد الفردة الأخرى) ، (وبحثت عنها زمناً طويلاً) ، (وأين الفردة الأخرى ؟) ويدل سياق الحال على المحذوف .

وقد عدل عن استخدام التوكيد فحذف المفعول المطلق كما أوضحنا ، ونجده يعدل عن التوكيد أيضاً في قوله : (ولما لم يعد بينه وبين بدء الطريق إلا متر ، اندفع سعيد ..) (١٧٩) ، (وكان من الممكن أن يؤكد فيقول : إلا متر واحداً ، لكنه يلجأ إلى الإيجاز دائماً ، والإيجاز يتنافى مع التوكيد كما قلنا آنفاً .

وقد حذف البديل أيضاً للاستغناء عن ذكره ولأنه مفهوم من الكلام من مثل (ولكن اذهب توأ إلى الدكتور (...)) (١٨٠) ومثل ذلك ( - حدثني عن موقفك من سياسة الملك ..) (١٨١) ، ومثل ذلك ( - سترى أنه قريب الشبه بجده محتمساوف الأول - ما أجمل هذا) (١٨٢) .

أى : ما أجمل هذا الأمر وفي ذلك يفهم المحذوف من السياق اللغوي والمقامى .

#### ٩- حذف الأدوات :

يبقى بعد ذلك حذف الأدوات ، وقد حذف حرف الجر في سياق العطف ، في مثل : «كتبت الجريدة في إسهاب مثير عن تاريخه في اللصوصية ، وسلسلة المغامرات التي كشفت عنها محاكمته ، وقصور الأغنياء التي سطا عليها ، وعن شخصيته ، وجنونه الخفى وجرأته الإجرامية التي انتهت إلى سفك الدماء» (١٨٣) ، وما أجاز ذلك هو العطف ووضوح المعنى المراد .

كما حذفت أدوات النداء لقرب المنادى فلا حاجة عندئذ لاستخدام الأدوات التي لا تستخدم إلا لتبنيه المخاطب ، وقد جاء ذلك كثيراً في (رادوبيس) ، وتكرر في ( -

(١٧٨) رادوبيس ٤٣ ، وانظر ٥٢ .

(١٧٩) اللص والكلاب ١٣٥ .

(١٨٠) خان الخليلي ١٩٠ .

(١٨١) أمام العرش ١٣ .

(١٨٢) رادوبيس ٨ .

(١٨٣) اللص والكلاب ١٠٩ ، وانظر : ١١٠ .

مولاي ، - مولاتي ، - معبودتي ، - رادوبيس(١٨٤) ، فحذف لقرب المخاطب ،  
ومثله ( - نوال ) ، ( - أخی ) (١٨٥) ، ومثل ذلك ( وثالث قال بنبرة مسالمة : - سعيد ،  
أنت قادم من السجن والعاقل من اعظه ، (١٨٦) .

وحذفت أدوات الاستفهام ، وقد مثلنا لحذف الاسم فيما سبق ، ومن أمثله أيضاً:  
- حذف «أين» : «وسأل بصوته غليظ النبرات : الأستاذ رءوف علوان ؟» (١٨٧) ،  
أى : أين .

- حذف «كيف» : «- وبقيّة الجدعان ؟

- بخير» (١٨٨) ، أى : كيف ، ودل على المحذوف الجار والمجرور (بخير) الذى  
هو الحال فى المعنى ، ومثّر ذلك :

(- وكيف وجدتمّ المقام الجديد ؟ ...

- انتظر حتى تراه بنفسك .

- والجيران !؟ (١٨٩) .

- حذف «ما» : وقد مثلنا لذلك فيما سبق (١٩٠) .

وقد حذف حرف الاستفهام أيضاً ، ومن أمثله :

« - تعالى إلى بيتى ..

- تسكنين وحدك ؟» (١٩١) .

ودليل الحذف هنا هو سياق الحال ، وقد وضعت فى الكتابة علامة الاستفهام  
لتبدل على أن الكلام استفهام ، ولو كان الكلام منطوقاً لدل التنغيم على ذلك ، وقد  
حذف حرف العطف كثيراً ، وإن قل حذفه فى الحوار ، فى مثل : «- أبى كان

---

(١٨٤) رادوبيس ١٦، ٢٨، ٦٤، وغيرها ، أمام العرش ٣٤ .

(١٨٥) خان الخليلى ٢٢٧ ، ١٦٨ ، وانظر انكرتك ٩٧ .

(١٨٦) اللص والكلاب ١٢ ، وانظر أيضاً ٤٦، ٤٦، ٨٨، ١٤٣، ١٦٦ .

(١٨٧) نفسه ٣٥ .

(١٨٨) نفسه ٦٠ .

(١٨٩) خان الخليلى ١١١ وانظر ١٠٨ .

(١٩٠) اللص والكلاب ٧٥ والمثال هو : «- شارع نجم الدين وراء قرافة باب النصر ...

رقمه ؟ » أى : مارقمه .

(١٩١) نفسه ٧٤ ، وانظر أيضاً ٦٤، ٦٥ ، وخن خليلى ٧٠، ٩١، ١٠٩ .

يفهمك، كم أعرضت عنى حتى خلتك تطردنى طرداً،<sup>(١٩٢)</sup> ، وكثر في السرد والمونولوج ، حيث نجد جملاً كثيرة تتابع بغير عاطف ، ومن أمثلة ذلك في السرد، حذف حرف العطف فيما يلي : «دفع باب مسكن الشيخ فأطاع دون مقاومة ، دخل ورده وراءه ، وجد نفسه في الحوش غير المسقوف»<sup>(١٩٣)</sup> .

ومن أمثلة ذلك في المونولوج : «الصوت الذى سمعه لم يكن صوت عlish سدره ، الصوت الذى سمعه لم يكن صوت نبوية ، الجسم الذى سقط كان جسم شعبان حسين العامل بمحل الخردوات بشارع محمد على ، سعيد مهران جاء ليقفل زوجته وصاحبه القديم فقتل الساكن الجديد شعبان حسين»<sup>(١٩٤)</sup> .

وعلى حين قد حذف حرف العطف في هذه المواضع ، نجده يزيده في قوله : «وأن القيم الزائفة حقاً فهي التى تقدر حياتك بالملايم»<sup>(١٩٥)</sup> ، وهذه مسألة تحتاج إلى بحث آخر لا أظن أن هذا موضعه .

وأخيراً ، فإننا نستطيع أن نخلص من هذا البحث بالنتائج التالى :

١- أن تقدير المحذوف في كثير من حالاته لم يكن تعسفاً من النحاة ، بخاصة تلك الحالات التى لا يرتبط فيها تقدير المحذوف بتبرير العلامة الإعرابية ، وأكثر ما قدرناه من هذا النوع .

٢- أن السياقين اللغوى وغير اللغوى قد أسهما في تقدير تلك المحذوفات وهما يرتبطان باللفظ والمعنى معاً ، وقد عرف النحاة أهميتها وعدوها أدلة على المحذوف أو قرائن تدل عليه ، وكان للسياقين أهميتهما فى تحديد المحذوف ، وقد رسم الكاتب الموقف الكلامى ببراعة حيث كان تعويضاً عن المحذوف ، وكان من عناصره المقاطعات التى كانت تقطع الحديث فتحذف أجزاء منه<sup>(١٩٦)</sup> ، وكذلك الهتافات وصيحات الانفعال<sup>(١٩٧)</sup> ، ثم ما كان من حذف الأشياء المستهجنة أو

(١٩٢) نفسه ٣٧ .

(١٩٣) نفسه ٨٢ ، وانظر أيضاً ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٣٦، ٦٩، ٧٠ .

(١٩٤) نفسه ٩٠ ، وانظر أيضاً ٣٣، ٣٤، ٧٨، ٨٠، ٩١، ٩٢، ١٢٨ .

(١٩٥) نفسه ١٥٣ .

(١٩٦) ومن أمثلة ذلك إلي جانب ما قدمنا (وما زالت تدور بالحجرات ، وتطوف بالحديقة حتى فقاطعها بحدّة : - أين سيدتك ؟) رابوييس ٢٣٠ .

(١٩٧) ومن أمثلته (واحدة سادة .. شاي أخضر .. تعميره علي الجزيرة) ، خان الخليلي ٢٦ .

مايمكن أن نطلق عليها (التابو) من مثل (الشتم) في (الله يخرب بيتك ويحرق قلبك ياابن ...)(١٩٨) ، والجنس(١٩٩) ، والمرض (٢٠٠).

٣- يمكننا بعد ذلك وضع فرض علمي لايحققه إلا دراسة إحصائية لكل روايات نجيب محفوظ وهو أن الحذف تناسب كمياً وبترتيب تصاعدي من السرد إلى المونولوج إلى الحوار فالحوار الاستفهامي فارتبط في ذلك كله بطول الجملة والوقت الذي يستغرقه الكلام ، فمن المعروف أن السرد يكتب على مهل يليه في ذلك المونولوج الذي هو حوار داخلي بين المرء ونفسه ، ثم الحوار الاستفهامي الذي لا يقصد منه إلا الإجابة عن المطلوب بأقل الكلمات وطرح الأسئلة أيضاً شفوية بغير استفاضة ، وكان الكاتب طبيعياً في محاوراته بحيث ارتبط الحذف بمعرفة المخاطبين بالجزء المحذوف وهو ما يعنى زيادة المحذوف بزيادة المعرفة بين المخاطبين(٢٠١).

---

(١٩٨) خان الخليلى ١٢ .

(١٩٩) ومن أمثلة ذلك (ـ ألم تسمع عنها بعد ؟ إنها امرأة هائلة وظيفتها الرسمية (زوج عباس شقة) أما تذكره ؟ أما بيتها فيستقبل كل مساء جمهرة أرباب البيوت بهذا الحي ، فسامها المعلم رفته القهوجي (معشوقة الأزواج) ... ـ أتعني ؟... ـ نعم ـ وعباس شقة؟ ـ زوج رسمي ) خان الخليلى ٩٦ .

(٢٠٠) ومن أمثلة ذلك (ولم يكف عني .. ولم يتم جملته ، فأدرك أخوه أنه أمسك حذراً عن ذكر «السعال» خان الخليلى ٢١٣ .

(٢٠١) ومن أمثلة ذلك ما كان من حذف في حوار سعيد مهران بطل اللص والكلاب وعشيقته (نور) ، وكذلك حوار مع صديقه (بيباظة) وقد تقدمت تلك الأمثلة .

## المصادر والمراجع

أولاً : المصادر : (روايات نجيب محفوظ) .

١- رادوبيس ، مكتبة مصر (١٩٤٣ م) .

٢- خان الخليلي ، مكتبة مصر (١٩٤٦ م) .

٣- اللص والكلاب ، مكتبة مصر (١٩٦١ م) .

٤- الكرنك ، مكتبة مصر (١٩٧٤ م) .

٥- أمام العرش ، مكتبة مصر (١٩٨٣ م) .

ثانياً : المراجع العربية والمترجمة :

١- ابن الأثير ، المعث السائر ، تحقيق أحمد الحوفى ، وبدوى طبانة ، نهضة مصر ، ط٢ ، (د.ت) .

٢- أحمد مختار عمر (دكتور) :

- علم الدلالة ، دار العروبة ، الكويت ١٩٨٢ م .

٣- الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت٢١١ هـ-) :

- معانى القرآن ، تحقيق د. فائز فارس الحمد ، الكويت ١٩٧٩ ط١ .

٤- أولمان (ستيفن) :

- دور الكلمة فى اللغة ، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب ١٩٨٨ .

٥- البياقلانى ، إعجاز القرآن ، على هامش الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى طبعة البابى الحلبي (د.ت) .

٦- بالمر (ف. ر) :

- علم الدلالة (إطار جديد) ، ترجمة د. صبرى إبراهيم السيد، قطرى بن الفجاءة ، الدوحة، قطر ١٩٨٦ م .

٧- ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير ، تحقيق محمود محمد نصار ، مكتبة التراث الإسلامى (د.ت) .

- ٨- الجرجاني ( عبد القاهر بن عبد الرحمن ٤٧٤ هـ ) :  
- دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، الخانجي ١٩٨٤ م .
- ٩- الجرجاني ( علي بن عبد العزيز ) :  
- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق هاشم الشاذلي ، دار تحقيق التراث ( د.ت ) .
- ١٠- ابن جنى ( أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ ) :  
- الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ( د.ت ) .
- ١١- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني :  
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله أحمد ، ود. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦ ، م ط ٣ .
- ١٢- الزجاج ( أبو إسحاق إبراهيم ابن السرى ت ٣١١ هـ ) :  
- معانى القرآن وإعرابه ، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ( ١٩٨٨ ) .
- ١٣- ابن السراج ( ابو بكر محمد بن السرى ت ٣١٦ هـ ) :  
- الأصول فى النحو تحقيق عبد الحسين الفتلى ، الرسالة ١٩٨٥ م ط ١ .
- ١٤- سيبويه ( أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ ) :  
- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة العامة للكتاب ٦٦ - ١٩٧٧ م .
- ١٥- السيوطى ( جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ ) :  
- همع الهوامع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، وعبد السلام هارون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ٧٧ - ١٩٨٠ م .
- ١٦- طاهر سليمان حمودة ( دكتور ) :  
- ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى ، الدار الجامعية ١٩٨٢ م .
- ١٧- عبد القادر حسين ( دكتور )  
- فن البلاغة مكتبة الآداب ( د.ت ) .



- ١٨- عبده الراجحي (دكتور) :  
- النحو العربي والدرس الحديث ، النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ م .
- ١٩- أبو عبيدة (معمربن المثنى ت ٢١٠ هـ) :  
- مجاز القرآن ، تحقيق د. محمد فؤاد سركين ، الخانجي ١٩٥٥ - ١٩٦٢ .
- ٢٠- العسكري (أبو هلال) :  
- كتاب الصناعتين ، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٤ م  
ط ٢ .
- ٢١- ابن عقيل (بهاء الدين عبدالله بن عقيل ت ٧٦٩ هـ) :  
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، دار  
التراث ١٩٨٠ م ط ٢٠ .
- ٢٢- على النجدى ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، نهضة مصر (د.ت) .
- ٢٣- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ) :  
- معانى القرآن تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار ، الهيئة المصرية  
العامة للكتاب ١٩٨٠ م ) .
- ٢٤- فندريس (ج) :  
- اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ، ومحمد القصاص ، الأنجلو ١٩٥٠ م .
- ٢٥- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى ت ٢٧٦ هـ) :  
- تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت ط ٣ /  
١٩٨١ .
- ٢٦- قدامة بن جعفر :  
- نقد الشعر تحقيق د. عبد المنعم خفاجى ، الكليات الأزهرية ١٩٨٠ م .
- ٢٧- القزوينى (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن) :  
- الإيضاح ، مطبعة محمد على صبيح ١٩٨٢ م .
- ٢٨- كمال محمد بشر (دكتور) :  
- دراسات فى علم اللغة ، دار المعارف ، ١٩٧١ م . ط ٢ .

٢٩- المبرد

- البلاغة ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، دار الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٥ .

٣٠- محمد أحمد خضير :

- قضايا المفعول به عند النحاة العرب ، ماجستير بآداب القاهرة ١٩٨٧ م .

٣١- محمود السمران (دكتور) :

- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) ، دار المعارف ١٩٦١ م .

٣٢- مهدي المخزومي (دكتور) :

- النحو العربي ، نقد وتوجيه ، دار الرائد العربي ، بيروت ط٢ ، ١٤٠٦ هـ /

١٩٨٦ م .

٣٣- نايف خرما (دكتور) :

- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت سبتمبر

١٩٧٨ م رقم ٩ .

٣٤- النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨ هـ) :

- إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازي زاهد ، عالم الكتب والنهضة العربية ١٩٨٥ م

ط٢ .

٣٥- ابن هشام (جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري ت ٧٦١ هـ) :

- مغنى اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة

محمد علي صبيح (د.ت) .

٣٦- ابن وهب الكاتب (أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان) :

- البرهان في وجوه البيان ، تحقيق حفنى محمد شرف ، مكتبة الشباب ١٩٦٩ م .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

Lyons, John :

- Semantics, Cambridge University Press , 1977 .

## الفصل الخامس

التقديم والتأخير في «حديث الأربعاء»



## الفصل الخامس التقديم والتأخير في «حديث الأربعاء»

### تمهيد

التقديم والتأخير من المباحث المطروقة في القديم والحديث ؛ وقد تناوله النحاة في أبواب متفرقة من كتبهم عند دراستهم للمبتدأ والخبر والنواسخ والفاعل كما تناول البلاغيون أهمية التقديم وأغراضه التي فصلها عبد القاهر في «دلائل الإعجاز» ، معتمداً في البداية على قول سيبويه ، «كأنهم إنما يقدرّون الذي بيانه أهم لهم وهم يبيانه أعنى» ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم (١) ، ثم زادها السكاكي والقزويني وغيرهما تفصيلاً من بعده (٢)

ولقد حرص ابن السراج (ت ٣١٦هـ) على أفراد باب من كتابه (الأصول في النحو) للتقديم والتأخير (٣) ، وكذلك فعل ابن جنى في (الخصائص) (٤) .

أما المحدثون فقد اهتموا بالتقديم والتأخير أيضاً من الوجهة النحوية فيما عُرِف عند التحويليين بقواعد إعادة الترتيب ، فكل لغة ترتبها الخاص ولكن المهم هو أن نعرف الترتيب في البنية العميقة أولاً ، ثم نبحث عن القوانين التي تحكم تحول هذا الترتيب إلى أنماط مختلفة في الكلام الفعلي على السطح (٥) . واهتم به كذلك نقاد الأدب فيما عُرِف بعلم الأسلوب ، وجاء ذلك في أبواب من كتبهم أو في أبحاث مستقلة (٦) .

(١) الكتاب : ٣٤/١ .

(٢) راجع دلائل الإعجاز ١٠٧ وما بعدها ، مفتاح العلوم ١١١ ، الإيضاح للقزويني ١٦٦ ، المثل السائر ٢١١/٢ .

(٣) راجع : الأصول في النحو ٢٢٢/٢ وما بعدها .

(٤) الخصائص ٢٨٢/٢ وما بعدها .

(٥) النحو العربي والدرس الحديث ١٥٤ .

(٦) من ذلك : من أسرار اللغة / د. إبراهيم أنيس ، واللغة العربية معناها ومبناها . / د. تمام

حسان ، ونظرية اللغة في النقد العربي / د. عبد الحكيم راضي ، والبلاغة والأسلوبية / د.

محمد عبد المطلب ، ومقالة بعنوان (الترتيب في الجملة الاسمية) / د. علي عبد العزيز سفر/ مجلة

رسالة المشرق .

كما تناولت بعض الدراسات أسلوب طه حسين ، ومن أهمها دراسة للدكتور البدرأوى زهران ، ودراسة الماجستير التي تقدم بها إسماعيل يونس إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة ، بإشراف الدكتور محمود فهمي حجازي ، ويفيد بحثنا هذا من هذه الدراسات إفادة مباشرة أو غير مباشرة .

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أنماط الجملة من حيث التقديم والتأخير في الكتابة العلمية عند طه حسين متخذاً من حديث الأربعاء ، نموذجاً ، محاولاً تأصيل تلك الأنماط ، ومعرفة مافيهما من تجديد إسهاماً في الوصول إلى إبراز التمايز الأسلوبى لطه حسين في كتابته العلمية .

وسيتبين البحث ذلك في الجملة الفعلية أولاً ، ثم في الجملة الاسمية ، فالجملة الشرطية ، ثم يتعرض للاعتراض والفصل في الجملتين على اعتبار أنهما من أنماط التقديم والتأخير .

### أولاً : التقديم والتأخير في الجملة الفعلية :

حدد النحاة ترتيباً أصلياً للجملة الفعلية ، حيث تبدأ بالفعل فالفاعل فالمفعول به ، كما حددوا الحالات التي يجب فيها المحافظة على الترتيب والحالات التي يجب فيها مخالفتها ، والحالات التي يجوز فيها الأمران ، كما حددوا ترتيباً للمنصوبات الأخرى (٧) .

وقد جاءت أنماط مختلفة للجملة الفعلية في حديث الأربعاء (٨) نعرضها فيما يلي :

#### ١- أنماط المحافظة على الرتبة (الترتيب الأصلي) :

قد تتكون الجملة في هذا الترتيب من الفعل والفاعل والمفعول به ، ويكون الفاعل ضميراً متصلاً أو اسماً ظاهراً من مثل : (تضيعون وقتكم ووقتنا - ١٠/١) ، (فحاور امرؤ القيس عشيقاته ، وحاور ابن أبي ربيعة أجدانه ، وحاور جميل بثينة ، وحاور كثير عزة ، وحاور ابن ذريح لبني - ٢٣٣/١) ، و(جمعت هذين الشاعرين ٢٢٦/٢) ، (فصلنا القول ١٢٨/٢) .

(٧) راجع : الكتاب ٥٨٠/١ المتقضب ١٠٢/٤ ، الجمل ١٠ ، شرح الكافية للرضي ٧١/١ وما بعده ،

شرح ابن عقيل ٩٦/٢ ، مع الهوامع ٢٥٩/٢ ، شرح الأشموني ٢١٢/١ وما بعدها .

(٨) سنضع الأمثلة المأخوذة من «حديث الأربعاء» بين قوسين ونشير إلي الجزء والصفحة داخل

الأقواس حتي لا تتضخم الهوامش بغير فائدة .

وقد يكون الفاعل ضميراً مستتراً من مثل (لا يطيق حديثاً - ١٢/١) ، و(كما يفرض نفسه عليك ٥٥/١) ، و(يحب الحرية ٩٨/٣) .

وقد تتكون الجملة من فعل وفاعل ومفعول به ومنصوب آخر ، ومن ذلك :

- فعل + فاعل + مفعول به + مفعول مطلق مثل (أحب قصيدة طرفة حباً - ٥٦/١) (لعقرت هذه الناقة عقراً - ٥٨/١) ، و(اغتصبوها اغتصاباً - ١٣٩/٢) ، و(يمثل نفسه تمثيلاً - ١٤٤/٢) ، و(نقفوا عقولهم تنقيفاً ٩٧/٣) ، ودرست الآداب العربية القديمة درساً ٤١/٣) .

- فعل + فاعل + مفعول به + مفعول له مثل (وإنما ترك البصرة فراراً من أميرها - ١٩٢/٢) .

- فعل + فاعل + مفعول به + (مفعول فيه (ظرف) مثل فقدت استقلالها ألقى عام ٩٨/٣) ، و(لم تنس استقلالها يوماً - ٩٨/٣) .

- فعل + فاعل + مفعول به + تمييز مثل (ملأ نفسه إعجاباً وملأ نفوس قومه إعجاباً - ٦١/١) .

وقد تبدأ الجملة بفعل يتعدى إلى مفعولين ، فيحافظ الكاتب على ترتيبهما سواء كان المفعولان مما أصلهما المبتدأ والخبر مثل :

(فجعلتها يسيرة - ١٤/٢) ، و(تجعلنى رجلاً ٥٦/١) ، و(يتخذ الغزل صنيعة - ١٧/٢) ، و(يتخذ الشعر وسيلة - ١٤٤/٢) ، و(يروئنى شاقاً - ٥٦/١) ، و(وقد رآهم يتملقون - ١٤٤/٢) ، و(يراهم خطراً - ٤١/٣) ، و(هبه قد وجد حقاً - ٢٣٥/١) ، و(هبها ماتت حقاً - ٩٩/٣) ، و(أظنه تكرر مائة مرة - ٤٢/٣) ، (نجده مستأثراً - ٢٣٢/١) ، و(يصور ناقته قائمة ٥٩/١) ، و(يصورها متحركة - ٥٩/١) و(اصطنعوا الفرنسية لغة ٣٣/٣) ، و(الفلعان (صور) ، و(اصطنع يدخلان في أفعال التحويل وإن كان استعمالهما في القديم قد يكون نادراً) .

أو كان المفعولان مما ليس أصلهما المبتدأ والخبر من مثل (اخترت موضوعاً - ٥٥/١) ، و(لم أمنحه قصيدة لبيد ٦٥/١) ، و(ويمنحه مثل - ٥٦/١) ، و(يلقبونه وضاح اليمن ٢٣٣/١) ، و(تكلفوننا ضروباً من الجهد - ١٠/١) .

وما نلاحظه من الجمل السابقة هو أن الفاعل إما أن يكون ضميراً متصلاً أو مستتراً ، وقد يكون ذلك للتخفيف من طول الجملة بعد إضافة هذه المنصوبات إليها وقد ساعده على ذلك السياق حيث يعرف الفاعل منه .

## ٢- الأنماط المخالفة للترتيب الأصلي :

### أ - تقديم المفعول به على الفاعل :

قال ابن جنى إن «الأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكره فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضوع له ، حتى إنه إذا أخرج فموضعه التقديم ، (٩) ، وقال أيضاً إن «المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل ، حتى دعا ذلك أبا علي إلى أن قال : إن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه ، كما أن تقدم الفاعل قسم أيضاً قائم برأسه ، وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً (١٠) .

فتقديم المفعول به على الفاعل إذن شائع كثير حتى إنه يكاد يكون تقديمه وتأخيره سواء ، فلا يسأل عن سبب تقدمه على الفاعل ، ولكن الشرط الوحيد عند النحاة هو أمن اللبس ، أو بمعنى آخر أن يعرف الفاعل من المفعول به (١١) . وهي قاعدة عامة في ترتيب كلمات الجملة ، مما جعل الفراء يقول إن «العرب تضع الحرف (الكلمة) في غير موضعه إذا كان المعنى معروفاً (١٢) .

وقد جاء في حديث الأربعاء ، نمطان لتقدم المفعول به على الفاعل ، تكرر أحدهما كثيراً وهو : فعل + مفعول به (ضمير متصل) + فاعل (اسم ظاهر) من مثل (يصيبها المطر - ٢٠/١) ، و(يتعهدا البستاني ١٥/١) ، و(غطاه العشب - ٢٤/١) و(الجاهليون - ١٥/٢) ، و(فأغضبه هذا النقد - ١٢٥/٣) ، و(لا تمنعه فلسفته - ١٢٦/٣) .

أما النمط الآخر ففيه يكون المفعول به اسماً ظاهراً والفاعل مصدرأ مؤولاً ، وهو قليل من مثل (وبلغ الوليد أنها مغضبة - ١٤٦/٢) ، ومثله - وإن كان الفعل متعدياً إلى مفعولين (وزاده حرصاً على الزلة وتأثراً بالغيرة ما يرى من تمنع صاحبته وتجنيتها - ٢٤/١) ، إذا جعلنا (ما) مصدرية لاموصولة .

(٩) الخصائص : ٢٩٧/١ .

(١٠) نفسه : ٢٩٥/١ .

(١١) راجع : شرح ابن عقيل ٩٩/٢ ، وراجع أيضاً : المقتضب ٩٥/٣ ، شرح المفصل لابن يعين

٧٢/١ ، شرح الأشموني ٣١٣/١ .

(١٢) معاني القرآن للفراء ٢٧٢/٣ ، ٢٧٣ .



ب - تقديم المفعول به على الفعل والفاعل :

مما قال النحاة بوجوب تقديمه في ذلك الاسماء التي لها الصدارة مثل اسماء الاستفهام ، والشرط ، فإذا كان المفعول به من هذه الاسماء فإنه يجب أن يتقدم على الفعل والفاعل معاً (١٣) .

وقد جاء هذا النمط في حديث الأريعاء ، وإن كان قليلاً ، حيث تقدم اسم الاستفهام على الفعل والفاعل في مثل (وأى أثر تريد أن تتركه ٥٧/١) و(ماذا تفكرون من أمر عنتره - ١٤٥/١) .

ج - تقدم المنصوبات الأخرى :

من ذلك تقدم ما له الصدارة سواء كان حالاً تقدمت على الفعل والفاعل مثل (فكيف تريدوننا على أن نجد في هذا الشعر القديم - ١٠/١) ، و(وكيف تستطيع أن تفهم - ٥٨/١) ، و(فكيف يستقيم للشاعر أن يكون - ٥٨/١) ، و(كيف تقف الشاعر أمامك ٦٠/١) و(فاسمع له كيف يقول - ٦٣/١) أو كان المقدم ظرفاً من مثل (ومتى ماتت هذه الأمة ؟ - ١٤٢/٢) .

ومن ذلك تقدم الحال من غير ما له الصدارة على المفعول به ، من مثل (وكان أبو عمرو بن العلاء يروى كارهاً جرير - ٦/٢) ، و(فلا بأس بأن نقبل باسمين ما يروى - ١٤٥/١) .

ولقد اختلف النحاة حول تقدم الحال على عاملها ، أو على صاحبها (١٤) ، وجعل ابن جنى تقدم الحال على عاملها وعلى صاحبها قياسياً ، ومثل لذلك بـ (جاء ضاحكاً زيد ، وضاحكاً جاء زيد (١٥) ، لكن النحاة لم يمنعوا تقدم الحال على المفعول به كما جاء في هذا النمط .

ثانياً : التقديم والتأخير في الجملة الاسمية :

مما نلاحظه في أسلوب طه حسين ميله إلى استعمال الجملة الاسمية ، حتى تبدو بعضها وكأنها متحولة عن الجملة الفعلية ، ولو وقفنا عند جمل مثل (فألفاظ ضخمة تنبؤ عنها أذنه - ١١/١) لقلنا : لماذا لم تكن (تنبؤ أذنه عن ألفاظ ضخمة) ، ومثل

(١٣) راجع : المقتصد ٣٣٥/١ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٦٢٧/٢ شرح ابن عقيل ٢٩٧/٢ شرح الأشموني ٣١٢/١ .

(١٤) راجع : شرح الكافية للرضي ٢٠٤/١ وما بعدها ، وشرح ابن عقيل ٢٧٠/٢ .

(١٥) الخصائص ٢٨٣/٢ .

ذلك (وهم يتخذون هذا وسيلة - ٥٩/١) ، لماذا لم تكن (ويتخذون هذا وسيلة) ، وقد يكون هذا هو المستوى العميق الذى تحول عنه النمط ، ولكن ليس من حقنا أن نجعل الجملة الفعلية هي المستوى العميق لكل أنماط الجمل العربية ، ونبحث مثل هذه الجمل على أنها جمل فعلية فى عمقها تحولت إلى أنماط الجملة الاسمية عن طريق قواعد إعادة الترتيب التى قال بها التحويليون ، بل الجملة الاسمية قسم قائم برأسه ، وهو ماسنطرح أنماط التقديم والتأخير فيه فيما يلى :

### ١- أنماط الجملة الاسمية الابتدائية :

الأصل أن يتقدم المبتدأ على الخبر ، ويجب المحافظة على هذا الترتيب فى حالات ، كما يجب مخالفته فى حالات ، ويجوز الأمران فى غير ذلك ، وهو مفصل عند النحاة (١٦) .

وقد جاء من ذلك أنماط فى حديث الأربعاء، نعرضها فيما يلى :

أ - تقدم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ النكرة حيث لامسوخ للابتداء بالنكرة ولا تقديم الخبر شبه الجملة ، وفى ذلك يقول ابن عقيل إن النحاة العرب قد أجمعوا على منع تقديم المبتدأ فى هذه الحالة (١٧) .

مما جاء فى حديث الأربعاء، من ذلك (له بالشعر علم - ٥٦/١) ، و(قله عشيقتان - ٢٣٤/١) ، و(ثم للوليد جد - ١٤٦/١) ، و(قلويد شخصيتان ١٤٧/٢) ، و(التى لها حظ - ٦/٢) ، و(له حظ من الفن ٦٢/١) و(ما فيه جلال ومهابة - ١٤٥/٢) .

ب - فإذا وجد مسوخ آخر يجوز تقديم الخبر شبه الجملة ، ويجوز تأخيره (١٨) ، وهو ما ينطبق على النمط الثانى ، ومن أمثله (وإنما هناك شعر قديم - ١٨/١) ، و(فهناك قوم آخرون - ٦٣/١) ، و(لهم قينة جميلة - ٦٢/١) ، و(وفى تصوير هذه القينة ... جمال بدوى - ٦٣/١) . فقد تقدم الخبر وهو ظرف أو جار ومجرور على المبتدأ الموصوف والوصف مسوخ للابتداء بالنكرة ، فيجوز حينئذ تقديم الخبر وتأخيره .

(١٦) راجع : الكتاب ١٢٧/٢ ، المقتضب ١٢٧/٤ ، الخصائص ٢٨٢/٢ ، الإنصاف ٦٥/١ ، المسألة

التاسعة ، شرح ابن عقيل ٢٢٧/١ ، وما بعدها ، شرح الكافية للرضي ٨٨/١ وما بعدها ، همع الهوامع ٣٢/٢ وما بعدها .

(١٧) شرح ابن عقيل ٢٤٠/١ .

(١٨) نفس المرجع والصفحة .

ج - تقدم الخبر (شبه الجملة) على المبتدأ المعرفة سواء كانت تلك المعرفة اسماً صريحاً مثل : (ومن هؤلاء الشعراء كثير - ١٧/٢) ، (وفيه مع ذلك الشعر ٢٢/١) و(فمن ذلك حياة قيس بن الملوح وليلاه ، ومن ذلك هذه الأخبار - ١٧/٢) ، (وفيه مع ذلك الشعر ٢٢/١) ، (وعليها الخيام - ٢٢/١) ، (ولكل هذا نفعه - ٢٧٢/١) ، (ولهم شخصياتهم - ٢٣٢/١) ، (على رأسهم أبو نواس ٨/٢) ، (و منها السياسي ، ومنها العصبى ، ومنها المبالغات العامية ٢٣٧/١) ، (ومثل ذلك ( وكذلك شأن الانتقام - ١٤٢/٢) إذا اعتبرنا الكاف حرف جر ، فإذا كانت اسماً بمعنى (مثل) فإنها تكون هي واسم الإشارة بعدها خبراً مقدماً أيضاً ؛ لأنها أقل تعريفاً مما بعدها .

أو كان المبتدأ مصدراً مؤولاً من مثل (فمن أيسر الأشياء أن نقف عند هذا الجزء - ٦١/١) ، (من الخير أن نهتم بهذه الحضارة الإسلامية ٢٣٣/١) .

على أن طه حسين أحب وأغرم بتقديم الجار والمجرور ، وجاء المبتدأ مصدراً مؤولاً مكوناً من (أن) و(اسمها) ، و(خبرها) كثيراً مثل (ومن الظاهر أن الجاهليين لم يعرفوا - ١٦/٢) و(وفى الحق أن هذا الفن الجديد كان مختلفاً - ١٦/٢) و(ومن آية ذلك أنك تستطيع - ٥٩/١) .

وقد يكون المبتدأ والخبر معرفتين فيؤخر المصدر المؤول ، كما فى قوله (وأكبر ظنى ياسيدى أنه لم يحفل بالناقة - ٥٨/١ ، ٥٩) ، وفى هذا النمط يمكن أن نعد الجملة على ترتيبها الأسمى ، حيث المبتدأ والخبر معرفتان ، أو أن نعد المصدر المؤول من (أنه لم يحفل) هو المبتدأ، والأولى المحافظة على الترتيب حيث لاضرورة للقول بالتقديم والتأخير .

وقد يكون المؤخر على الجار المجرور (الخبر) اسماً موصولاً من مثل (فمنا من يؤثر هذا الشعور - ٤/٢) ، (ولك من الوقت ماتشاء - ٥٧/١) ، (فمنهم من يزعم ... ومنهم من يزعم ... ومنهم من يحاول - ٢٣٣/١) .

د - تقديم الخبر إذا كان لفظة (سواء) على المبتدأ إذا كان مصدراً متصيذاً ، وأوضح الأمثلة على ذلك الآيتان الكريمتان ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة البقرة : الآية ٦) ، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (سورة الشعراء : الآية ١٣٦) وغيرها .

وقد جاء من ذلك في حديث الأربعاء،(سواء أوجهت إليه أم إلى غيره -  
(٦١/١)

على أن الجديد عند طه حسين هو مجيء المبتدأ المؤخر اسماً صريحاً من  
مثل (سواء منهم أبناء الجيل الواحد والذين اختلفوا جيلاً وعصراً -٧/٢) ، (وسواء  
في ذلك منهم البادون والحاضرون -٢٣٤/١) ، وقد يعد المبتدأ المؤخر في  
الجملة من جملة اسمية مكونة من جار ومجرور (منهم) خبر مقدم واسم  
صريح مبتدأ مؤخر ، ومع ذلك فطه حسين في هذا النمط متأثر بالقرآن الكريم  
بقوله تعالى ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ (سورة الرعد : الآية ١٠)  
وإن كان المبتدأ في الآية اسماً موصولاً .

هـ - تقدم الخبر (الوصف) على المبتدأ (الضمير المنفصل) في مثل (أوافق أنت -  
١٢٨/٣) ، وقد أجاز البصريون ذلك ما لم يحدث ضرر ، ونقل عن الكوفيين  
أنهم منعوا ذلك ، وقال ابن عقيل إنه لا مانع من هذا التقديم (١٩) .

٢- الجملة الاسمية المنسوخة :

أ - المنسوخة بكان أو إحدى أخواتها :

- تقدم الخبر على الاسم :

أجاز النحاة تقدم الخبر على الاسم (٢٠)، واختلفوا في تقدم خبر (ليس) و  
(مادام) على اسمها ، والصحيح - كما يقول ابن عقيل - جواز تقدم الخبر (٢١) ، وقد  
جاءت أنماط في حديث الأربعاء تعرضها فيما يلي :

تقدم الخبر شبه الجملة على الاسم ؛ وقد يكون ذلك وجوباً أو جوازاً فتقدم خبر  
(كان) على اسمها وجوباً في مثل (كان لها نصيب من الأدب ٣/٢) ، (وأن يكون  
لليمانية شعراء ٢٣٥/١) و (يكون لهم بالشعر علم ٥٦/١) ، (ولا يكون له من الهجر به  
- ٢٢/١) ، و (كانت بينهما دعابة ٢٣٨/١) ، و (وكان بين هذين الرجلين المتناقضين  
شعراء ١٧/٢) ، و (وكانت حول الغلام خصومة ٢٣٤/١) ، (وأن تكون هناك ضحايا  
١٣٩/٢) ، و (فكانت بينه وبين عمه صفاتين ١٤٠/٢) .

(١٩) راجع الكتاب ١٢٧/٢ ، المقتضب ١٢٧/٤ ، شرح ابن عقيل ٢٢٨/١ ، ٢٢٩ .

(٢٠) راجع : الكتاب ٤٥/١ وما بعدها ، المقتضب ٨٧/٤ ، ٨٩ .

(٢١) راجع الكتاب : ٦٤/١ ، ٦٥ ، المقتضب ١٩٤/٤ ، ١٩٥ . الخصائص ٢٨٢/٢ ، ٢٨٣ ،

الإنصاف ٦٩/١ شرح ابن عقيل ٢٧٢/١ ، وما بعدها ، مع الهوامع ٨٧/٢ ، ٨٨ .

وتقدم خبر (ليس) في مثل ( ليس لها حل ، وليس منها مخلص ٧/٢ ) و ( ليس إلى وصالهما سبيل ١٨/٢ ) ، و ( ليس في هذا الموقف شيء ١٨/٢ ) و ( ليس في شفائها أمل ، ولا إلى إنقاذه منها سبيل ١٢/١ ) ، و ( ليس في هذا شك ٥/٢ ) وغير ذلك :

وتقدم خبر (أصبح) من مثل ( فلم يصبح لنا فيه أرب ١٧/١ ) .

وتقدم خبر كان ، جوازاً في مثل ( وكان هناك شعراء آخرون ١٦/٢ ) ( ولم يكن أمام الشعراء مثال أدبي ١٢/٢ ) ، و ( كان هناك دين جديد ١٥/٢ ) ، و ( لقد يكون من العسير تعليل هذا ١٨/٢ ) ، و ( قد يكون فيه الشكوى ، وقد يكون فيه الوداع ٢٢/١ ) ، ولم يكن من العسير جداً تفسير هاتين الظاهرتين ١٠/٢ ) .

ومثل ذلك تقدم الخبر شبه الجملة على الاسم المصدر المؤول ، وجاء ذلك مع ( كان ) من مثل ( ولقد يكون من الخير أن نعرف العلة ٨/٢ ) ، و ( فكان من المعقول أن يتحقق التناسب ٩/٢ ) ، و ( فلم يكن من اليسير على اليمانية أن تحتمل هذا ٢٣٧/١ ) ، و ( كان من الخير أن نلاحظ ١٨/٢ ) و ( كان من الحق أن نحتاط ١٣٩/٣ ) و ( فما كان له أن يتكلف ١٤٤/٢ ) .

كما جاء مع ( ليس ) مثل : ( فليس عسير أن ننكر - ٢٣٣/١ ) ( ٢٢ ) ، و ( ليس من اليسير (إذن أن نعطي ١٤٣/١ ) ، و ( ليس عليك إلا أن تنظر في كتب الأدب ٧/٢ ) .

كما جاء ذلك مع (أصبح) من مثل : ( حتى أصبح من العسير عليك وعلى أمثالك أن تجدوا - ١٥/١ ) .

على أن طه حسين جاء بنمط لم نعهده في النصوص العربية ؛ وفيه يتقدم خبر (كان) أو (ليس) ، وهو جملة فعلية فاعله اسم ظاهر ، على اسمها ، ومن أمثلة ذلك ( لم يكن يذهب إليه الشعراء الأولون ٢٣٥/١ ) ، و ( التي كان يتغنى بها الجنود - ٣٦/١ ) و ( نوعان من الشعر لم يكن قد ألفهما الجاهليون - ١٥/٢ ) و ( ربما كان يأتي هو ، وبما كان يأتي أباه - ١٤١/٢ ) و ( ليست تستقيم لهم جميعاً هذه خلال ٥٥/١ ) .

لقد قال النحاة بوجوب تقديم المبتدأ على الخبر ، إذا كان الخبر جملة فعلية فاعلها ضمير مستتر من مثل ( زيد قام ) ؛ لأن عكس ذلك يحول الجملة الاسمية إلى

(٢٢) هكذا في طبعة الكتاب والصحيح أنها : فليس عسيراً أن ننكر ، ولعله خطأ في الطباعة ، لان (عسيراً) نكرة فهي الخبر ، أما المصدر الأول (إنكارنا) فهو الاسم .

فعلية ، وأجازوا تقدم الخبر إذا كان الفاعل اسماً ظاهراً في مثل (زيد قام أبوه) (٢٣).

لكن النمط الذي جاء به طه حسين يختلف عن ذلك ولانستطيع قياسه على إحدى الجملتين ، على أننا نرى أنه قد هرب بهذا النمط من تعقيد الجملة إذ قال مثلاً (نوعان من الشعر لم يكن الجاهليون قد أفاهما) ، ولاعمل لـ (كان) في هذه الجملة غير أنها تفيد معنى المضى ، ولاعمل لـ (ليس) غير أنها تفيد معنى النفي .

توسط (كان) أو إحدى إخوانها بين اسمها وخبرها :

تقدم اسم (كان) عليها وجاء بعدها الخبر ، وقد جاء ذلك مع (كان) (ليس) ، (مازال) ، وجاءت الجملة الكبرى التي تضمنت هذا النمط - غالباً - مبدوءة بـ (إن) أو إحدى أخواتها ، ومن أمثلة ما جاء مع (كان) ؛ إن هذا الشيء الجديد كان أقل (٩/٢) ، ولأن هذا المولد كان مجيداً - (٦/٢) ، و(إنه كان رجلاً ١٤٣/٢) ، (أن هذا التخرج كان دينياً ١٤٣/١) ، و(لكنها كانت تطيع ١٤٦/٢) ، و(وكانها كانت تحب - ١٤٦/٢) .

ومثل ذلك مع (ليس) (لأن حملها ليس ممكناً - ٢٠/١) ، و (على أن شاعرنا - كما قلت آنفاً ليس ضعيفاً - ٢٢/١) ، و(على أن تأثرة بهذه العواطف ليس مقصوراً عليه ١٩/١) و(ولكن حلها ليس مستحيلاً ٢٢٣/١) .

ومن الجمل التي لم تبدأ بـ (إن) ، أو إحدى أخواتها ، مع (كان) (يوشك أن يكون كاملاً - ٩/٢) ، و(وبين ما كان ينتظر له من التجدد - ١٣/٢) ، و(ومن كان يقتصر لهم - ٧/٢) ، (ما يمكن أن يكون صحيحاً - ٢٣٨/١) ، ومع (ليس) : (وهو على خطره ليس بالشيء الكثير - ٧/٢) ، و(فالفرق بينه وبين أبي نواس ليس بالقليل - ١٤/٢) و (فهو ليس صاحب لذة - ٦٣/١) ، و(شره ليس مقصوراً عليه - ١٤/١) ومع (مازال) قوله (وإذا هو مازال ينظر - ٥٧/١) .

وتقدم خبر (كان) عليها في مثل (عقلية كانت أو شعورية ... سياسية كانت أو اجتماعية - ٤/٢) .

كما تقدم الخبر الذي له الصدارة على (كان) وجوباً في مثل (فيم كان الاختلاف ؟ - ٧/٢) ف- (فيم) جار ومجرور استعمل للاستفهام فكان له الصدارة .

ب - المنسوخة ب (إن) أو إحدى أخواتها :

لايجيز سيبويه - فى الأمثلة التى طرحها فى كتابه - تقديم خبر (إن) على اسمها إلا إذا كان شبه جملة ، وقال المبرد بذلك أيضاً (٢٤) ، وكذلك الرضى الذى فصل فى ذلك ، فقال : إن الخبر شبه الجملة يجوز تقديمه إن كان الاسم معرفة ، ويجب تقديمه إن كان الاسم نكرة (٢٥) ، وأضاف ابن عقيل أنه يجب تقديم الخبر شبه الجملة إذا كان فى الاسم ضمير يعود على بعض الخبر من مثل (ليت فى الدار صاحبها) (٢٦) .

وقد جاءت أنماط فى حديث الأربعة، تقدم فيها خبر (إن) أو إحدى أخواتها شبه الجملة على اسمها وجوباً حيث جاء الاسم نكرة من مثل (لأن فيها كنوزاً ١٣/١) ، (أن له عليها حقاً - ٢٤/١) ، (فإن للشاعر قصيدة - ٥٨/١) ، (ولولا أن لك ديناً ينبئك بأن للحياة غاية ١/٦٤) ، (فعرف أن لزوجته أختاً ٢/١٤٤) ، (ولكن هناك شيئاً - ١/٢٣٤) ، (ويظهر أن بينه وبين الشعر تاراً ١/١١) .

ومثل ذلك (لعل فى صرير هذه الخيام اشتكاء - ١/٢٢) ، (ولكن هناك سبباً ١٢/٢) .

كما تقدم الخبر شبه الجملة جوازاً ، والاسم معرفة لكنه اسم موصول من مثل (وما من شك فى أن بين المحدثين المعاصرين من يحب طرفة - ١/٥٦) ، (لأن له من الرشد والحلم وحسن البلاء ما يمكنه من ذلك - ١/٦١) .

وقد دخلت لام الابتداء على الاسم فى هذه الأنماط (إن بين أدباء الأوروبيين الآن لقوماً - ١/١٤) و(إن له لناقة - ١/٢٣) ، (وإن فى الحياة لما يشغل عن اليأس، وإن فيها لما يصرف عن الجزع ١/٢٢) .

ج - المنسوخة ب (لا) النافية للجنس :

لايجوز عند النحاة أن يتقدم خبر (لا) على اسمها ، فتقول : لافئها رجل ؛ بل إن المحافظة على الترتيب شرط لعملها عمل (إن) (٢٧) وذلك ما جاء فى حديث الأربعة ، من مثل : (لأنبو فيها - ١/٥٦) ، (لا لذة فيها - ١/٦٤) ، (لاحظ له من قوة ١/٢٣٧) ، (لا احتياط فيه - ٢/٣) ، (لا سبيل إلى جوده - ٢/١٠) ، (لابأس به - ٢/٣٤٧) ، وغير ذلك كثير .

(٢٤) راجع : الكتاب ١٣٢/٢ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، المقتضب ١٠٩/٤ ، ١٥٩ .

(٢٥) راجع : شرح الكافية للرضي ١١٠/١ ، ١١١ .

(٢٦) راجع : شرح ابن عقيل ١/٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢٧) راجع مثلاً : الكتاب ٢٧٦/٢ ، المقتضب ٣٦١/٤ ، ٣٦٢ ، شرح ابن عقيل ٦/٢ .

### د - المنسوخة بأفعال المقاربة :

حافظ طه حسين في «حديث الأربعاء» كثيراً على ترتيب جملة أفعال المقاربة ، إلا أن الاسم كان ضميراً مستتراً يفهم من السياق ، ومن أمثلة ذلك : (تطوراً يوشك أن يكون كاملاً - ٩/٢) ، و(أو جهلاً يوشك أن يكون تاماً - ١٢/٢) ، و(وبأنك لم تكذب تنتهي - ٥٦/١) و(وقد عرض فيها للناقة فلم يكذب يطيل - ٨٥/١) ، و(لا أكاد أعرفها - ١٤٥/١) ، و(كان لا يكاد يقول شعراً - ١٤٤/٢) ، و(وأخذ يحرق - ٥٩/٢) ، و(ثم أخذ يصفها - ٦٠/١) .

وقد تقدم خبر (كاد) على اسمها في قوله (لم يكذب يعنى المسلمون في الفتح - ١٤/٢) ، ولقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ (سورة التوبة : الآية ١١٧) فخرجه الرضى على أن فى (كاد) ضمير الشأن هو اسم (كاد) أو أن ذلك جاء على التنازع وقد أعمل الأول ، أى أن التقدير (من بعد ما كاد قلوب فريق منهم يزيغ) فتقدير اسم كاد على التقديم (٢٨) ، وما يهمنا هنا هو إثبات الرضى للتقديم والتأخير .

### ثالثاً : تقدم جواب الشرط على الفعل والأداة :

يفهم من كلام سيبويه والمبرد أنه يجوز التقديم والتأخير ما لم يجزم فعل الشرط (٢٩) ، وقال ابن جنى إنه لا يجوز تقديم الجواب على المجاب ، شرطاً كان أو قسماً أو غيرهما ؛ ألا تراك لاتقول : أقم إن تقم ، فأما قولك أقوم إن قمت ، فإن قولك ، أقوم ليس جواباً للشرط ، ولكنه دال على الجواب ، أى : إن قمت قمت ، ودلت (أقوم) على (قمت) ، ومثله : أنت ظالم إن فعلت ؛ أى إن فعلت ظلمت ، فحذف (ظلمت) وذلك قولك : (أنت ظالم) عليه ، (٣٠) .

ويتفق ابن جنى مع من سبقه ، ويضيف إلى ذلك أن المقدم ليس جواباً للشرط وإنما يدل على الجواب ، وهو رأى البصريين كما عرضه الرضى فى شرح الكافية ، أما الكوفيون فقالوا إن أصل جواب الشرط التقديم ، وإنه عندما تأخر نجزم على الجوار ، ويقوم الرضى ، «واعلم أنه إذا تقدم على أداة الشرط ما هو جواب من حيث المعنى ، فليس عند البصريين بجواب له لفظاً ؛ لأن للشرط صدر الكلام ، بل هو دال عليه

(٢٨) راجع : شرح الكافية للرضي ٢٠٢/٢ ، وقد قاس عليه أيضاً (كاد يقوم زيد) وقد عرضنا ما قاله مشروحاً .

(٢٩) راجع : الكتاب ٧٠/٣ . المختضب ٦٦/٢ .

(٣٠) الخصائص ٢٨٧/٢ - ٢٨٨ .



وكالعوض منه ، وقال الكوفيون : بل هو جواب من اللفظ أيضاً لم ينجزم ولم يصدر بالفاء لتقدمه ، فهو عندهم جواب واقع في موقعه كما ذكرنا ، إنما ينجزم على الجوار إذا تأخر عن الشرط، (٣١) .

والخلاف بين البصريين والكوفيين في هذه المسألة مرجعه أن البصريين حكموا نظرية العامل ، فالمقدم ليس جواباً لأنه لم ينجزم ولا يصح أن يتقدم المجزوم على عامله (الأداة) ، أما الكوفيون فيحكمون المعنى فما دام المتقدم هو الجواب في المعنى فهو جواب الشرط .

وقد جاءت في حديث الأربعاء، أنماط تقدم فيها جواب الشرط على الأداة والفعل سواء كانت الأداة جازمة أو غير جازمة .

فمع حرف الشرط (إن) تقدم الجواب في أنماط عدة ، والملاحظ في تلك الأنماط أن بعد حرف الشرط (إن) يأتي الفعل الماضي، واختلفت الأنماط فيما قبلها ، فقد يكون فعلاً ماضياً أيضاً مثل (توعدهم الشعراء إن تغزلوا بالملكة ٢٣٨/١) ، وقد يكون فعلاً مضارعاً مرفوعاً من مثل : (يتحدثون ويتشاورون إن عرض لهم من الأمر ما يدعو إلى التشاور - ٦١/١) ، وقد يكون فعل أمر مثل (تحدث أنت عن عنتره إن شئت - ١٤٥/١) ، وقد يكون المقدم اسماً مشتقاً مثل (هاجر لها إن هجرته معرضاً عنها إن أعرضت عنه - ٢٦/١) . وقد يكون المقدم جملة اسمية ابتدائية مثل : (هو شعر مخنث إن أذنت لي باستعمال هذا اللفظ - ٢٣٥/١) ، و(وهو يدللك على الأماكن التي تستطيع أن تجده فيها إن احتجت إليه - ٦١/١) ، وقد تسبق الأداة حينئذ بالواو من مثل (هو يحييهم إذا دعوا ، وإن لم يوجهوا الدعوة إليه ٦١/١) ، و(فهو يشارك قومه في جدهم كله ، وإن كان شاباً - ٦١/١) ، وقد يكون المقدم جملة اسمية منسوخة مثل (كأنك تراها في دفتر من دفاتر الصور إن شئت ، وكأنك تراها لوحة من لوحات السينما إن أحببت - ٢٣/١) .

وجاءت أنماط أخرى مع الأداة غير الجازمة (إذا) ، جاء فيها ما بعدها فعلاً ماضياً ، وتقدم عليها الفعل المضارع من مثل (يتعهدا البستانى إذا أصبح ، ويتعهدا إذا أمسى ١٥/١) ، و(لا يستطيعون أن يضموا الخلود إذا عرض عن الحرب ٦٤/١) ، و(أن نفهمهم إذا تحدثوا - ١٩/١) ، و(لن أفهم عنه إذا استمعت له ١٨/١) و(يلقوا عن أنفسهم أعباءها إذا أقبل الليل - ١٤٥/١) .

أما النمط الثانى فجاء ما بعدها فعلاً ماضياً أيضاً ، وتقدمت عليها جملة اسمية مثل (فهو يحييهم إذا دعوه بل هو يحييهم إذا دعوا -٦١/١) .

وجاء النمط الثالث وقد توسطت فيه (إذا) بين جملتين اسميتين من مثل (فال موت ساع إليه إذا هو لم يسع إلى الموت -٦٤/١) .

#### رابعاً : الاعتراض والفصل :

يعد الاعتراض والفصل من أشكال التقديم والتأخير ، لأن ما يعترض أو يفصل به قد تقدم أو تأخر عن موضعه ، والفرق بين الاعتراض والفصل أن الاعتراض يكون بالجملة ، أما الفصل فيكون بالكلمة ، كما أن الاعتراض يكون بين أجزاء الجملة أو بين الجمل ، أما الفصل فيكون بين متلازمين كالمضاف والمضاف إليه والتابع والمتبوع .

وقد تحدث ابن جنى عن الاعتراض ، فقال : وجاء في القرآن ، وفصيح الشعر ومنثور الكلام ، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد ، فلذلك لا يشنع عليهم ، ولا يستنكر عندهم ، أن يعترض به بين الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره ، وغير ذلك ، (٣٢) ، وقال ابن هشام إن الجملة المعترضة تفيد تقوية الكلام وتحسينه (٣٣) .

وقد جاء في حديث الأربعة الاعتراض كما حدده النحاة ، ولكن أكثر عنده نوع من الفصل هو الفصل بين أجزاء الجملة لابين المتلازمين ، ولذا سنعرض للاعتراض والفصل في موضع واحد كما سنرى .

#### ١- الفصل بين الفعل والفاعل :

لقد عرض ابن جنى وابن هشام شواهد للاعتراض بالجملة بين الفعل والفاعل تكرر بعضها عندهما ، ولانعد ما جاء من أنماط في حديث الأربعة ، اعتراضاً بل هو فصل بالجار والمجرور ، أو لنقل هو تقديم للجار والمجرور عن موضعه الذى افترضه ، له النحاة وهو كثير جداً من مثل (اللى تتابع فيها الصور ، وتختلف فيها المناظر ، وتكثر فيها الأحداث ، وتثار فيها عواصف الغيرة ... التى عدت عليها العوادى ، وشق عليها البرد - ٢٥/١) ، و(الذى تطمئن إليه نفسك ، ويرضى به ضميرك - ٥٦/١) ، (أن يتغزل بها الشعراء - ٢٣٨/١) ، و(ظهر إلى جانب هذا خلاف آخر فى المعنى - ١٧/٢) ، و(لم يفتى بصحتها الرواة - ١٧/٢) ، و(فلما تم له الأمر - ١٤٢/٢) ، و(انقسم لها المصريون - ٤٥/٣) .

(٣٢) الخصائص ١/٣٣٥ .

(٣٣) مغني اللبيب ٢/٢١ .

وقد يكون الفاعل اسماً ظاهراً - كما سبق - وقد يكون مصدرأ مؤولاً من مثل :  
(ونج عن هذا التأثر المزوج أن استبدل العرب بالخيام دوراً - ١٥/٢) .

وقد يقع الفاعل في أسلوب القصر ، فيقصر بينه وبين الفعل بالجار والمجرور  
(إلا) من مثل (ولم يبق فيها إلا هذه الرسوم ٢٠/١) ، (لم يبق منها إلا الشيء القليل  
١٤٣/٢) ، (دون أن يشعر به إلا نفر قليل ٤١/٣) .

وقد يفصل بالظرف بين الفعل والفاعل في مثل (ومضى بين هذين المذهبين  
الشعراء الآخرون - ١٩/٢) ، (ووقع بيني وبينه خلاف - ٤٣/٣ ، ٤٤) . وقد يفصل  
بينهما بالجار والمجرور والظرف معاً في مثل (ولم تنقطع عنها في ذلك مادة الحياة -  
٥/١) ، (ومنشأ عند العرب في عصر بنى أمية نوعان من الشعر ١٥/٢) ، (ومتوسط  
بينه وبين أبيه في الخلاف عمه - ١٤٠/٢) ، (فقد انفتحت له الآن خزائن الدولة -  
١٤٢/٢) .

وقد يبرر الفصل بين الفعل والفاعل بالجار والمجرور - في بعض الأمثلة  
بالتعلق في مثل (تطمئن إليه - يرضى به - يتغزل بها - يثق بصحتها) ، لكن ذلك  
لا يبرر الأمثلة الأخرى ولا يبرر الفصل بالظرف .

## ٢- الاعتراض أو الفصل بين الفعل وما يتعلق به :

وقد جاء ذلك عند ابن جنى ، ومثاله قول امرئ القيس :

ألا هل أتاها - والحوادث جملة      بأن امرأ القيس بن تملك يقرأ (٣٤)

ومثاله عند هشام قول الشاعر :

ألم يأتيك - والأنباء تنمى      بما لاقت لبوسن بنى زياد (٣٥)

لكن ابن هشام جعل الباء زائدة في البيت ، وهو ما يحتمله بيت ابن جنى أيضاً ،  
وقد جاء الشاهدان عندهما تحت الاعتراض بين الفعل والفاعل .

ولقد جاء الاعتراض بالجملة بين الفعل ومتعلقه في (حديث الأربعاء، من مثل  
(ويتبرمون - كما تتبرم أنت - بالقديم - ٢٣/١) . كما فصل بين الفعل ومتعلقه  
بالجار والمجرور كثيراً من مثل (وينسب فيها بصاحبته - ٥٥/١) ، (وأبن لى عن

(٣٤) الخصائص ١/٣٢٥ ، وملك : هي أم امرئ القيس ، ويقرأ : ترك البادية ونزل العراق .

(٣٥) مغني اللبيب ٢/٢١ .

رأيك - ٥٧/١) ، (وأسرع بنا إلى القسم - ٦٠/١) ، كما فصل بينهما بالظروف من مثل (انظر معى إلى ١ - ٢٣) ، (و يأخذ معنا فى الحديث - ٦٠/١) ، (ولا أحدثك اليوم عن واحد من هؤلاء - ٢٣٢/١) . كما فصل بينهما بالمفعول به (الضمير المتصل) والفاعل من مثل (أن يخرجك ذلك عن دينه - ١٤٠/٢) ، أو بالمفعول به (الضمير المتصل) ، وتوكيده (الضمير المنفصل) من مثل (فيضطرك أنت إلى ٢٣/١) ، أو بالضمير المؤكد للفاعل المستتر من مثل (تحدث أنت عن عنتره - ١٤٥/١) .

وقد جاء الاعتراض بجمله هي فعل الشرط بين اسم الفاعل ومتعلقه ، وهما جزء من جملة جواب الشرط المتقدم ، ومن أمثلة ذلك (ومعنى ذلك أن الأدب القديم صائر - إذا مضت الأمور على هذا النحو الذى تمضى عليه - إلى أن يصبح لونا - ١٣/١) ، ويتضح ذلك إذا أعدنا الترتيب كالتالى (وإذا مضت الأمور على هذا النحو الذى تمضى عليه فمعنى ذلك أن الأدب القديم صائر إلى أن يصبح لونا ... ) .

### ٣- الفصل بين الفعل ونائب الفاعل :

وقد فصل بينهما بالجار والمجرور من مثل (فتن به بعض أساتذة الأدب - ٢٣٣/١) ، (وذكر له عسر ذلك - ٢٣٦/١) ، (ولم يتح للسلطان إهدار دمه - ٢٣٧/١) ، (ويقال لها روضة - ٢٣٧/١) .

### ٤- الاعتراض أو الفصل بين الفعل والمفعول به :

جاء الاعتراض بين الفعل والمفعول به بالجمله الاسمية فى مثل (ولست أشك - والرواة لا ينكرون ذلك - أن كثيراً - ١٧/٢) ، (وجمله النداء (الفعلية) فى مثل (تلاحظ ياسيدى أنى أجملت - ٢٦/١) .

أما الفصل بينهما فهو كثير ، فإذا كان مكان الجار والمجرور والظرف عند النحاة التأخير (٣٦) ، فقد جاء ذلك نادراً فى حديث الأربعاء ، من مثل :

جاءت أمثلة كثيرة على الفصل بين الفعل والمفعول به بالجار والمجرور من مثل (وحمل إلينا الحضارة - ٩/١) ، (وتجد فيه لذة - ٩/١) ، (ويبكي فيها الديار - ٥٥/١) (كثيراً ماتحمل إليهم الحزن - ١٤٥/١) ، (ومدح بهما الوليد - ٢٣٩/١) ، (ولا تذكر لى الخلافات الدينية - ٥/٢) ، (وأن يقول فيهم شعراً - ١٤٧/٢) ، (وأجد لهم أترا ، (ولينترع من الرجل ثناء - ١٢٩/٣) .

وكذلك فصل بالظرف بينهما من مثل (وإنما تناول مع العزل فنوناً - ١٧/٢) و(هلا وضعت بين يدي شرحاً - ٥٧/١) ، و(أعرف الآن هذا الشاعر - ٦٢/١) .  
 و(قضيت معهما ساعات - ٩٥/٣) .

وإذا كان المفعول به اسماً صريحاً - فيما سبق - فقد جاء أيضاً مصدرأ مؤولاً من (أن) وما بعدها من مثل (لم أطلب إليك أن تفهم، وإنما طلبت إليك أن تقرأ ٥٧/١) ، و(سترى في غير هذا الفصل أن هذا لم يتح للشعر العربي - ١٤/٢) ، و(فقد رأينا في فصل مضى أنها مسألة ٣١/٣) ، أو من (ما) والفعل من مثل (ولم ينقل الرواة إلينا ما قال فيها - ٢٣٨/١) ، و(يضيف إليها ما ابتكرت من عقول المحدثين - ٣/٢) ، و(أخذ من اللذة ما استطاع - ١٤٢/٢) ، وإذا كانت هذه الأمثلة يحتمل فيها أن تكون (ما) مصدرية أو موصولة ، فإنها جاءت موصولة في مثل (وينكر على نفسه ما هو فيه - ٢٠/١) ، و(أن يضيفوا إلى الأدب العربي ما فيه وما ليس فيه - ٢٣/١) ، وقد يكون ذلك في نعت القصر من مثل (ولم يقل فيها إلا البيتين - ٥٩/١) ، و(هل عرفت منى إلا المحاورة - ٥٦/١) ، و(لم تقرأ من هذه القصيدة إلا الأبيات - ٥٦/١) .

وقد فصل بين المفعولين بالجار والمجرور من مثل (يتخذون العزل لنفسه صناعة - ١٦/٢) ، كما فصل بينهما بالفعل من مثل (التي يراها العقل حقائق ١٤٥/١) ، كما اعترض بينهما بالجملة في مثل (جعلت تطور الأدب عامة - والشعر خاصة - بطيئاً - ١٢/٢) .

وكذلك تقدم الجار والمجرور على المفعول المطلق ففصل بينه وبين الفعل في مثل (قد دست عليه دساً ، وزجت في حظيرته زجاً ٥٨/١) ، و(قد أقحم في قصيدة الشاعر إقحاماً - ٥٨/١) ، و(يقنعك بها إقناعاً - ٦٣/١) ، و(يختلفون فيه اختلافاً - ٢٣٣/١) ، و(أن أشك في وجود هذا الشاعر شكاً قوياً - ٢٣٣/١) ، وهو كثير ، وفي رأينا أن طه حسين كان يقدم الجار والمجرور تحسیناً للجملة جاعلاً لها جرساً موسيقياً تميزت به .

لقد كان طه حسين يحرص على إشراك القارئ أو السامع معه في الحديث ، فحاول أن يجلب إليه مسرح الكلام كاملاً ؛ المتكلم والمخاطب ، وظروفهما وظرف الخطاب ، واستعمل لذلك الاعتراض أو الفصل ، فهو بعد أن افترض أنه يخاطب صاحبه الذي يخالفه الرأي يستحضر هذا الصاحب دائماً ، وقد يخاطبه بلفظة (يا سيدى) - كما مر بنا في بعض الأمثلة - كما أنه يصف لنا حالته ، وظروف الحوار

وجاء ذلك في فصله بين القول والمفعول به (مقول القول) من مثل قلت لصاحبي فيما قلت (١٥/١ ، ١٦) ، ومما يصف حاله هو (قلت ضاحكاً -٥٦/١) ، و(قلت في شيء من الأسف ، بل من الحزن العميق -٥٨/١) ، ومما يصف حال صاحبه مع الفصل بالجار والمجرور (قال صاحبي - في شيء من الشك -٢٧/١) ، و(قال في شيء من الحياء والغيب -٥٧/١) . أو بالحال المفردة (قال منصباً -٥٧/١) ، أو الحال الجملة مثل (قال صاحبي وهو باسم كالعابس -٢٣٢/١) ، و(قال وهو في شيء يشبه الحيرة -٥٨/١) ، و(قال وهو يظهر الدهش -٥٦/١) .

ومما جاء يصف حال الحوار قوله (قلت لصاحبي - وقد طال الحوار بينه وبينى -١٨/١) ، و(قال صاحبي - ولم أستطع أن أطيل حواراه فيما قاله ومن يدري ! لعله موفق فيه إلى الصواب - ٥٩/١) ، ونلاحظ في المثال الأخير أنه يحدثنا عما يدور في خاطره من مونولوج داخلي ، وكل ذلك من عناصر السياق المقامي الذي حاول استحضاره ليشرك السامع أو القارئ فيما يقول أو يكتب .

#### ٥- الاعتراض أو الفصل بين المبتدأ والخبر :

اعترض بين المبتدأ والخبر بالجملة ، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى ﴿ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ سورة ص : الآية ٥٧ ، ومنه قول معن بن أوس .

وفيهن -والأيام يعثرن بالفتى - نوادب لا يملننه ونواح

وكذلك اعترض بجملة الاختصاص من مثل قول النبي «نحن معاشر الأنبياء - لانورث ، ، وقول الشاعر :

نحن - بنات طارق - نمشى على النمارة (٣٧)

وقد جاء في حديث الأربعاء، بجملة النداء من مثل (شاعري ياسيدي صاحب حركة -٢٣/١) ، (وأنت ياسيدي مخطئ -٢٣/١) ، و(ناقة شاعري ياسيدي قد تعودت الأسفار -٢٤/١) ، وبجملة فعل الشرط من مثل (الأيام كلما مضت واتصلت زادت البعد بيننا .. والحياة كلما تطورت وتحولت زادت في تغيير -٩/١ ، ١٠) ، حيث فصل بين المبتدأ (الأيام) و(الحياة) ، والخبر (زادت) في الجملتين بجملة فعل الشرط

(٢٧) راجع : الخصائص ١/٣٣٩ ، ٣٤٠ ، مغني اللبيب ٢/٢٢٢ .

(٢٨) و(كلما) (الشرطية غير جازمة يكثر مجيء الماضي بعدها ، راجع : مغني اللبيب ٢/٢٢٨ .

(كلما مضت واتصلت ) ، و(كلما تطورت وتحولت) (٢٨). كما اعترض بجملة المصدر النائب عن فعله من مثل (إنما العسر حقاً هو أن تقطع ٢٣٣/١) ، حيث اعترض بالمصدر النائب عن فعله (حقاً) ، وتقديره عند النحاة (أحق حقاً) بين المبتدأ (العسر) والخبر الجملة (هو أن تقطع) ، أو (أن تقطع) على اعتبار ان (هو) ضمير فصل .

وقد فصل بين المبتدأ والخبر في حديث الأريعاء، بالجار والمجرور كثيراً من مثل (وهو على كل حال عاجز - ٢١/١) ، و(هو في هذا كله قادر - ٥٩/١) و(ثم هو على هذا كله لا يخلو - ٢٣٥/١) ، و(نحن بحكم الاستحالة والتطور مكرهون على - ٤/٢) و(فهم من هذه الناحية محافظون - ١١/٢) ، و(وهو في هذا قدوة - ١٤٥/٢) ، و(الإنسان بطبيعته عبد لمنفعته - ٥/٢) . وفصل بينهما بالظرف من مثل (ثم هو بعد ذلك لا يكتفى بالمخاطرة - ٦١/١) ، و(هو مع ذلك حريص - ٦٣/١) ، و(إنما أمر الأدب القديم عندي أشبه بحديقة - ١٥/١) ، و(إذن فنحن بين الشعور بالبقاء والحاجة إليه وبين الشعور بالتطور والحاجة إليه مترددون ٤/٢) .

كما جاء الفصل بينهما ب- (إذن) من مثل (فأنت إذن تريد ... وأنت إذن تزعم - ٥٦/١) ، و(فأول صفاته إذن هذا الشباب - ٦١/١) .

## ٦- الفصل بين اسم كان وخبرها :

جاء الاعتراض بين ما أصله المبتدأ والخبر في الشعر ، وقد عرض ابن جني وابن هشام شواهد للاعتراض بين اسم إن وخبرها (٣٩) .

وقد جاء الفصل بين اسم (كان) وخبرها في حديث الأريعاء، بالجار والمجرور من مثل (بينما كان في دمشق متصلاً بقصر الوليد بن عبد الملك - ٢٣٤/١) ، و(كان الاختلاف في تقسيم الثروة أو في نظام الحكم - وسيظل دائماً - مصدر هذه الثورات - ٥/٢) ، و(وليس وضاح هذا - فيما أرجح - إلا تجرية - ٢٣٥/١) ، كما فصل بالظرف في مثل ، (فليس شاعري حين يصف ناقته مثقلاً - ٢٣/١) ، و(كانت بينه وبين أحوى، ملاحاة - ٢٣٩/١) ، و(فقد كان) الخلاف قبل كل شيء في اللفظ و(٧/٢) ، و(قد أصبح الآن صاحب السلطان - ١٤٢/٢) .

وقد فصل بينهما بكاف التشبيه وما بعدها من مثل (لم يكن كما يزعم خصومه مسرفاً - ١٤٠/٢) ، و(لم يكن كما يريد أنصاره تقياً صالحاً - ١٤٠/٢) ، فإذا اعتبرنا الكاف حرف تشبيه فهو من الجار والمجرور ، وإذا اعتبرناها نعتاً لمصدر محذوف كان

(٣٩) راجع : الخصائص ٢٤٠/١ ، ومغني اللبيب ٢٢/٢ وما بعدها .

(٤٠) راجع في هذه الكاف مغني اللبيب ٣٠٢/١ وما بعدها .

ذلك اعتراضاً بالجملة (٤٠).

#### ٧- الاعتراض أو الفصل بين اسم (إن) وخبرها :

جاء في «حديث الأربعاء»، الاعتراض بالجملة الاسمية من مثل (لأن أنصار الجديد - وعلى رأسهم أبو نواس - أقدموا - ٨/٢) ، كما جاء الاعتراض بجملة النداء في مثل (فإني ياسيدي لم أطلب - ٥٧/١) ، أو بجملة من مثل (ومسترى أن هذا الشعر إذا برئ من خشونة البادية قليلاً أو كثيراً فهو عربي ، عربي برئ من الابتذال والسقوط - ٢٣٥/١) ، وكذلك جاء الفصل بينهما بكاف التشبيه وما بعدها من مثل (لأنها ، كما قال صاحبى ، تباعد بينهم وبين حياة القدماء - ١٢/١) ، و(لأن الحياة الإنسانية كما قلنا غير مرة تقوم على ٣/٢) .

وقد يفصل بينهما بالجار والمجرور من مثل (وإياك أن تظن أن صاحبنا على شبابه وفراغه يلهو عبثاً - ٦٣/١) ، و(أن الكثرة المطلقة من هذا الشعر الذى يضاف إليه منحول - ٢٣٥/١) ، و(لكنها فى نفسها جيدة - ٢٣٩/١) ، و(ورأينا أن خط الآداب العربية من هذا الغلاف على عظمة وكثرة الكلام فيه ، لم ينتج ... - ٥/٢) ، و(لأنهم بحكم منزلتهم اللغوية مضطرون ، إلى - ١١/٢) ، وقد يفصل بالظرف والجار والمجرور معاً من مثل (ولا أقرك على أن إعراض الشاعر هنا عن الحركة القوية والحياة المضطربة ، ووقوعه عند أجزاء الناقاة يحققها ويصورها ويصفها دليل على - ٥٩/١) .

#### ٨- الفصل بين المتبوع والمتابع :

جاء فى «حديث الأربعاء»، الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجار والمجرور مثل (لا مشقة فيها ولا جهد ٩/١) .

كما جاء الفصل بين المنعوت والنعته من مثل (فى دقة لاتشبهها دقة ، ووضوح مع ذلك لايشبهه وضوح ١٨/١) حيث فصل بين المنعوت (وضوح) والنعته الجملة (لايشبهه وضوح) بالظرف (مع ذلك) .



## خاتمة بأهم نتائج البحث

يمكننا أن نخرج من هذه الدراسة بنتائج محددة يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

١- رصد البحث أنماطاً لترتيب الجملة جاء بعضها على الترتيب الأصلي ؛ فعرضنا نماذج منه في الترتيب الأصلي للجملة الفعلية ، وللجملة المنسوخة بـ (لا) النافية للجنس ، والجملة المنسوخة بأفعال المقاربة .

٢- جاءت أنماط خالفت الترتيب الأصلي للجملة ، التزم أغلبها بما جاء عند النحاة من وجوب مخالفة الترتيب الأصلي أو جواز المخالفة .

٣- جاءت أنماط حديثة الاستعمال ، منها ذلك النمط الذي تقدم فيه الخبر (سواء) على المبتدأ الاسم الصريح ، وكذلك استعمال (إن) أو إحدى أخواتها مع (كان) أو إحدى أخواتها مع تقديم اسم كان عليها ، وتقدم خبر كان عليها ، كما تقدم خبر (كان) ، و(ليس) الجملة الفعلية على اسمها الظاهر ، وقد خرجنا ذلك على تجريدهما من العمل .

٤- تأخر فعل الشرط عن الجواب ، وهو نمط جاء عند القدماء ؛ فقال البصريون إن المتقدم ليس الجواب ، وإنما يدل على الجواب ، محكمين العامل في رأيهم هذا ، بينما يرى الكوفيون أن تقدم الجواب على الفعل هو الأصل ، محكمين المعنى في ذلك .

٥- لاحظنا في حديث الأرياء، الميل إلى استعمال الجملة الاسمية ، حتى إن بعض الجمل لتبدو وكأنها متحولة عن الجملة الفعلية ، ولانستطيع أن نتسرع بالقول إنه تأثر باللغات الأجنبية التي كان يتقنها ، فالجملة الاسمية هي جملة عربية منها أنماط جاءت عند القدماء والتزم بها الكاتب .

٦- قدم الجار والمجرور كثيراً وكذلك الظرف ، كما فصل بهما بين أجزاء الجملة ، وقد أفاد الكاتب من حركة شبه الجملة موسيقياً وذلك مما يتميز به أسلوبه .

٧- جاءت في الكتاب الأشكال المختلفة للفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر ، كما جاء فيه أفعال تحويل حديثة الاستعمال مثل (صور) ، و(اصطنع) .

٨- يقل في حديث الأرياء، الاعتراض ، لكن الكاتب استعمله استعمالاً سياقياً فريداً، حيث أفاد منه في جلب مسرح الكلام إلى القارئ أو السامع ، فأصبح وكأنه يسمع ويرى كل شيء في مسرح الكلام حتى أحاسيس المتكلم والمخاطب وما حولهما

من ظروف . كما جاءت عنده ألفاظ أخرى للاعتراض .

٩- كثر عنده الفصل بالجار والمجرور وانظر بين أجزاء الجملة بنوعيتها ، وكذلك الفصل بالحال أو (إن) ، كما فصل بين التابع والمتبوع .

١٠- وأخيراً فإننا سنجد فى هذا الكتاب وفى غيره كنزاً من الجمل الحية التى تفيد فى التمثيل للدراسات النحوية واللغوية أقرب للواقع وللفهم من أمثلة كثيرة مصطنعة .

## المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم أنيس دكتور :  
- من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو ١٩٨٤ م ط ٥ .
- ٢- ابن الأثير (ضياء الدين) :  
- المثل السائر ، تحقيق د. أحمد الحوفى ، ود. بدوى طبانة نهضة مصر (د.ت) .
- ٣- الأشمونى (نور الدين على بن محمد بن عيسى ت ٩٢٩هـ) :  
- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة (د.ت)
- ٤- ابن الأنبارى (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧هـ) :  
- الإنصاف فى مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية (د.ت) .
- ٥- البدرأوى زهران (الدكتور) :  
- أسلوب طه حسين ، دار المعارف (د.ت) .
- ٦- تمام حسان (الدكتور) :  
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .
- ٧- الجرجانى ( أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ٤٧٤هـ) :  
- دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر، الخانجى ١٩٨٤ م  
- المقتصد فى شرح الإيضاح ، تحقيق كاظم بحرالمرجان وزارة الثقافة العراقية ، ١٩٨٢ م .
- ٨- ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ) :  
- الخصائص تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى ، بيروت (د.ت) .
- ٩- الرضى الاستريادى (رضى الدين محمد بن الحسن ت ٦٨٦هـ) :  
- شرح كتاب الكافية فى النحو دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ م .

- ١٠- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت ٣٤٠هـ) :  
- الجمل في النحو ، تحقيق د. علي توفيق الحمد ، دار الرسالة ، بيروت ، والأمل بالأردن ، ١٩٨٤ م ط ١ .
- ١١- ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري ت ٣١٦هـ) :  
- الأصول في النحو تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، الرسالة ١٩٨٥ م ط ١ .
- ١٢- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر ت ٦٢٦هـ)  
- مفتاح العلوم ، مصطفى البابى الحلبي ١٣٥٦ هـ ط ١ .
- ١٣- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ) :  
- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٦ - ١٩٧٧ م .
- ١٤- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ) :  
- همع الهوامع تحقيق د. عبد العال سالم مكرم ، وعبد السلام هارون ، دار البحوث العلمية الكويت ١٩٧٧ - ١٩٨٠ م .
- ١٥- طه حسين (الدكتور) :  
- حديث الأربعاء ، دار المعارف بمصر ، ط ١٢ (د.ت) .
- ١٦- عبده الراجحي (الدكتور) :  
- النحو العربي والدرس الحديث ، النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ م .
- ١٧- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله ٧٦٩هـ-) :  
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، دار التراث القاهرة ١٩٨٠ ط ٢٠ .
- ١٨- علي عبد العزيز سفر (الدكتور) :  
- الترتيب في الجملة الاسمية ، مجلة رسالة المشرق ، المجلد الرابع ١٩٩٥ م .
- ١٩- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي ت ٢٠٧هـ) :  
- معاني القرآن ، الجزء الأول تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م

- التركيب والدلالة والسياق - دراسات تطبيقية ————— ٢٠٣ —————
- الجزء الثاني تحقيق محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت)
- الجزء الثالث، تحقيق عبد الفتاح شلبي ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢ م .
- ٢٠- فندريس (ج) :
- اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص ، الأنجلو ١٩٥٠ م .
- ٢١- القزويني (جلال الدين محمد عبد الرحمن) :
- الإيضاح ، مطبعة محمد على صبيح ١٩٨٢ م .
- ٢٢- النحاس (أبو جعفر أحمد محمد بن إسماعيل النحاس ت ٣٣٨هـ) :
- إعراب القرآن ، تحقيق د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب والنهضة العربية ١٩٨٥ م ط٢ .
- ٢٣- ابن هشام الأنصاري (جمال الدين بن يوسف ت ٧٦١هـ) :
- مغنى اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق ح. الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩١ م ط١ .
- ٢٤ - ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ٦٤٣هـ) :
- شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري ، عالم الكتب بيروت والمنتبى بالقاهرة (د.ت) .



# مکتبۃ لسان العرب

أ. علاء الدین شوقی

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

